دار الوحدة

عبد الناصر والثورة الأفريقيّة

محمّد محمّد فايق

عبد الناصر
والثورة
الأفريقيّة

عبدالناصر والثورة الأفريقيّة

محمّد محمّد فايق

دار الوحدة



بناية مبشر — شارع ليون
الحمراء — بيروت

الطبعة الاولى
١٩٨٠

مقدمـــة

احتل عبد الناصر مركز الصدارة بين قادة حركة التحرير في عصره ، واستطاع ان يجسد آمال الشعوب المقهورة ويعبر عن الكثير من آمانيها ، وذلك من خلال معاركه الطويلة ضد سيطرة الاستعمار والامبريالية . وظهرت الناصريـــــة كفلسفة ثورة تحددت معالمها على أرض مصر اولا بعد معارك مريرة قاوم فيها جمال عبد الناصر الاحلاف وانهى الاحتلال البريطاني وأمم قناة السويس وحول المجتمع الذي كان يعاني من الاستعمار والاقطاع وسيطرة راس المال الـــــى مجتمع انتقلت فيه الثروة الى مالكها الشرعي وهو الشعب ، وتحررت الارادة المصرية تحررا كاملا .

وادرك عبد الناصر منذ البداية ان مصر المستقلة لا تستطيع ان تعيش وحدها . وآمن بأن الثورة المصرية جزء لا يتجزأ من ثورة التحرر الوطني في العالم . فالتحم بحركة التحرر الوطني العربية التي اصبحت قاعدة انطلاقـــه الثوري ، كما التحم بحركة التحرر الوطني الافريقية . ثم امتدت حركته الـــى آسيا وبقية العالم حتى اصبح عبد الناصر محورا للحركة الثورية في العالـــم الثالث .

واصبح مفهوم الناصرية هو حصيلة الحركة في كل هذه المجالات . وسوف نتناول في هذا البحث حركة عبد الناصر في مجال واحد منها ، وهو مجال عملت فيه قريبا من عبد الناصر وعشت احداثه كلها ، وهو جزء أساسي من فلسفة ثورة ٢٣ يوليو واقصد به مجال الثورة الافريقية .

وقد استخدم اصطلاح الثورة الافريقية للدلالة على ذلك التغيير الشامل الذي اجتاح افريقيا فغير الكثير من اوضاعها السياسيـــــة والعسكريـــــة والاقتصادية والاجتماعية . وقد ظهر هذا التغيير بشكل فجائي وعنيف فـــي

اواخر الخمسينات وبداية الستينات حينما ارتفعت اعلام الاستقلال بالجملة ، وبعد ان اندلعت حركات التحرير في جميع انحاء القارة متخذة من عواصم دولها المستقلة في القاهرة واكرا وكوناكري ودار السلام وبرازافيل وغيرها قاعدة لانطلاقها ، فأنهار الكثير من الحواجز التي حاول الاستعمار اقامتها منذ وطأت اقدامه افريقيا لتفصل بين شعوبها مستغلة فروق اللغة والدين والحضـارة واللون .

ولم تكن الثورة الافريقية مجرد التقاء لعدد من الثورات الافريقية في مصر وكينيا والجزائر والكونغو وانجولا وموزمبيق وجنوب افريقيا وغيرها فحسب ، وانما كان اخطر جوانب هذه الثورة هو ذلك الاحساس بالانتماء الى القـارة الذي زرعته الحركة الافريقية عميقا في وجدان الافارقة في جميع ارجاء القـارة فجعلتهم يتغنون بشعارات الوحدة الافريقية بعيدا عن سيطرة الرجل الاوربي والاستغلال الاستعماري . وأصبح هذا الاحساس يشكل فكرا متسلطا يأخذ بألباب الافارقة في كل مكان .

ورغم ان هذا الاحساس بالانتماء الافريقي لم يخرج عن كونه شعـورا عاطفيا في معظمه ، الا انه كان أساسا لازما للتعبئة الثورية ولاحتواء المثقفين الافارقة الذين كانت الثقافة الغربية قد بهرت الكثير منهم فلم يجدوا امامهـم من خلاص سوى الانتماء الى هذه الحضارات الغربية باعتبارهـا الطريق الوحيد للقضاء على التخلف والجهل الذي غرقت فيه شعوبهم، وكان الاستعمار يجد في هؤلاء فرصته لفرض سياسات الاستيعاب « Assimilation » للمثل الفرنسية التي حاولت فرنسا ادخالها في مستعمراتها والسياسات المشابهـة في المستعمرات البرتغالية ومناطق الاستيطان في القارة .

وجاء هذا الاحساس بالانتماء ليعطيهم الامل في المستقبل ويولد فيهـم الشعور بالزهو . فكانت محصلة ذلك كله طاقة هائلة ساعدت في بلـورة الشخصية الافريقية . واستطاعت افريقيا أن تفرض وجودها في المجتمـع الدولي ، فغيرت الكثير من المفاهيم السائدة في هذا المجتمع بما يعيد لافريقيـا وللافريقيين الكثير من حقوقهم المسلوبة .

وبطبيعة الحال فان الثورة الافريقية لم تخرج من فراغ ، فلا شك انه قد كان لها اسبابها وجذورها الممتدة عبر التاريخ ، ولكنها كأي ثورة كانت تحتاج الى الزعيم او الزعماء القادرين على قيادة هذه الثورة ورسم طريقها في لحظاتها الحاسمة .

واذا كنا نسلم بأن الزعماء الذين قادوا ثورة افريقيا هم جمال عبد الناصر وكينياتا ، ونكروما ، وسيكوتوري ، وبن بيللا ولومومبا وفيلكس مومي وكاوندا وجوشوا نكومو ونيريري ومندلاني واميل كايرال ومحمود حربي وغيرهم فاننا نستطيع بكل الاطمئنان ان نقول ان جمال عبد الناصر قد لعب الدور الاخطـر

والاعظم بشهادة التاريخ وشهادة هؤلاء انفسهم .

لقد استطاع عبد الناصر ان يرد كل الثقة والكرامة لشعوب افريقيا التي قهرها الاستعمار واطبق على انفاسها قرونا طويلة . وزرع عبد الناصر في كل افريقي ذلك الاحساس بالعزة والكرامة والكبرياء والفخر ، والانتماء الى تاريخ وحضارات ذات ماض وذات مستقبل . فعندما كشفت مصر عن وجهها الافريقي الصحيح لاول مرة في تاريخها الحديث بعيدا عن فكرة الامبراطورية التي ظلت تملأ عقول زعمائنا الوطنيين حقبة طويلة من الزمن، واعلن عبد الناصر انتماء مصر للحركة الافريقية وتحملها عبء حركة التحرير الافريقية ، واصبح هذا الانتماء جزءا لا يتجزأ من الشخصية المصرية ، كان عبد الناصر قد اضاف بذلك حضارة مصر العريقة لتصبح رصيدا لافريقيا كلها بجانب حضارتها الزنجية ، وهو شيء كانت افريقيا في مسيس الحاجة اليه وهي ما زالت في مرحلة تتحسس فيها جذورها لتستقي منها ما تدفع به حركتها امام العالم وفي مواجهة قوى الاستعمار الشرسة .

وبعد حرب السويس فتح عبد الناصر ابواب المستقبل امام شعوب القارة التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار . فبأنتصار مصر في معركة تأميم قناة السويس وقضائها على العدوان الثلاثي لم يعد هناك احد يشك في ان عهد الامبراطوريات قد انتهى كما أنتهت سيطرة بريطانيا في مصر . وهز ذلك صورة انجلترا وفرنسا وبلجيكا والبرتغال في افريقيا هزا عنيفا وزلزل امبراطورياتها التي تداعت بعد ذلك في سرعة مذهلة .

ولن نكون مبالغين اذا قلنا ان ثورة يوليو المصرية قد احدثت من التغيير وتركت من التأثير في افريقيا ما لا يقل بحال من الاحوال عن ذلك التغيير والتأثير الذي احدثته وتركته الثورة الفرنسية في اوروبا .

فاذا كانت الثورة الفرنسية قد زرعت مبادىء الحرية والاخاء والمساواة عميقة بين شعوب اوربا وقضت على الاقطاع وامتيازات النبلاء والالقاب ، فان الثورة المصرية هي التي اعطت الشعوب الافريقية القدرة على استخلاص حقوقها وفقا لهذه المبادىء والمعاني العظيمة ، والتي كان تطبيقها يقف دائما خارج حدود المستعمرات حيث كان يصطدم هذا التطبيق بمصالح المستعمرين الاوربيين .

فعندما قامت الثورة الفرنسية كان طبيعيا الا تنكر فرنسا حقوق الانسان التي اعلنتها هذه الثورة على رعاياها في مستعمراتها . وكان دانتون على حق عندما قال : « لقد كان الجميع عبيدا في حكم البربون المستبد والان يجب ان يتحرر الجميع ليصبحوا مواطنين في الجمهورية الفرنسية » ونجح دانتون في استصدار قانون ينص على اعتبار جميع الرجال الذين يعيشون في المستعمرات الفرنسية مواطنين فرنسيين دون تمييز في اللون . وان يتمتع

هؤلاء بجميع الحقوق والمزايا المنصوص عنها في الدستور الفرنسي .
ولكن سرعان ما الغى هذا القانون في عهد نابليون — وقبل ان يصبح له اي اثار عملية ، بل أن وثيقة اتهام دانتون التي اعدها روبسبير احتوت اتهاما بشأن هذا القانون . فقد اتهم بأنه قدم قانونا يؤدي الى القضاء على الامبراطورية الفرنسية . وانكرت فرنسا بذلك على الشعوب الافريقية حق الاستمتاع بهذه المبادىء والحقوق التي حاربت هي نفسها من أجل فرضها في اوربا لتحرير شعوبها المقهورة .

ولم يكن هذا موقف فرنسا وحدها وانما كان موقف دول الاستعمار الاوروبي والولايات المتحدة الامريكية . فلم يمنع الاعلان الشهير للرئيس الامريكي ويلسون — والذي تضمن قواعد ومعاني جديدة في حكم الشعوب — لم يمنع ذلك الرئيس ويلسون نفسه من ان يعترف بالحماية البريطانية على مصر في أبريل سنة ١٩١٩ وكان في ذلك صدمة كبيرة لزعماء الحركة الوطنية في مصر الذين علقوا الآمال الكبيرة على موقف امريكا بعد اعلان ويلسون .

لقد كانت المواثيق الدولية وحقوق الانسان بما في ذلك ميثاق الامم المتحدة كلها تقف عاجزة عن تغيير الاوضاع في افريقيا والمستعمرات الاخرى رغم ما تحتويه هذه المواثيق من معان انسانية عظيمة ، وبدا الامر وكأنها صدرت من اجل الانسان الاوربي فقط .

ولكن بقوة الثورة استطاعت افريقيا واستطاعت الشعوب المستعمرة ان تجعل لهذه المبادىء والمواثيق قيمة حقيقية فكان هذا التغيير الهائل في افريقيا وفي العالم الثالث أجمع .

وجاءت الثورة المصرية لتكون البداية لهذا التحول العظيم وقوته الدافعة بعد ان استطاع عبد الناصر ان يحرز الارادة المصرية بعيدا عن اي سيطرة اجنبية ، ويجعل من ارض مصر قاعدة للثورة الافريقية ، كما اصبحت من قبل قاعدة للثورة العربية . وهكذا شكل التزام مصر بقضايا التحرر العربي والافريقي قوة اضافية في مقاومة الاستعمار في جميع اجزاء القارة الافريقية حيث كانت تتمثل في هذا الالتزام وحدة النضال ووحدة الهدف . وشعر كل جزء من افريقيا ان له سندا قويا وحليفا عنيدا . فبرزت الثورات في القارة كما برزت في العالم العربي . واستحق عبد الناصر عن جدارة ان يلقب بمفجر الثورة الافريقية .

وعندما قامت ثورة يوليو لم يكن لمصر اهتمام يذكر او اي صلات بالحركات الوطنية في افريقيا ، اللهم بالسودان فقط باعتباره قطرا عربيا في المقام الاول وتطلعا الى وحدة وادي النيل ، هذا الشعار الذي رفعه جميع زعماء وحكومات مصر السابقة على ثورة يوليو . ولم يكن لمصر حتى ذلك الوقت اي سياسة افريقية بالمعنى الصحيح وان كانت لنا سفارة في اديس

ابابا عاصمة اثيوبيا ومفوضية في جنوب افريقيا علاوة على المندوب المصري في المجلس الاستشاري في الصومال والذي كان موضوعا تحت وصاية الامم المتحـــدة .

ولكن كانت لنا بأفريقيا صلات ثقافية قامت مــــع انتشار الاسلام في القارة وكان في الازهر الشريف عدد كبير من الطلبة الافريقيين اتوا من جميع انحاء القارة يدرسون في أروقته بعد ان جذبتهم شهرة الازهر وانفتاحــــه على المسلمين في جميع انحاء العالم .

كانت هذه هي كل الصلة التي تربط مصر بأفريقيا ولا شيء آخر سوى واقع حقيقي هو الوجود الجغرافي لمصر في القارة الافريقية ، وتاريخ بعضه قديم من العهود الفرعونية وان كنا لا نعرف على وجه التحديد مدى هــــذه العلاقة ، الا إنه من المؤكد ان ثمة علاقة كانت موجودة بين مصر الفرعونيـــة واقطار افريقية كثيرة ، فقد وصل المصريون القدماء الى بلاد « البنت » وهي ما تعرف حاليا بالصومال كما انه من المؤكد وصولهم جنوبا الى ملتقى النيـــل الابيض بالنيل الازرق (موقع الخرطوم الحالي) كما يعتقد انهم عرفوا شيئا عن النيل الازرق وربما كانت لهم صلة بمناطق في غرب افريقيا (١) .

وبعض هذا التاريخ حديث ولكنه لا يصلح ليكون مدخلا مثاليا للعلاقات الافريقية الجديدة لانه اعتمد على الفتوحات في عهد محمد علي واسماعيـــل باشا . فقد وصلت سيطرة مصر الى شواطيء افريقيا الشرقية والى منطقـــة البحيرات الاستوائية ولكن ذلك كله كان تاريخا قطع صلته بالحاضر ولم يبق منه في ذلك الوقت سوى وجود اسمي في « السودان المصري الانجليزي » في حين بقيت السلطة والادارة الفعلية هناك في يد الانجليز .

وجاء جمال عبد الناصر ليضع استراتيجية جديـــــدة لسياسة مصــــر الخارجية في كتابه « فلسفة الثورة » . فحدد هذه السياسة بدوائر ثـــلاث هي العربية والافريقية والاسلامية . وكان معنى ذلك الاهتمـــــام بالقــــارة الافريقية التي تقع فيها احدى هذه الدوائر وتتقاطع فيها ايضا الدائرتــــان الاخريان . ففي افريقيا تسع دول عربية (حاليا) كما يعتبر الدين الاسلامي فيها اوسع الاديـــان انتشارا .

واستطاع عبد الناصر بمساعداته الفعالة والايجابية ومواقفه النضالية

---

(١) لقد بذلت بعض الجهود لايجاد صلة بين الاديان في مصر الفرعونية وبين الطقوس والاعتقادات الموجود في افريقيا . وقد وجد J. O. Locas ان هناك تشابها بين ديانة اليوربا فـــي نيجيريا والديانات المصرية القديمة ويقول انه يوجد النصف على الاقل من كلمات اليوربا تحتوي على جذور مصرية ولكن لا توجد الحجة القاطعة حتى الان التي تؤكد هذه الصلة بين الديانات في مصر الفرعونية وبين الطقوس والاعتقادات الموجودة في افريقيا .

ان يجعل من مصر محورا وقاعدة للحركة الافريقية بعد ان كانت بعيدة عنهـــا تماما . كما استطاع ان ينقل هذه الحركة الافريقية الى مرحلة الثورة ويضيف اليها ابعادا جديدة . فبعد ان كانت الحركة الافريقية تسير في اتجاه يحصرها في نطاق ما سمى بأفريقيا السوداء او افريقيا جنوب الصحراء الامر الــذي جعلها تبدو في معظمها حركة بين الزنوج ومن اجلهم ، اصبحت ثورة قاريـــة تشمل افريقيا كلها وتجاوزت الحدود التي تجعل منها مجرد ردود فعـــل لحركة الاضطهاد العنصري ، واصبحت ثورة ذات ابعاد سياسية واجتماعية.

الفصل الاول

تطور الحركة السياسية في افريقيا حتى قيام ثورة يوليو المصرية

جاءت صلة افريقيا الاولى بالعالم الخارجي من خلال تجارة الرقيق التي انتهت في القرن التاسع عشر . وامتد النفوذ الاوروبي الى جميع اجزاء القارة بعد اخضاعها وتحويلها الى مستعمرات . ومن هنا تحددت العلاقة بين الرجل الاوربي والرجل الزنجي سواء في افريقيا نفسها او في العالم الغربي بزعم ان العنصر الزنجي عنصر متخلف حضاريا وذهنيا حتى من الناحية البيولوجية وانه وفقا لهذه المزاعم غير قادر على ان يقوم بالاعمال التي يقوم بها الرجل الابيض بنفس الكفاءة . وعلى هذا الاساس فلا يجوز له ان يتمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها الرجل الابيض . وكانت هذه هي الفلسفة الظالمة التي اقتنع بها الرجل الاوروبي نفسه لاسباب اقتصادية في المقام الاول . وقد اشتدت مظاهر هذه التفرقة في الولايات المتحدة الامريكية على وجه الخصوص ، حيث استجلبت الاعداد الهائلة من زنوج افريقيا لتعمير العالم الجديد بالايدي الرخيصة .

وبعد ان اتيحت فرصة التعليم للعديد من زنوج امريكا ولمع منهم ادباء وفنانون ، ظهرت بينهم حركة فكرية وادبية في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . وكانت هذه الحركة في بدايتها تعكس العذاب النفسي والظلم الذي يعيش فيه الزنوج نتيجة لتسلط الرجل الاوربي الذي استولى على ارض اجدادهم وحولهم من احرار الى عبيد ارقاء .

ثم تطورت هذه الحركة لتدافع عن الرجل الاسود وتدفع عنه الشعور بالنقص لمجرد كونه اسود ، فظهرت الاشعار التي تتغنى باللون الاسود وقوة الرجل الاسود والتي تقول انه الزنجي هو صورة الله في الارض .

وكان لا بد لهؤلاء ان يبحثوا لانفسهم عن حضارة وتاريخ ينتمون اليه . ولكن احدا من الزنوج لم يكن يعرف موطنه الاصلي على وجه التحديد ، فهم جميعا يعرفون فقط انهم اتوا من القارة الافريقية ومن هنا جاء انتماؤهم الى

افريقيا ككل وليس لبلد محدد .

واراد هؤلاء المفكرون الاوائل من الزنوج ان يصححوا تلك الصورة الظالمة القاسية التي ترسخت في الاذهان عن افريقيا لفترة طويلة من الزمن كان الخوف خلالها يملأ نفوس الزنوج انفسهم من فكرة الارتباط بأفريقيا . ولذلك ظهرت حركة واسعة للتأليف عن تاريخ القارة الافريقية وابراز البطولات الافريقية ودورها ، ومقاومة الاستعمار ، وتاريخ الامبراطوريات الافريقية القديمة ، امبراطوريات غانا ومالي وسونغاي ، وسلطنات زنجبار وسومالا وكلوت ومقديشو . وذلك كله في محاولة لتأكيد الشخصية الزنجية .

ثم امتد اهتمام هذه الحركة الى احوال افريقيا التي يعيش اهلها تحت نير الاستعمار والاضطهاد الذي يتعرض له الافريقيون وخاصة في جنوب افريقيا حيث تشتد وطأة التفرقة العنصرية . وكان هذا هو الطريق الى حركة البان افريكانزم « Pan Africanism » او ما اصطلح على تسميتها بالجامعة الافريقية .

وقد تبلورت هذه الحركة لتأخذ شكلا اكثر تحديدا بعقد سلسلة من المؤتمرات ابتداء من عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩٤٥ شملت العديد من الافارقة الذين يتعلمون في جامعات اوربا . واطلق على هذه المؤتمرات « مؤتمرات الجامعة الافريقية » « Pan African Congress ».

وكان المؤتمر الاول في لندن (١) وانتهى بتوجيه مذكرة الى ملكة بريطانيا يحتج فيها المؤتمرون على سوء معاملة الافارقة في جنوب افريقيا وروديسيا . وعقدت المؤتمرات الثلاثة التالية في عواصم اوربية والمؤتمر الخامس في نيويورك . واهتمت هذه المؤتمرات الخمسة جميعها بحقوق الوطنيين الافريقيين ولكنها اكتفت بالمطالبة بأشراكهم في الحكم دون المناداة بالاستقلال . وكانت هذه المؤتمرات تحت سيطرة وقيادة المفكرين من زنوج امريكا وجزر المارتينيك .

بعد قيام الحرب العالمية الثانية انتقل مركز ثقل الحركة الافريقية الى لندن ، وكان بها كثير من التنظيمات الافريقية التي اقامها الافريقيون الذين يدرسون هناك . وامكن لبعض الذين اشتركوا في المؤتمرات السابق ذكرها

---

(١) دعي لهذا المؤتمر محام من ترنداد هو سليفستر وليامز « Sylvester williams » وهو اول من تكلم عن الجامعة الافريقية . وقد حضر هذا المؤتمر الدكتور وليام دي بوا « W. Du Bois » الذي راس جميع المؤتمرات الخمسة اللاحقة بعد ذلك والذي لقب بابي الجامعة الافريقية .

المساهمة في اقامة تنظيمات سياسية مع الافارقة الموجودين في لندن .

وفي عام ١٩٤٤ اتحدت مجموعة من التنظيمات والجماعات الافريقية مكونة تنظيما جديدا بأسم « Pan African Federation » وكانت هذه المجموعة هي التي وجهت الدعوة للمؤتمر الافريقي السادس من سلسلة مؤتمرات الجامعة الافريقية والذي عقد في مانشستر عام ١٩٤٥ برئاسة دكتور وليام دي بوا . وقد برز في هذا المؤتمر عدد من القيادات الافريقية التي تولت زمام الامور في افريقيا بعد ذلك من امثال نكروما وجوموكنياتا .

وقد اثبت هذا المؤتمر ان الحركة الافريقية قد نضجت كثيرا خلال المده الاخيرة واصبحت حركة ذات اتجاهات واضحة متبلورة الى حد كبير ، واصبحت معاداة الاستعمار والامبريالية هي الخط الرئيسي للحركة الافريقية . ولاول مرة يدعو هذا المؤتمر للاستقلال الوطني باعتباره الحل الوحيد لتحقيق اماني الشعوب الافريقية كما ذهب المؤتمر الى حد التلويح باستخدام القوة لتحقيق ذلك . كما احتوت قراراته على ادانة لاحتكار رأس المال وادانة لتسخير الثورة والصناعة من أجل الربح الخاص فقط . ورحب المؤتمر بالديمقراطية الاقتصادية باعتبارها وحدها الديمقراطية الحقيقية . وطالب كذلك بالاستقلال الاقتصادي بجانب الاستقلال السياسي .

ورغم أن المؤتمر لم يأت بذكر كلمة الاشتراكية في قراراته الا انه كان من الواضح أن الافكار الاشتراكية كانت قد بدأت تتسرب الى عقول قادة الحركة الافريقية . ولا شك ان هذا المؤتمر كان بمثابة قفزة كبيرة حققتها الحركة الافريقية الا انها بقيت حتي ذلك الوقت محصورة كحركة سوداء تعني بحق الرجل الاسود . وعندما نتكلم عن افريقيا نعني أرض الزنوج او افريقيا السوداء جنوب الصحراء . وان كانت هذه الحركة قد أبدت اهتماما بشعوب اسيا وبعض قضاياها فلانها شعوب ملونة تعاني ما يعانيه رجل افرقيا الاسود .

ويلاحظ غياب الشمال الافريقي عن نشاط هذه المؤتمرات . بل ان المؤتمر الثاني الذي عقد في باريس كان يضم بخلاف الاعضاء الاصليين اعضاء متآخين « Fraternal Delegates » من الهند والفلبين والمغرب . أي أن المغرب وهو من شمال أفريقيا عومل نفس معاملة الدول الاسيوية غير الافريقية . فقد كانت الحركة الافريقية حتى ذلك الوقت مهتمة بالرجل الاسود تريد أن تعيد له كرامته وتحقق له استقلاله .

وقد برز في حياة الزنوج الامريكيين دعوة « العودة الى أفريقيا » بأعتبارها حلا لمشكلة التفرقة العنصرية في امريكا . ولا أريد الخوض في تفاصيل هذا الموضوع الذي يطول الحديث عنه ، ولكن كل ما يهمنا من أمر

هذه الدعوة هو الحديث عن احد روادها وهو « ماركوس جارفي » باعتباره احد قادة الحركة الافريقية الذين تأثر بهم كثير من القادة الافريقيين ودعـــاة الوحدة الافريقية . فقد كانت دعوة جارفي مبنية على نظرية النقاء العنصري Racial Purity ولذلك كان يكره المخلطين ويحمل عليهم وكان يقول : « اعتقد في عنصر اسود نقي كما يعتقد البيض فيعنصر ابيض نقي » ورفض استعمال كلمة ملون واستعمل جارفي دائما كلمة زنجي أو اسود حتى يستبعد العناصر الملونة الاخرى من غير الزنوج .

وقد اعلن جارفي نفسه رئيسا مؤقتا لجمهورية افريقيا . وهـــي جمهورية رعاياها هم الزنوج في جميع انحاء العالم وكان ذلك عام ١٩٢٠ في نيويورك حيث شكل حكومته المؤقتة . وكان جارفي يقول لن تمضي سنوات معدودة حتى يستعمر الرجل الاسود الزنجي افريقيا كلها كما يستعمـــر العنصر الابيض اوربا . كما اسس جارفي الكنيسة الارثوكسية الافريقيـــة وعين بطريركا اسود لرئاستها واستخدم مسيحيا اسود وعذراء ســـوداء كشعار لهذه الكنيسة . وكان هدف جارفي اقامة امبراطورية عنصريـــة سوداء حدودها الروحية والطبيعية والسياسية « الله وافريقيا » كما كـــان يقول دائما .

وقد لا يتسع المجال هنا للخوض في تفاصيل اكثر عن هذه الحركة التي ثار من حولها جدل كبير . ولكن الامر الذ ييهمنا ايضاحه هو أن فكر جارفي هذا كان احد التيارات الهامة داخل الحركة الافريقية . ولا يمكن ان نتصور بطبيعة الحال أن مثل هذا الاتجاه كان يمكن ان يقود الى وحدة كل الشعوب الافريقية فالعرب ليسوا زنوجا حتى يكونوا من رعايا امبراطورية جارفـــي المعلنة .

ومن الغريب ان المصري الوحيد الذي تردد اسمه في اي شيء يتعلـــق بالحركة الافريقية او حركة الجامعة الافريقية التي ملأت الولايات المتحـــدة ولندن وباريس لفترة طويلة من الزمن واسمه دوس محمد علي (١) كان على صلة بدعوة جارفي هذه والتي مهما بلغت درجة التعاطف معها فلا يمكـــن ان

---

(١) قال جورج بارمور في كتابه « Pan African or Communism »

ان جارفي عندما ذهب الى لندن لاول مرة قضى عدة سنوات يعمل مع مصري من اصـــل سوداني هو دوس محمد علي الذي كان محررا باحدى المجلات المعادية للامبريالية وكان محمد علي من مؤيدي سعد زغلول زعيم الوفد ولكن من الواضح ان دوس محمد علـــي هذا لم يباشر نشاطه المتعلق بهذه الحركة .

ننفي عنها صفة العنصرية .

واذا انتقلنا الى ميدان الفكر والادب الذي كان ازدهاره اكثر ما يكون في باريس سنجد نفس الاتجاه الذي كان يحصر الحركة الافريقية داخل افريقيا السوداء ويجعلها أسيرة لرد فعل الاضطهاد العنصري ويبقيها حركة بين الزنوج ومن اجلهم .

ففي نفس الوقت الذي انتقل فيه نشاط الحركة الافريقية السياسي من الولايات المتحدة الامريكية الى لندن ، اصبحت باريس مركزا لحركة الادب والفكر الافريقي حيث ظهرت فلسفة او حركة جديدة عرفت باسم « الزنوجة » Negratude والتي تعاون كل من ايميه سيزير Aimé Cessire من جزر المارتينيك وليوبولد سينغور « رئيس جمهورية السنغال بعد ذلك » في بلورتها . وكما هو واضح من اسم هذه الحركة فهي تهتم بالاصل الزنجي وتدور فلسفتها كلها حول الرجل الاسود الزنجي تريد ان تحقق له ذاته وتعيد له ثقته بنفسه . وهي من أجل ذلك تريد اكتشاف الجذور الصلية للزنجية مجردة من تأثيرات الثقافة الغربية ، تدعو للبحث عن عادات الزنوج وتقاليدهم المفقودة ، وهي ترى امكانية الوصول الى ذلك من خلال الفن والادب الافريقي ، فهو القادر على توضيح النفس السوداء واظهارها .. وهكذا يمكن لزنجي ان يواجه عالما يجد فيه ذاته وله فيه دوره المميز .

ورغم أن هذه الحركة الفكرية التي نبتت في جزر المارتينيك ونضجت في باريس كان لها مساهمتها وأثرها البعيد في تدعيم الدعوة للوحدة الافريقية عن طريق تأكيد الشخصية الافريقية وايجاد وحدة الفكر ، الا ان ذلك ايضا كان محصوراً بين الزنوج فقط وبذلك فان الوحدة التي كان يمكن ان تؤدي اليها مثل هذه الحركة هي وحدة افريقيا السوداء .

وحتى هذه الدعوة للوحدة قد اصابها الضرر من الاثار الجانبية التي خلفتها هذه الحركة نفسها — حركة الزنوجة — لانها وان كانت تهتم بالزنوجة بصفة عامة ، فأنها لم تصادف النجاح المنشود الا بين الزنوج الناطقين بالفرنسية فقط والذين تأثروا بالثقافة الفرنسية . وعندما انتقل الى القارة الافريقية كان تأثيرها مقصورا على دول الفرانكوفون الناطقة بالفرنسية فقط وكان من بين العوامل التي ساعدت في ظهور تقسيم جديد في افريقيا بين ما سمي بدول الانجلوفون (الناطقة بالانجليزية) ودول الفرانكوفون . وهو تقسيم عانت منه الوحدة الافريقية اشد معاناة .

وحتى نكروما عندما بدأ في مناقشة فكرة انشاء « اتحاد الجمهوريات الافريقية الاشتراكية » مع بعض اصدقائه في لندن عام ١٩٤٦ لم يشرك معه تنظيمات او أي قيادات من الشمال الافريقي رغم أن الحركة الوطنية في هذه

المنطقة كانت متقدمة عنها في جميع مناطق افريقيا الاخرى . وانتهى نكروما الى انشاء « السكرتارية الوطنية لغرب افريقيا » في لندن عام ١٩٤٦ لتكون نواة لدعوته للوحدة الافريقية وبقي نشاطه الاخر محصورا في أفريقيا السوداء الى ان استقلت غانا .

وقد عملت الدول الاستعمارية من ناحيتها دائما على تدعيم فكرة الفصل بين افريقيا العربية وافريقيا السوداء واعتبار الصحراء الفاصل العازل بينهما . وقد ظهر ذلك جليا في التقسيمات الاقليمية وخطوط المواصلات التي اقامتها هذه الدول لتربط مستعمراتها ، كما ظهرت في مناهج التعليم والمؤلفات الغربية عن افريقيا .

وهكذا نرى ان الحركة الافريقية استمرت في مجملها مقصورة على افريقيا السوداء وان الوحدة الافريقية كانت تعني وحدة الاقطار السوداء الى ان قامت ثورة يوليو المصرية وجاء عبد الناصر ليعلن في كتابه فلسفة الثورة « .. اننا لا نستطيع بأية حال ان نقف بمعزل عن الصراع الدامي المخيف الذي يدور اليوم في افريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتي مليون من الافريقيين . وسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا نحن الذين نحرس الباب الشمالي للقارة الذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجي كله . لن نستطيع بحال من الاحوال ان نتخلى عن مسؤولياتنا في المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى اعماق الغابة العذراء ، ان القارة المظلمة الان مسرح لفوران عجيب مثير ولن نستطيع بحال من الاحوال ان نقف امام الذي يجري في افريقيا ونتصور انه لا يمسنا ولا يعنينا » .

وكانت هذه نقطة تحول في تاريخ السياسية الخارجية المصرية واستراتيجيتها وبداية للاهتمام بالقارة الافريقية على أساس جديد هو وحدة النضال من اجل تحرير أفريقيا كلها . لقد كان هذا هو المدخل الصحيح لافريقيا الذي جاء متمشيا مع روح العصر وتطور الحركة الافريقية نفسها . فقد وضع عبد الناصر يده على مشكلة افريقيا وحدد بوضوح موقف مصر التي اصبحت منذ ذلك الوقت طرفا الى جانب القوى الوطنية الافريقية في كل صراع جرى بعد ذلك وكان الاستعمار طرفا فيه ضد هذه القوى .

وقدمت مصر كل مساعدة ممكنة لحركات التحرير والقوى الوطنية في افريقيا ، وهذا ما سوف نتعرض له تفصيلا فيما بعد — حتى اصبحت القاهرة القاعدة الاساسية لتحرير القارة ، فسقطت التقسيمات المصطنعة التي أريد لها أن تفصل بين أفريقيا العربية شمال الصحراء وما سمي بأفريقيا السوداء جنوب الصحراء . فالصحراء في حقيقة الامر لم تكن في يوم من الايام عازلا كما أراد لها الاستعمار ، بل كانت دائما معبرا اتصل من خلالها العرب بغرب أفريقيا وعن طريقها دخل الاسلام الى هذه الاقطار .

ويجدر بنا الاشارة في هذا المكان الى أنه من غير الممكن وضع حدود فاصلة بين العرب الافارقة وبقية سكان القارة ، فقد انتشر العرب في القارة كلها شرقها وغربها وتداخلت القبائل العربية في القبائل الافريقية وتزاوج العرب والافريقيون ، واحدث العرب تأثيرا كبيرا في حياة كثير من الشعوب الافريقية فأمتزجت الحضارة الاسلامية العربية بالحضارة الافريقية القديمة وظهر ذلك جليا في أوسع الغات الافريقية انتشارا مثل السواحيلي في الشرق والهوسا في غرب افريقيا . وربما كان هذا هو الفارق الكبير بين هذه الحضارات والحضارة الاوربية التي اريد لها ان تكون حضارة طاردة في افريقيا أي أنها تتطلب من الافريقي أن يترك عاداته واسلوبه في الحياة ليعتنق عادات وسلوكا جديدا حتى يصبح رجلا « متمدينا » كما كانت تتطلب بعض السياسات الاستعمارية كسياسة الاستيعاب « Assimilation » الفرنسية وهي ايضا نفس الشروط التي كان يتطلبها الاستعمار البرتغالي ليحصل المواطن الافريقي على الحقوق السياسية الكاملة .

ويهمنا ان نؤكد هنا ايضا أن الثورة المصرية عندما اتجهت بمصر افريقيا لم تكن بذلك تختلق وضعا جديدا او تدخل شيئا غريبا عن الشخصية المصرية وانما كان ذلك بمثابة اكتشاف لشخصية مصر الحقيقية او كشفا عن وجهها الافريقي الذي هو حقيقة بحكم الواقع وان احتجب او تاهت ملامحه فترة من الزمن .

الفصل الثاني

عبد الناصر وحركة التحرير الافريقية

بداية فـــي السودان
التزام مصر بمسؤولياتها الدولية في الصومال
مصر تؤيد حركة الماو ماو في كينيا
الاذاعة الافريقية الموجهة من القاهرة
الثورة الجزائرية وتصفية الامبراطورية الفرنسية
عبد الناصر والتضامن الافريقي الاسيوي
المكاتب السياسية لحركات التحرير الافريقية في القاهرة
الرابطـــة الافريقيـــــة
المساعدات المصرية لحركات التحرير

التقت الحركة الوطنية في العالم مع الثورة المصرية وتجاوبت مع فكرها وحركتها في سرعة مذهلة ، الامر الذي دعم مصر في مواجهة تحديات الاستعمار . ولا شك ان ذلك كان من الامور التي شجعت عبد الناصر ليعجل بمد نشاطه الى افريقيا والاتصال بحركات التحرير فيها .

الا أن الوضع في افريقيا كان مختلفا كثيرا عن الوضع في الوطن العربي ، فمجرد الاتصال بالحركات الوطنية في افريقيا كان في البداية امرا بالغ الصعوبة . كما أن المعلومات المتوفرة عن هذه الحركات كانت قليلة جدا ، وقبضة الاستعمار القوية تقيم الحواجز بيننا وبين شعوب هذه المنطقة حتى انه لم يكن يسمح بسهولة باضافة القاهرة على جوازات السفر الافريقية . كما كان اي مصري يجد صعوبة كبيرة في مجرد دخول هذه المستعمرات . ولذلك كان لا بد لنا من التحايل لدخول هذه الاقاليم لاستكمال الدراسات الميدانية والاتصال بالحركات الوطنية التي لم تكن هي بدورها تعلم الكثير عما يدور في مصر .

ومن أجل اقامة الاتصال مع الحركات الوطنية كنا نتصيد الزعماء المسلمين من أفريقيا عندما يذهبون للحج والقادة السياسيين عندما يذهبون الى عواصم الدول الاستعمارية نفسها . واستفدنا بمعلومات الالاف من الدارسين الافارقة في الازهر الذين ساعدونا كثيرا في الاتصال بالزعماء الوطنيين في بلادهم .

وسرعان ما تبدل الحال بعد أن توطدت علاقتنا بالعديد من الحركات الوطنية في افريقيا وذاع صيت القاهرة كقاعدة للتحرير وخاصة بعد حرب السويس . وأصبح الافارقة هم الذين يتحايلون للوصول الى القاهرة والاتصال بها ، رغم تشدد سلطات الاستعمار ومحاولتها وقف هذه

الاتصالات او تقييدها .

وقد قدمت ثورة يوليو نموذجا جديدا للتحرير في افريقيا ، فلم تكن الحركة الوطنية في افريقيا تعرف حتى ذلك الوقت طريقا للاستقلال سوى طريق التطور الدستوري . وهو الطريق الذي ادى الى استقلال الهند من قبل والذي تأثرت به الحركة الوطنية في افريقيا ، وخاصة في مناطق الاستعمار الانجليزي حيث كان للهند صلات كبيرة من خلال الجاليات الهندية الموجودة في هذه المناطق ، ولتأثر كثير من زعماء الحركة الوطنية بفلسفة المهاتما غاندي الذي بدأ حياته السياسية في جنوب افريقيا .

وكان الجديد الذي جاءت به ثورة يوليو هو أسلوب استخدام القوة في الضغط على الانجليز لاجلاء قواتهم عن مصر وذلك بتنظيم المقاومة المسلحة ضد الوجود البريطاني في منطقة القنال .

واستطاع عبد الناصر ان يبهر الافارقة ويجذب انظارهم الى القاهرة بعد النجاح الذي حققته هذه السياسة بجلاء القوات الانجليزية عن هذا الموقع الاستراتيجي الهام وفشل العدوان الثلاثي الذي اعتبر بحق نقطة تحول اساسية في تاريخ نضال الشعوب بل ان الكثيرين يعتبرون ذلك هو النهاية الحقيقية للاستعمار التقليدي .

وكان خروج عبد الناصر من هذه المعركة منتصرا بعد أن امم قناة السويس يعني الكثير بالنسبة لحركات الوطنية الافريقية التي كانت ترى الشركات الاجنبية والاحتكارات الراسمالية وهي تستولي على مقدرات وثروات بلادها .

وقد خرج عبد الناصر من معركة السويس اكثر تهيؤا للقيام بدور جديد في افريقيا . فقد فتح له هذا الانتصار ابواب الاتصال بحركات التحرير الافريقية التي رأت في عبد الناصر المثل والحليف القوي والعنيد . واصبح الافارقة هم الذين يتحايلون للوصول الى القاهرة والاتصال بقادتها .

ثم بدأ عبد الناصر يدخل الى قلب الحركة الافريقية ، وذلك من خلال مواقف عديدة . وتبني القضايا الافريقية مستمرا في تحديه لقوى الاستعمار والامبريالية فأستطاع ان يجمع حوله قوى الثورة في أفريقيا .

وسنعرض بعض هذه المواقف التي فتحت الطريق امام جمال عبد الناصر وأمام مصر الى قلب القارة الافريقية .

بداية في السودان :

كان للسياسة التي اتبعتها الثورة المصرية حيال السودان اثرها الكبير في فتح مجال العمل الافريقي امام مصر . فقد قامت هذه السياسة على أساس انهاء احتلال السودان اولا ، والدعوة لوحدة وادي النيل ، ولكن من خلال الاعتراف بحق الشعب السوداني في تقرير مصيره .

وقد استقل السودان في يناير سنة ١٩٥٦ بعد جلاء قوات الاحتلال واصبح بذلك ثاني دولة افريقية — بعد مصر — تحصل على استقلالها منذ القرن التاسع عشر وذلك بفضل اتفاقية ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ التي عقدتها مصر مع بريطانيا ، بعد ان اصر جمال عبد الناصر على ان تبدأ المفاوضات بشأن مستقبل السودان قبل التفاوض على جلاء قوات الاحتلال عن ارض مصر .

وقد خرج عبد الناصر عن الطريق الذي سار فيه جميع الزعماء الوطنيين والحكومات السابقة في مصر في المطالبة بسيادة على السودان او حق ضمه الى الارض المصرية كما كانت تطالب معظم الاحزاب المصرية قبل الثورة . بل ان الملك فاروق كان قد ذهب الى حد اعلان نفسه ملكا على مصر والسودان . فقد فاجأ عبد الناصر الانجليز انفسهم عندما وافق على اجراء استفتاء عام في السودان من اجل تقرير المصير بعد تهيئة الجو الحر المحايد. وكان ذلك امرا يصعب على الانجليز رفضه بعد ان كانوا هم انفسهم يطالبون به كمناورة للرد على شعارات وحدة وادي النيل التي رفعتها مصر ، ولاعتقادهم ان النظام الجديد لن يقبل بغير ذلك بعد ان سبق ان اعلنت مصر ان السودان جزء لا يتجزأ من أراضيها ، وذلك في العهد السابق على الثورة.

وتم الاتفاق على فترة انتقال مدتها ٣ سنوات يتم فيها تصفية الادارة الثنائية وان يكون للحاكم العام اثناء هذه الفترة السلطة الدستورية العليا تعاونه لجنة خماسية فيها عضوان سودانيان وعضو باكستاني وآخر مصري علاوة على العضو الانجليزي . وتقرر تأليف جمعية تأسيسية منتخبة لتقرير مصير السودان على أساس احد الاختيارين :

أ) — ارتباط السودان بمصر على اية صورة .

ب) — او الاستقلال التام — اي الانفصال عن مصر .

كما تقرر ان تنسحب القوات العسكرية المصرية البريطانية من السودان فورا عندما يعلن البرلمان السوداني عن رغبته في الشروع في اتخاذ التدابير الخاصة بتقرير المصير .

ولا شك ان هذه كانت خطوة جريئة وواعية في نفس الوقت من جمال عبد الناصر . فهي جريئة لان الرأي العام المصري الذي ردد شعار وحدة وادي النيل لفترة طويلة من الزمن كان ينتظر من قادة الثورة العسكريين ان يكونوا اكثر تشددا من الملك الذي اعلن ضم الاراضي السودانية الى مملكته.

وكانت هذه الخطوة واعية لان عبد الناصر بموافقته على ان يكون لشعب السودان الحق في تقرير مصيره ، اثبت انه يفكر ويتصرف بروح العصر . فقد اراد عبد الناصر لاي رابطة تقوم مع السودان ان تكون منبثقة عن رغبة شعبية وليست استنادا الى حقوق مكتسبة من التاريخ او حق الفتح كما كان يطالب البعض . كما راي عبد الناصر انه مهما كان اختيار الشعب السوداني فان هذه الاتفاقية تضمن تصفية الوجود البريطاني في السودان ، وان هذا هو ما كان يريده في المقام الاول . فبقاء القوات البريطانية في القطر الشقيق يهدد امن وسلامة مصر ولن يكون لجلاء هذه القوات عن مصر معنى حقيقي اذا كانت باقية في السودان .

ورغم ان مصر عملت طوال سنوات فترة الانتقال الثلاث على محاولة اقناع الشعب السوداني للارتباط بمصر وتحقيق وحدة وادي النيل ، الا انها لم تتردد في تأييد استقلال السودان ومباركته عندما ادركت ان هذه هي رغبة الاغلبية العظمى للشعب السوداني . فعندما ابلغت حكومة الازهري في عام ١٩٥٥ حكومتي مصر وانجلترا برغبة الجمعية التأسيسية في سحب جيش الاحتلال لاجراء الاستفتاء المنصوص عليه في جو حر محايد ، سارعت مصر على الفور بسحب قواتها تاركة اسلحتها الثقيلة هدية لجيش السودان ، واضطر الجيش الانجليزي للرحيل هو الاخر منهيا بذلك احتلاله للسودان . وعندما اعلنت حكومة الازهري قيام الجمهورية السودانية في ١٩ ديسمبر سنة ١٩٥٥ وتم تشكيل مجلس قيادة لرئاسة الدولة ، دون انتظار لاجراء الاستفتاء المنصوص عليه ، لم تطالب مصر باتمام هذا الاستفتاء وسارعت بالاعتراف بالجمهورية المستقلة الجديدة التي اعلن استقلالها في اول يناير سنة ١٩٥٦ . وكانت مصر اول دولة اعترفت بالسودان .

والحقيقة ان مصر لم تصر على اجراء الاستفتاء المنصوص عليه في الاتفاقية ، لانها كانت قد ادركت بما لا يقبل الشك ان نتيجته لن تكون في صالح الارتباط بمصر . فقد كان الحزب الوطني بزعامة الازهري — وهو محور الدعوة للوحدة بين القطرين — قد تخلى هو الاخر عن هذه الدعوة ووقف مع الاستقلال . ولذلك اراد عبد الناصر ان يكسب مشاعر الجماهير السودانية وهي تحتفل باستقلالها .

وهكذا فان مصر وان كانت قد خرجت من السودان دون ان تحقق الوحدة التي كانت تنشدها الا انها كانت قد فتحت امامها مجال العمل في

افريقيا كلها ، بالتزامها واخلاصها للمبادىء الاساسية التي قامت عليها سياستها الافريقية بعد ذلك ، وهي تصفية الاستعمار وحق تقرير المصير .

التزام مصر بمسؤوليتها الدولية في الصومال :

كان الصومال من اول البلاد التي اهتم بها عبد الناصر والتزمت مصر بمساعدة الحركة الوطنية بها . ولم يكن ذلك فقط من اجل موقع الصومال الاستراتيجي الهام في القرن الافريقي وفي مواجهة ميناء عدن ، ولا من اجل التكوين الانثروبولوجي للشعب الصومالي الذي يعتبر — شأنه في ذلك شأن الشعب الموريتاني — همزة الوصل بين عرب افريقيا وزنوجها ، ولكن كان السبب الاساسي هو مسؤولية مصر الدولية في الصومال حيث كانت تشترك في عضوية المجلس الاستشاري التابع للامم المتحدة في الصومال .

فقد كان الصومال من الاقاليم الموضوعة تحت وصاية الامم المتحدة والادارة الايطالية وكانت الامم المتحدة قد انشأت هيئة تابعة لها هي « المجلس الاستشاري » منذ عام ١٩٥٠ مكونة من ثلاث دول هي مصر وكولومبيا والفلبين بقصد الاشراف على الادارة في الصومال والتأكد من قيادة البلاد نحو الاستقلال خلال فترة تنتهي في عام ١٩٦٠ ، وكان وجود مصر في هذا المجلس يعتبر شكليا قبل قيام ثورة يوليو ، فلم يكن لديها القدرة ولا الرغبه في الاصطدام بالقوى الاستعمارية من اجل القوى الوطنية في الصومال .

وتغير وضع مصر في الصومال بعد الثورة المصرية حيث قررت ان تتحمل مسؤولياتها الدولية كاملة مستفيدة من تواجد مندوبها في المجلس الاستشاري هناكفتبنت وجهة النظر الوطنية وتولت الدفاع عنها وقدمت المشورة السياسية والخبرة القانونية للاحزاب والحركات الوطنية هناك وساعدتها في مقاومة المناورات التي تهدف الى تأخير تسليم السلطة للوطنيين ، كما قامت بمقاومة خطط الادارة الايطالية التي كانت تحاول طمس الملامح العربية للصومال .

وكان الصومال في ذلك الوقت يشهد صراعا عنيفا بين العديد من القوى الاستعمارية والاجنبية التي اتاحت لها الظروف التواجد في الصومال والاهتمام — بحكم مصالحها واطماعها في المنطقة — بمستقبل هذا القطر . وكانت هذه القوى رغم تضارب مصالحها تشكل خطرا على الاستقلال الحقيقي للاقليم .

وكان الايطاليون يمثلون اخطر هذه القوى الاستعمارية ، فهم يملكون سلطة الادارة ، كما كانوا يسيطرون عن طريق الشركات الايطالية سيطرة كاملة على اقتصاد الاقليم ، ويملكون معظم الاراضي الخصبة ، ولا يريدون تغيير هذه الاوضاع ، ويخططون لكي تبقى اقتصاديات الاقليم معتمدة على الاقتصاد الايطالي وتحت سيطرة الاحتكارات الايطالية .

وكانت الادارة الايطالية تتباطأ ايضا في اتخاذ الخطوات اللازمة لتسليم السلطة للصوماليين كما هو مفروض ، مثل اشراكهم في الادارة والتدرج في التمثيل النيابي . وكان هذا التباطؤ يهدف الى تأجيل موعد الاستقلال . وكان الايطاليون يعملون ايضا على القضاء على الملامح العربية للاقليم وذلك باهمال تعليم اللغة العربية واحضار بعثة تبشيرية كاثوليكية عملت على نشر وتعليم اللغة الايطالية في الصومال . ثم عملت على قيام دعوة من اجل احياء اللغة الصومالية وكتابتها بالحروف اللاتينية ، كل ذلك من اجل ابعاد الاجيال الصومالية عن مصادر الثقافة العربية وانتزاع اهم الجذور التي يمكن ان تربط بالعالم العربي .

اما القوة الاستعمارية الثانية فهي بريطانيا التي كانت في ذلك الوقت تستعمر جزءا من الاراضي الصومالية وهو ما عرف « بالصومال الانجليزي » كما كان نفوذها متغلغلا في الاقليم عن طريق بعض الشركات التي قامت عندما احتلت بريطانيا الصومال الايطالي عام ١٩٤٢ عقب هزيمتها للايطاليين اثناء الحرب العالمية الثانية الى ان سلمت لهم الادارة مرة اخرى عام ١٩٥٠ بناء على قرار الامم المتحدة .

وكانت بريطانيا تسعى لادخال الصومال بعد الاستقلال في رابطة الكومنولث البريطانية ، وكانت من اجل ذلك لا تمانع في منح الاستقلال لاقليم هرجيسة الخاضع لها (الصومال الانجليزي) على ان يتحد اقليما الصومال في دولة مستقلة واحدة مع بقاء نفوذها بطبيعة الحال في الدولة الجديدة .

وكانت فكرة الاتحاد هذه في حد ذاتها تجد تأييدا شعبيا ساحقا في الاقليمين . ولكن ايطاليا كانت تعارضه بشدة وكذلك فرنسا الموجودة في اقليمجيبوتي . وكانت بريطانيا بهذا الموقف من الاتحاد تحاول اقامة الجسور بينها وبين حزب الاغلبية في الصومال وهو حزب وحدة الشباب الصومالي .

اما الخطر الثالث الذي واجهه الصومال فكان اثيوبيا التي كانت تسعى الى ضم الاقليم اليها بصفتها « الوطن الام » كما كانت تدعى ، ذلك بعد أن كانت قد نجحت في ضم جزء من الصومال هو اقليم الاوجادين . وكانت الولايات المتحدة الامريكية تقف وراء نشاط اثيوبيا وتدعمه حيث كانت في ذلك الوقت تتخذ من اثيوبيا قاعدة لها وأداة لتنفيذ سياستها الافريقية وخاصة في هذه المنطقة الاسلامية والتي كان يحلو لاثيوبيا ان تصف نفسها فيها بانها

جزيرة مسيحية تحيط بها شعوب اسلامية من كل جهة .

ورغم تعارض اهداف هذه القوى الاجنبية الاستعمارية في الصومال ، الا انها جميعها كانت متفقة على ضرورة القضاء على الملامح العربية الصومالية . كما كانت تتفق في حماسها لايجاد علاقة اقتصادية بين الصومال واسرائيل التي كانت قد اقامت مجزرا آليا في جيبوتي وانشأت شركات في اثيوبيا اهمها شركة انكودا التي كانت تسعى لان يمتد نشاطها الى الصومال تمهيدا لاقامة علاقات سياسية مع اسرائيل بمجرد استقلاله .

وقد ساعد تعدد الاحزاب الصومالية (وصل عددها الى ١٩ حزبا في وقت من الاوقات) على ان يكون لكل من هذه القوى الاجنبية المهتمة بشؤون الصومال ، الحزب او الاحزاب المؤيدة لها . فكانت ايطاليا تعتمد على حزب المؤتمر الصومالي والحزب الديمقراطي اما اثيوبيا فكان لها حزب شباب الصومال الاحرار .

ووسط هذا الصراع العنيف لهذه القوى التي كانت تتآمر على مصالح الشعب الصومالي جاءت مصر بعد الثورة لتلعب دورا تاريخيا في مساندة القوى الوطنية في الصومال في نضالها من اجل الاستقلال الحقيقي والاحتفاظ بمقومات الشخصية الصومالية بجذورها العربية الافريقية الاسلامية . واستندت مصر في نشاطها الى وضعها القانوني في المجلس الاستشاري الذي كان يعطيها حق محاسبة الادارة الايطالية عن طريق الامم المتحدة كما اعطاها ذلك حق الوجود في مقديشو والاتصال بكافة الهيئات والتنظيمات السياسية في الصومال وتقديم المساعدة لها .

وتبنت مصر وجهه نظر الاغلبية الساحقة في الصومال التي كانت تريد الاستقلال الكامل ووحدة جميع الاراضي الصومالية . وهو ما ترمز له النجمة الخماسية التي تتوسط العلم الصومالي اشارة الى الصومالات الخمسة في ذلك الوقت (الايطالي والانجليزي والفرنسي والاثيوبي والكيني) كما كانت هذه الاغلبية تطالب باللغة العربية لغة رسمية للبلاد ، فالشعب الصومالي شعب مسلم يعرف معظمه اللغة العربية .

وقد قدمت مصر مساعدات كثيرة للصومال في هذا المجال وذلك بامداد المدارس العربية التي كانت تفتحها الجمعيات والاحزاب الوطنية بالمدرسين المصريين والكتب العربية . كما اعطت الكثير من المنح الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات المصرية لابناء الصومال كما فتح الازهر ابوابه لاعداد هائلة من الصوماليين وأرسل بعثة ازهرية الى الصومال كان اعضاؤها يخطبون في الجوامع بجانب رسالتهم التعليمية وكان لهؤلاء أثر عظيم في تعبئة الشعور الوطني هناك وتوجيهه لمقاومة الاستعمار .

وفي الوقت الذي توطدت فيه العلاقة بين مصر وحزب الاغلبية في

الصومال « حزب وحدة الشباب الصومالي » نتيجة تبنيها للقضايا الرئيسية التي تضمنها برنامج هذا الحزب ، لم تهمل مصر بقية الاحزاب والتنظيمات والزعماء الدينيين وحتى تجار الماشية الذين كانوا يمثلون مركزا هاما من مراكز التأثير الشعبي . فقد عملت مصر على استيراد جزء كبير من احتياجاتها من الماشية من الصومال ، الامر الذي ربط مصالح هؤلاء التجار بالقاهرة وجعلهم يترددون عليها كثيرا .

وبمرور الوقت تعاظم نفوذ مصر في مقديشو لوقوفها باستمرار مع القوى الوطنية ولاقتناع الغالبية العظمى لشعب الصومالي بأنها الدولة الوحيدة بين القوى المتصارعة في الصومال التي قبلت الدخول في هذا الصراع دون ان تكون لها أطماع ذاتية وخاصة بعد أن وضحت سياسة عبد الناصر المناهضة للاستعمار . واصبح المندوب المصري في مقديشو مصدرا مستمرا لازعاج القوى الاستعمارية وخاصة الادارة الايطالية التي يملك المندوب محاسبتها باسم الامم المتحدة بحكم وجوده في المجلس الاستشاري .

وفي مارس سنة ١٩٥٧ اغتيل المندوب المصري كمال الدين صلاح وكان من أكفأ العناصر الدبلوماسية وجاء ذلك على يد احد الصوماليين . ورغم ان التحقيق لم يصل الى نتيجة حاسمة فان اصابع الاتهام كلها كانت تشير الى الادارة الايطالية التي كانت تريد تصفية الوجود المصري بعد أن كانت قد ضاقت بنشاط المندوب المصري هناك .

وقد كلفت عقب هذا الحادث بالسفر الى مقدشيو لدراسة الحالة هناك ومتابعة التحقيق في مقتل المندوب المصري . واقمت في دار المندوب وقمت باتصالات واسعة مع جميع العناصر الوطنية هناك متعمدا اظهار حجم هذه الاتصالات امام الادارة الايطالية . كما قمت بنشاط واسع بين الجماعات الدينية والتقيت بالجموع الصومالية في الجوامع والجمعيات واماكن التجمع . وكان الغرض من ذلك هو تأكيد دور مصر واظهار اصرارها على المضي في تحمل مسؤوليتها التاريخية كاملة . ولم يمض على وجودي في مقدشيو اكثر من بضعة أيام حتى أبلغت الادارة الايطالية القنصل المصري هناك بأنني اصبحت شخصية غير مرغوب فيها وطلبت أن اغادر مقدشيو في ظرف ٤٨ ساعة .

وانتشر الخبر في جميع انحاء المدينة فتوافد على محل اقامتي اعداد كبيرة من الوطنيين الصوماليين والسياسيين من أصدقاء مصر ومن المؤمنين بأهمية الدور المصري في الصومال ووقوفه في مواجهة الادارة الاستعمارية، وكانوا جميعا في اشد حالات السخط على الادارة الايطالية ولكنهم يترقبون ما سوف تسفر عنه هذه المواجهة .

أما في القاهرة فقد استدعي السفير الايطالي الى وزارة الخارجية

بناء على تعليمات الرئيس جمال عبد الناصر ، واخطره السيد عبد الفتاح حسن نائب وزير الخارجية وقتئذ ان السفير الايطالي نفسه سوف يعتبر شخصية غير مرغوب فيها وسيكون عليه مغادرة القاهرة فورا اذا لم ترجع الادارة الايطالية في مقدشيو عن قرارها الخاص بابعادي . واضطرت الادارة الايطالية الى التراجع عن قرارها في ذلك الحين وبقيت في مقدشيو لفترة اخرى ومارست نشاطا أوسع . وكان هذا بطبيعة الحال تعزيزا لموقفنا هناك أمام الوطنيين الذين عرفوا ان مصر تستطيع أن تقف امام النفوذ الايطالي .

وبعد عودتي الى القاهرة كان قرار عبد الناصر بتدعيم البعثة التعليمية المصرية في الصومال ، وزيادة أفراد القنصلية المصرية في مقدشيو ، كما عين مندوبا جديدا هو الدكتور محمد حسن الزيات . واستمرت مساعدة مصر للقوى الوطنية في الصومال بعد أن تضاعف حجمها . كما استأنف المندوب المصري الجديد نشاطه بنفس الحماس والاخلاص الذي بداه سلفه الى أن استقل الصومال في الموعد الذي سبق أن حددته الامم المتحدة وهو عام ١٩٦٠ .

وقد فشلت كل الجهود التي بذلت لايجاد علاقة تجارية أو اقتصادية بين الصومال واسرائيل . كما فشلت جهود بريطانيا في ادخال الدولة الجديدة في رابطة الكمنولث البريطاني رغم خروج الانجليز من اقليم هرجيسه الذي انضم الى الدولة الجديدة واصبح جزءا منها .

وقد وجهت الادارة الايطالية الدعوة لاسرائيل لحضور الاحتفال بالاستقلال ، ولكنها اضطرت الى الغاء هذه الدعوة بعد احتجاجات كثيرة من الهيئات والتنظيمات والاحزاب الصومالية كانت تنذر بتطورات خطيرة رأت الادارة الايطالية تجنبها .

وقد امتدت العلاقات القوية بين مصر والصومال الى ما بعد الاستقلال وهذا ما سوف نعود اليه في مكان اخر . ومما لا شك فيه ان المساعدات التي قدمتها مصر للصومال خلال فترة ما قبل الاستقلال ومواقفها مع القوى الوطنية هناك قد جعلت لمصر رصيدا هائلا في الصومال لا يمكن ادراكه الا لمن تهيأت له الفرصة لزيارة هذا البلد الشقيق ، ولمس مدى تحمس الشعب الصومالي للصداقة المصرية الصومالية وتقديره لثورة يوليو المصرية وارتباطه الوجداني بها .

ورغم ان انضمام الصومال بعد ذلك الى الجامعة العربية قد جاء دون شك تتويجا لهذه العلاقة الخاصة التي قامت بين مصر والصومال منذ الثورة المصرية ، الا انه يجدر الاشارة هنا الى ان عبد الناصر لم يحاول جر الصومال الى الانضمام الى الجامعة العربية بل انه في حديثه مع الزعماء

الصوماليين كان دائما ينصح بتأجيل هذا الموضوع حتى تنضج وتكتمل الفكرة داخليا وحتى تتهيأ لها الظروف المناسبة افريقيا . فقد كان يرى انـــه من الضروري للصومال أن يدعم علاقته بدول شرق افريقيا أولا وخاصة تنزانيا وكينيا قبـــل اتخاذ مـــثل هذه الخطوة لان الصومال كان يعيش فـــي شبه عزلة سياسية فرضت عليه . فقد ورث الصومال المستقل مشاكل حادة مع جيرانه اثيوبيا وكينيا نتيجة أوضاع سابقة خلقتها السلطات الاستعماريـــة قبل رحيلها، وكان ذلك هو السبب في عدم اندماج الصومال بالقدر الكافي مع دول شرق افريقيا . وكان عبد الناصر يعتقد ان انتماء الصومال الـــى الجامعة العربية قبل أن يدعم علاقته بدول شرق افريقيا قد يزيد التناقض الموجود بين الصومال وهذه الدول ويزيد من متاعبه مع الدول المجاورة .

مصر تؤيد حركة الماو ماو في كينيا :

كانت كينيا في مقدمة الاقطار التي استطاعت الثورة المصرية أن تتصل بالحركة الوطنية فيها وتؤيدها وتدعمها وتقيم أوثق الصلات مـــع زعمائها وعلى راسهم جومو كينياتا .

فقد بدأت ثورة الماو ماو بعد ثلاثة أشهر فقط من قيام الثورة المصرية عندما أعلن الانجليز حالة الطوارىء فـــي كينيا فـــي اكتوبر سنة ١٩٥٢ . وقامت حركة الماو ماو بين قبائل الكيكويو والمساي الذين طردهم المستعمر الانجليزي من أرضهم ليعيشوا في أحياء قذرة على هامش المدن يعانون من البطالة والحرمان من اي حق في حياة كريمة .

وقد حاول الاوربيون تصوير هذه الثورة على انها حركة دينية وانها حركة ارتداد الى التوحش تتطلب منهم البقاء في كينيا لاعادة الافريقيـــين وقيادتهم الى حياة التمدين .

وكان هذا كله أبعد ما يكون عن الحقيقة، فأصل المشكلة يرجع الـــى وقت انشاء الانجليز للخط الحديدي بين محبسة على ساحل كينيا وكمبـــالا في اوغندا مارا بنيروبي عاصمة كينيا . وكان هـــذا الخط يمـــر بأخصب الاراضي في كينيا وهي ما عرف بالاراضي العالية « High Lands » والتي كان يسكنها قبائل الكيكيو والمساي وهي قبائل شديدة البأس عرفت بقدرتها الفائقة على القتال .

وقد قام الحاكم الانجليزي في ذلك الوقت (سير شارلوت اليوت) بدعوة عدد من العائلات الانجليزية الغنية الارستقراطية وأغزاهم بالاقامة في كينيا وتملك هذه الاراضي العالية . وكان هدفه الاساسي حماية الخط الحديدي من تخريب القبائل المعادية . ثم أصدر أمرا بطرد القبائل الافريقية من هذه المناطق ثم أعلن أن كينيا أصبحت بلاد الرجل الابيض .

وكان الافريقيون المطرودون من هذه الارض يذهبون للاقامة في مناطق خصصت للافريقيين خارج هذه الاراضي أشبه بالمستودعات البشرية . وأصبح هؤلاء الذين لم يجدوا أماكن في هذه المناطق المزدحمة جدا ، عبيدا في الارض التي يمتلكها البيض ، وأصبح هناك حوالي ربع مليون من هؤلاء العبيد . وكان يسمح لهم بزراعة ما يقتاتون به فقط مقابل تسخيرهم هم وعائلاتهم للعمل في أرض الملاك البيض . وكان عقد العمل لهؤلاء يحرر لمدة من سنة الى خمس سنوات واذا بيعت الارض ينتقل عقد العمل الى المالك الجديد ومن يهرب منهم يمكن اعتقاله وسجنه . ولزيادة سلطان أصحاب العمل على مستخدميهم كان مفروضا على كل افريقي بحكم القانون أن يحمل تصريح عمل . وكان هذا كله مناقضا لعهود أخذتها بريطانيا على نفسها لضمان حقوق الافريقيين وجعل مصلحتهم هي المصلحة العليا .

وفي عام ١٩٥٠ قام زعماء اتحاد كينيا الافريقي الذي كان يرأسه جومو كينياتا بحملة لجمع توقيع مليون شخص افريقي لعرض قضيتهم على البرلمان الانجليزي . ثم أرسلوا مندوبين أثنين عنهم يحملان هذه التوقيعات . ولكن لم يغير ذلك شيئا من سياسة بريطانيا في جعل كينيا منطقة استيطان للرجل الاوروبي على غرار جنوب افريقيا .

ومن اجل ذلك قامت حركة الماوماو وكانت اساسا من أجل الارض . وقبض على جومو كينياتا ومعه عشرون أخرون في اكتوبر سنة ١٩٥٢ ، وقدموا الى المحاكمة التي استمرت تسعين يوما حكم عليه بعدها بالسجن سبع سنوات مع الاشغال الشاقة . وبعد شهرين من الحكم تم حل اتحاد كينيا الافريقي بحجة أن تنظيم الماوماو استخدم هذا الاتحاد كغطاء لتنفيذ عمليات العنف والقتل التي قام بها ضد البيض .

واستغل الانجليز هذه الاحداث وشنوا حملة ارهابية كان هدفها المضي في تحويل كينيا بالفعل الى بلد الرجل الابيض على غرار جنوب افريقيا وتبني سياسة مماثلة ، واستغلت السلطات قانون الطوارىء الذي كان قد صدر في سبتمبر لتصبح عمليات القمع هذه عمليات حربية وصفت نفسها وقتها بأنها اكبر حرب استعمارية أفريقيا منذ حرب البوير . تجمع أكثر من ثلاثين ألفا من القوات البريطانية لمساعدة البوليس المحلي في كينيا،

واصبحت هذه القوات في حالة حرب بالفعل مع ما أطلق عليه الافريقيون « جيش الكيوكويو لتحرير الارض » واستخدم الانجليز المدفعية والطيران في ضرب عناصر الماوماو في الجبال التي تحصنوا بها وذلك لطردهم من هذه المناطق باعتبارها محرمة عليهم .

عمليات القمع والابادة :

وقد وصل اجمالي الخسائر المعلنة في ٢٧ يناير ١٩٥٥ من واقع الاحصائيات الانجليزية ٧٨٠٠ قتيل من أفراد الماوماو ، ٧٩١ حكم عليهم بالاعدام ونفذ فيهم الحكم . وهذه الخسائر لا تشمل خسائر القذف بالطائرات والمدفعية . كما كان هناك ٧٠٠٠ أفريقي في معسكرات الاعتقال والسجون . وتم طرد ٦٠٠،٠٠٠ من افراد الكيكويو من أرضهم وتم تحطيم ١٥٠،٠٠٠ كوخ من أكواخهم .

كانت عمليات القمع والقتل والابادة التي تقوم بها السلطات البريطانية ضد ثوار الماوماو تجسيدا لذلك الصراع الذي ذكره عبد الناصر في كتابه « فلسفة الثورة » والذي قال فيه : « اننا لن نستطيع بحال من الاحوال حتى لو أردنا أن نقف بمعزل عن الصراع الدامي الذي يدور في أعماق افريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتي مليون من الافريقيين » .

وتبنت مصر قضية الوطنيين في كينيا ، فقامت بحملة اعلامية ودبلوماسية مركزة ضد هذه الاعمال الوحشية . وخصصت اذاعة موجهة باللغة السواحيلية باسم « صوت افريقيا » الى شعب كينيا وشعوب المنطقة الناطقة بهذه اللغة هاجمت فيها الاستعمار البريطاني بعنف شديد وحملته مسؤولية كل اعمال العنف والابادة ، وكشفت عن مخطط بريطانيا لجعل كينيا وطنا للرجل الابيض . وقد بدأت هذه الاذاعة كاذاعة سرية في أول الامر . وكان مقرها في احدى الثكنات بمنشية البكري ، وتتبع رئاسة الجمهورية مباشرة . ثم انتقلت بعد ذلك الى الاذاعات الموجهة بالاذاعة المصرية ولكن تحت اشراف الشؤون الافريقية برئاسة الجمهورية .

وكانت تصلنا منذ البداية أخبار دقيقة عن أعمال القمع والتفرقة التي يقوم الانجليز في كينيا . ــ كانت تحصل عليها المخابرات المصرية ــ . الامر الذي جعل من اذاعة صوت افريقيا شيئا حيا بالغ التأثير . فقد كانت هذه هي أول اذاعة باللغة السواحيلية تصدر من افريقيا ، وتتبنى قضايا الافارقة

وتتكلم باسمهم وتهاجم الاستعمار والتفرقة العنصرية وتدعو الى الثورة الشاملة باسم افريقيا وشعوبها . واستطاعت هذه الاذاعة ان تقدم العديد من الاناشيد الحماسية باللغة السواحيلية ، بعد ان وضعت في ألحان جيدة يؤديها ويؤلف كلماتها بعض الطلبة الكينيين الموجودين في القاهرة ، كانت قد اكتشفت فيهم هذه الموهبة .

وجعلت مصر من قضية الماو ماو وقضية الافراج عن جومو كينياتا قضية افرقيا كلها . وجعلت الافراج عنه مطلبا على مستوى القارة الافريقية كلها . وربما كانت هذه أول قضية افريقية تأخذ هذا الطابع على مستوى القارة ، وكان الفضل في ذلك لمصر .

وأدت بطبيعة الحال هذه الحملة وهذا التأييد الى توثيق الصلة مع الحركة الوطنية في كينيا . . وكانت القاهرة اول عاصمة تفتح ابوابها للزعماء الكينيين الوطنيين ، وتمدهم بكل المساعدات الممكنة لتنشيط حركتهم في داخل كينيا ، وكذلك توصيل صوتهم الى العالم الخارجي والمحافل الدولية ، في الوقت الذي كان الانجليز يجرمون أي نشاط سياسي في كينيا .

وبعد أن سمح بقيام الاحزاب السياسية في كينيا ، كانت القاهرة أول مكان خارج كينيا تفتح فيه هذه الاحزاب مكاتب دائمة لها ، وكانت الاحزاب الكينية التي فتحت لها مكاتب في القاهرة هي : حزب الاتحاد الوطني الافريقي الكيني « K. A. N. U. » وحزب الاتحاد الديمقراطي الكيني « K. A. D. U. »

وكانت هذه المكاتب تعمل كحلقة اتصال بين تنظيماتها في الداخل وبين القاهرة. كما اعتبرت ايضا نافذة هذه التنظيمات على العالم الخارجي .

وقد تردد على القاهرة خلال هذه الفترة معظم زعماء كينيا المعروفين ، من أمثال أوجنجا أودنجا ونجالا ، وتوم مبويا وجيمس جيشور وجوزيف مورمبي وغيرهم كثيرون . وكان عبد الناصر يلتقي بهؤلاء الزعماء كلما حضروا الى القاهرة .

الاذاعات الافريقية الموجهة من القاهرة :

لقد صادفت الاذاعة الموجهة باللغة السواحيلية الى كينيا نجاحا كبيرا وكان تأثيرها عظيما في داخل كينيا ، وأذكر انه في أول لقاء لي مع جومو كينياتا وكان ذلك بعد خروجه من السجن باسابيع قليلة — قال ان هذه الاذاعة لعبت دورا خطيرا في كينيا وأنه كان يستمع وهو في سجنه اليها وكان يستدعي حراسه ليستمعوا معه الى صوت أفريقيا من القاهرة وانها

كانت تعطيه في كل مرة يستمع اليها شحنة معنوية كبيرة كما كان يندهش لدقة الاخبار والسرعة التي تنتقل بها هذه الاخبار . وكانت هذه أول اذاعة توجهها القاهرة الى افريقيا بلغة اهلها — اذا استثنينا الاذاعات التي كان يوجهها راديو القاهرة من قبل الى جنوب السودان باللهجات الاربع الرئيسية هناك .

وقد وجهت القاهرة بعد ذلك العديد من الاذاعات باللغات واللهجات الافريقية على غرار الاذاعة السواحيلية . فكانت تذيع الى غرب افريقيا بلغات الهوسا واليوربا والبامبرا والولوف ، والى وسط افريقيا بلغات النيانجاو والشونا والسندبيلي واللنجالا ، والى جنوب افريقيا بلغد الزولو والى شرق افريقيا بالصومالية والسواحيلية والتجرينية وغيرها من لغات ولهجات افريقية كثيرة علاوة على اللغات المستخدمة رسميا في مناطق افريقيا وهي الانجليزية والفرنسية والبرتغالية والاسبانية والعربية . وكان وراء انشاء كل اذاعة من هذه الاذاعات قصة ترتبط بتأييد حركة جديدة او ثورة جديدة ومساعدات مصرية تمتد الى المجالات الاخرى خلاف هذا المجال الاعلامي وفي حالات معينة كانت تخصص الاذاعة الموجهة او جزء منها لتذيع باسم حركة او تنظيم . حدث ذلك اثناء ثورة الكونغو كما حدث بالنسبة لروديسيا الجنوبية بعد اعلان الاستقلال من جانب النظام العنصري هناك ، وكذلك بالنسبة لموزمبيق فقد اعطيت اذاعة لحزب فريليمو (الحزب الحاكم حاليا) وذلك بعد ان وصلت الثورة هناك الى مرحلة متقدمة بقيادة هذا التنظيم .

وكانت هذه الاذاعات بالاضافة الى معالجتها للموضوعات التي تخص كل اقليم تنقل الى شعوب افريقيا اخبار الثورات والحركات الوطنية المختلفة في جميع انحاء القارة من الجزائر الى كينيا الى روديسيا وانجولا وجنوب افريقيا باعتبار ان ذلك يدخل كله في نطاق الثورة الافريقية الشاملة ضد الاستعمار والتبعية كما كانت تنقل بطبيعة الحال صورة لما يدور على ارض مصر واخبارها وسياستها .

وقد استطاعت هذه الاذاعات بجانب مساهمتها الايجابية في الثورة الافريقية ان تنقل الى مستمعيها في كل انحاء القارة الافريقية الاحساس بأن مصر هي بحق جزء من القارة الافريقية ان لم تكن قد اصبحت بالفعل قلبها النابض وقاعدة التحرير فيها .

الثورة الجزائرية وتصفية الامبراطورية الفرنسية :

لقد كان لوقوف الثورة المصرية بجانب ثورة الجزائر والمساعدة والتأييد الكامل الذي اعطاه عبد الناصر لهذه الثورة اثره الكبير في جذب حركات تحرير افريقية جديدة الى القاهرة بعد ان اتخذت الثورة الجزائرية من القاهرة قاعدة اساسية لكي تنطلق منها .

ومما لا شك فيه ان نجاح الثورة الجزائرية كان عاملا اساسيا في تصفية الاستعمار الفرنسي من افريقيا . فعندما قامت هذه الثورة عام ١٩٥٤ كانت الجزائر بنص الدستور الفرنسي جزءا من الاراضي الفرنسية فيما وراء البحار وكان للجزائر اهمية خاصة لدى فرنسا اولا لكثرة عدد الاوربيين المستوطنين (حوالي مليون وربع) اصبح خمس اسداسهم من مواليد الجزائر نفسها لا يتصورون وطنا اخر لهم غيرها . وثانيا لقربها من فرنسا وثروتها الضخمة التي يمتلك معظمها المستوطنون الاوربيون ، هذا بالاضافة الى عامل خاص جعل فرنسا تستميت في محاولة الاحتفاظ بالجزائر كأرض فرنسية الا وهو الطريقة المهنية التي خرج بها الجيش الفرنسي من الهند الصينية بعد هزيمة « ديانيان فو » وحرص فرنسا على الا تفقد هيبتها في افريقيا كما فقدتها في اسيا .

كانت الجزائر نموذجا للاستعمار الاستيطاني في افريقيا ولا يفوقها في ارتفاع نسبة الاوربيين الى السكان الاصليين سوى جنوب افريقيا (النسبة في جنوب افريقيا ١ : ٣ وكانت في الجزائر ١ : ٨) وكان الافريقيون ينظرون الى هذا النوع من الاستعمار على أنه ابشع انواع الاستعمار واكثرها شراسة في مقاومة الحركات الوطنية والتحررية . فقد كانت التجربة ماثلة في المجازر التي واجهتها حركة الماو ماو في كينيا . وكانت نماذج هذا الاستعمار الاستيطاني موجودة في روديسيا وجنوب افريقيا وجنوب غرب افريقيا بالاضافة الى كينيا . لذلك كان للثورة الجزائرية معنى واهمية خاصة لدى الوطنيين الافريقيين في هذه الاقاليم بالاضافة الى كل المستعمرات الفرنسية والبرتغالية في افريقيا حيث كانت كل من فرنسا والبرتغال تعتبرها امتدادا لاراضيها فيما وراء البحار وكانت الثورة الجزائرية بالنسبة لهؤلاء جميعا هي ثورة على هذه الاوضاع جميعها : ثورة على الاستعمار الاستيطاني وثورة على فكرة امتداد الدولة الاستعمارية الى ما وراء البحار .

وعندما تصاعدت المقاومة الجزائرية ووصل عدد القوات الفرنسية في الجزائر الى ٤٠٠,٠٠٠ وهو اكبر عدد من القوات اشتركت به فرنسا في حرب استعمارية ، ظهرت الاصوات المؤثرة داخل فرنسا نفسها تنادي بضرورة

تطوير نظام الحكم في المستعمرات الفرنسية وتهيئتها للحكم الذاتي قبل ان تندلع فيها الثورة على غرار ما حدث في الجزائر .

وارادت الحكومة الفرنسية التي كان يراسها وقتئذ جي موليه ان تسبق الاحداث فأعدت في عام ١٩٥٦ دستورا جديدا عرف باسم « Loi - Cadre » يسمح بتشكيل حكومات افريقية في المستعمرات الفرنسية ولكن مع وجود حاكم عام فرنسي تعينه باريس في كل اقليم . وكان هذا تطورا هاما في المستعمرات الفرنسية نحو الحكم الذاتي . وبدأ تطبيق هذا القانون في اقاليم افريقيا الغربية وافريقيا الفرنسية الاستوائية في اوائل عام ١٩٥٧ .

اما في الجزائر فقد ترتب على هذا القانون نتائج خطيرة . ففي ١٣ مايو سنة ١٩٥٨ قام المستوطنون الاوربيون في الجزائر باضراب عام احتجاجا على هذا القانون الذي اعتبروه هزيمة سياسية لهم وديان بيان فو جديدة لفرنسا لان القانون كان يقسم الجزائر الى مناطق ، وبشكل يوحي ان هناك فكرة لتقسيم الجزائر ، وصحب هذا الاضراب تمرد الجيش الفرنسي هناك . وكادت تشتعل الحرب الاهلية في فرنسا نفسها بسبب هذه الاحداث التي ادت في النهاية الى سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة .

واتى ديجول الى الحكم في يونيو سنة ١٩٥٨ وكان يريد ان يضمن استقرار الاوضاع في المستعمرات الافريقية حتى تستطيع فرنسا تركيز جهودها لمواجهة الموقف في الجزائر .

وتقدم ديجول بمشروع دستور جديد يقوم بموجبه اتحاد فيدرالي بين فرنسا وبين مستعمراتها (افريقيا الغربية وافريقيا الفرنسية الاستوائية) التي سوف تعطى حق ادارة شئونها الداخلية . ويقضي المشروع بأن يطرح هذا الدستور للاستفتاء الشعبي في المستعمرات ، فاذا كانت النتيجة بالايجاب يدخل الاقليم في عضوية ما سمي بالمجتمع الفرنسي ويصبح عضوا في اتحاد فيدرالي مع فرنسا ، اما اذا كان التصويت بلا فيعتبر الاقليم بصفة اوتوماتيكية في حكم المنفصل عن المجتمع الفرنسي ويمكنه الاستقلال فورا ولكن « عليه ان يتحمل تبعة ذلك » وقد جاء هذا النص على لسان ديجول نفسه وهو يدعو لمشروع الجديد للمجتمع الفرانكو افريقي .

وقد اثارت هذه الفقرة الاخيرة غضب سيكوتوري واعتبرها ماسة بكرامة شعبه لما تحمله من معنى التهديد من جانب فرنسا للاقليم الذي يختار الاستقلال . واعلن سيكوتوري رفضه لدستور ديجول وكان ذلك في حضور ديجول نفسه في كوناكري عندما التفت سيكوتوري الى جماهيره وقال كلمته المشهورة : « نحن نفضل الفقر مع الحرية على الثراء مع العبودية » .

واجري الاستفتاء على دستور ديجول في ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ وجاءت النتيجة بالموافقة في جميع المستعمرات الفرنسية فيما عدا غينيا التي صوتت

ضد الدستور .

وقد كانت الجزائر التي يسيطر عليها المستوطنون الاوربيون من بين من وافقوا على دستور ديجول .وقد جاء رد جبهة التحرير الجزائرية على ذلك بان اعلنت « الحكومة المؤقتة لجمهوريه الجزائر » برئاسة فرحات عباس . واتخذت من القاهرة مقرا لها واعترفت بها مصر على الفور .

واعلن استقلال غينيا في ١٢ اكتوبر ١٩٥٨ واعتبر ديجول موقف سيكونوري تحديا له ولفرنسا وكان مصمما على ان يجعل منه ومن غينيا امثولة لكل من تحدثه نفسه بعد ذلك بالتفكير في الاستقلال والخروج عن المجتمع الفرنسي الذي سيقام على هذا الدستور . وباشر ديجول جميع انواع الضغوط الاقتصادية والسياسية ضد غينيا وسيكونوري . ولكن محاولاته باءت كلها بالفشل واصبح استقلال غينيا حقيقة بفضل تصميم سيكوتوري وقدرة شعب غينيا على المقاومة والصمود . وللمساعدات والتأييد الذي حصلت عليه غينيا من الدول التقدمية . وكان هذا مولد دولة ثورية تقدمية جديدة في افريقيا . وكان من الطبيعي ان تنشا علاقة متينة وخاصة بين مصر وبين غينيا الثورية وان تتوطد العلاقة بين عبد الناصر وسيكوتوري وهذا ما سوف نتعرض له في غير هذا المكان .

لم تنجح خطة ديجول في انشاء الاتحاد الفيدرالي بين فرنسا ومستعمراتها فلم يجتمع المجلس التنفيذي للاتحاد سوى سبع مرات في المدة من فبراير ١٩٥٩ الى مارس ١٩٦٠ . كما لم يجتمع برلمان الاتحاد الا مرتين : الاولى عند انشائه والثانية في يونيو سنة ١٩٦٠ لانهاء الاتحاد . واضطر ديجول الى تعديل الدستور ليسمح باستقلال دولتين كانتا قد تقدمتا رسميا بطلب الاستقلال وهما مدغشقر واتحاد مالي (الذي كان قد تكون من النضال بين السنغال والسودان الفرنسي) وحصلت الدولتان على استقلالهما في يونيو ١٩٦٠ . ثم استقلت دول الوفاق الاربعة (داهومي ـ النيجر ـ فولتا العليا وساحل العاج) في شهر اغسطس وانتهى الامر باستقلال جميع اقاليم افريقيا الفرنسية الغربية وافريقيا الفرنسية الاستوائية ؛ وتقدمت فرنسا للامم المتحدة في سبتمبر سنة ١٩٦٠ تطلب بنفسها العضوية الاثني عشرة دولة افريقية .

وقد ذهب بعض الافارقة الى حد وصف ديجول بانه محرر افريقيا . ولكن الحقيقة ان السبب الرئيسي في تحول سياسة ديجول الافريقية هو تطور الحرب في الجزائر واقتناعه بأن فرنسا غير قادرة على انهاء هذه الحرب عسكريا وانه لا سبيل لانقاذ فرنسا من هذا النزيف الا باستقلال الجزائر ؛ كما ادرك ان انكار الاستقلال على الافريقيين بعد نجاح سيكوتوري في تحقيق استقلال غينيا سوف يورط فرنسا في حرب جديدة مماثلة لحرب الجزائر حيث

كانت حركات التحرير والتنظيمات المعارضة لفرنسا في الاقاليم الفرنسية الاخرى قد بدات تتجمع في غينيا وغانا وخاصة من النيجر وساحل العاج وبدات تتلقى التدريبات العسكرية وتجمع السلاح استعدادا للمقاومة . ورحبت القاهرة هي الاخرى بهذا الاتجاه واستضافت العديد من زعماء الحركات الوطنية المعارضة في المناطق الفرنسية استعدادا لفتح جبهة جديدة ضد فرنسا تخفف من ضغطها على الجزائر ، ومن هنا جاء التحول في سياسة ديجول لانقاذ فرنسا وانقاذ ما تبقى لها من هيبة .

وهكذا فقد لعبت الثورة الجزائرية دورا خطيرا في تصفية الامبراطورية الفرنسية والقضاء على فكرة امتداد الاراضي الفرنسية في افريقيا وقد ادى ذلك الى فتح ابواب الاتصال بيننا وبين حركات التحرير والتنظيمات الثورية في افريقيا الفرنسية التي لجأ كثير من زعمائها الى القاهرة للحصول على تأييد جمال عبد الناصر بعد ان عرف دور مصر في مساعدة الثورة الجزائرية ومن امثال هؤلاء الدكتور فيلكس موميه زعيم حزب اتحاد شعب الكاميرون والزعيم الصومالي محمود حربي وجيبو بكاري زعيم سوابا SWABA في النيجر وغيرهم كثيرون من التنظيمات السياسية والزعماء الدينيين .

وقد استطاعت الثورة الجزائرية منذ البداية ان تقدم نفسها كثورة افريقية بجانب كونها ثورة اسلامية عربية . وكانت صلتها وثيقة دائما بالتنظيمات الوطنية في افريقيا الفرنسية ، الامر الذي ساهم ايجابيا في القضاء على ما تبقى من فكرة الفصل بين افريقيا العربية وافريقيا السوداء . وقد اقامت حكومة موليه في يناير ١٩٥٧ منظمة فرنسية تختص بأدارة استغلال الصحراء الافريقية باسم المنظمة المشتركة للاقاليم الصحراوية

Organisation « O. C. R. S. »
Commune de Regions Sahariennes

وتشمل الصحراء الجزائرية بالكامل واجزاء صحراوية اخرى من كل من موريتانيا والسودان الفرنسي (مالي حاليا) والنيجر وتشاد . وكان هذا بمثابة اقامة حاجز مادي بين الجزائر في الشمال الافريقي وبين جيرانها في افريقيا السوداء . ولكن الثورة الجزائرية قاومت هذه الفكرة وافشلتها كما قاومت هذه الفكرة ايضا بعض التنظيمات الافريقية الاخرى مثل حزب سوابا « Swaba » بزعامة جيبوبكاري في النيجر وباستقلال هذه الدول الافريقية بأجزائها الصحراوية واستقلال الجزائر بصحرائها كاملة عادت الصحراء تربط بين الجزائر وجيرانها الافريقيين .

عبد الناصر والتضامن الافريقي الاسيوي :

كان مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ بداية لظهور الدول الافريقية على مسرح السياسة الدولية واتخاذها دورا ايجابيا بجانب الدول الاسيوية في القضايا العالمية ، فقد تضمن اعلان باندونج الاسس السياسية الفلسفية التي تتمكن بها الدول من العيش مع بعضها في وئام وسلام واقامة العلاقات العالمية على أساس التعاون على مستوى واحد ليس فيه استغلال اقتصادي او سيطرة سياسية كما اهتم المؤتمر ايضا بقضايا التحرر والاستقلال وحق تقرير المصير لكافة شعوب العالم التي عليها ان تعمل على التحرر من السيطرة الاستعمارية والقضاء على العلاقات الراسية القديمة التي كانت تتحكم بها مجموعة قليلة من الدول في التوجيه العالمي وفي مستقبل البشرية .

وقد تكونت على اثر مؤتمر باندونج المجموعة الافريقية الاسيوية في الامم المتحدة التي اصبحت اكبر مجموعة من مجموعاتها وبذلك ظهرت قدرة جديدة لدول افريقيا في التأثير العالمي ، واستخدمت هذه القدرة في خدمة القضايا الافريقية المعروضة على الامم المتحدة والخاصة بتصفية الاستعمار والتفرقة العنصرية وقضايا التحرر على اختلاف اشكالها .

ولم يحضر باندونج من قارة افريقيا سوى اربع دول فقط هي مصر واثيوبيا وليبريا وليبيا بالاضافة الى وفدين حضرا بصفة مراقبين هما ساحل الذهب (غانا حاليا) والسودان حيث لم يكونا قد حصلا على استقلالهما بعد . وكان جمال عبد الناصر هو الزعيم الافريقي الذي شد الانتباه في هذا المؤتمر واعتبر الممثل الحقيقي لافريقيا الجديدة ، افريقيا الثورة .

ورغم انه لم يحضر مؤتمر باندونج سوى هذا العدد القليل من الدول الافريقية الا ان تجاوب الحركة الافريقية لفكرة التضامن الافريقي الاسيوي كان عظيما . فقد اعترفت جميع الدول الافريقية التي استقلت بعد ذلك بالمبادىء المعلنة في باندونج واعلنت تمسكها بهذه المبادىء . وقد ظهر ذلك جليا في الاعلان الذي صدر عن اول مؤتمر للدول الافريقية المستقلة في اكرا في ابريل سنة ١٩٥٨ .

وقد اعقب مؤتمر باندونج مؤتمر اخر عقد في القاهرة في اواخر عام ١٩٥٧ جاء مكملا له وهو مؤتمر التضامن للشعوب الافريقية الاسيوية الذي ضم عددا كبيرا من حركات التحرير والاحزاب والتنظيمات السياسية المختلفة في كل من القارتين . وقد بلغ عدد الاقطار الافريقية التي مثلت في المؤتمر ١٩ قطرا وتولت مصر مسؤولية الاتصال بالتنظيمات الافريقية المختلفة لحضور

هذا المؤتمر . فقد كانت القاهرة قد اصبحت العاصمة السياسية لحركات الاستقلال في القارة والقاعدة الاساسية لتحرير افريقيا . وكان هذا هو السبب الذي من أجله اختيرت القاهرة مكانا لانعقاد هذا المؤتمر كما كان ايضا هو السبب في اختيارها لتكون مقرا للسكرتارية الدائمة لمؤتمر التضامن للشعوب الافريقية الاسيوية .

وهكذا اصبحت القاهرة نقطة الالتقاء بين اسيا وافريقيا ليس فقط بسبب موقعها الجغرافي ولكن ايضا بفضل واقعها السياسي ونشاطها الواسع في المجالين الاسيوي والافريقي .

المكاتب السياسية لحركات التحرير الافريقية في القاهرة :

عندما اتسعت دائرة الاتصال بحركات التحرير والحركات الوطنية الافريقية وامتلأت العاصمة المصرية بوفود وممثلي هذه الحركات شجعتهم القاهرة على فتح مكاتب سياسية دائمة على غرار المكاتب التي كانت قد فتحتها جبهة التحرير الجزائرية اثناء الثورة في القاهرة وفي اماكن اخرى بعد ذلك . وتكفلت الدولة بتكاليف الانفاق على هذه المكاتب .

وكان الهدف من فتح هذه المكاتب هو جعلها حلقة الاتصال الدائمة والسريعة بيننا وبين حركات التحرير . كما تتلقى المساعدات المصرية في مختلف الميادين بما فيها المنح الدراسية واستجلاب الطلاب المؤهلين لها . وكانت تقوم هذه المكاتب ايضا بالدعوة لقضاياها الوطنية بما في ذلك امداد الاذاعات الموجهة من القاهرة بالمعلومات والاخبار المؤثرة . وعملت هذه المكاتب كنافذة على العالم الخارجي لحركاتها حيث يسهل الاتصال من القاهرة بأي دولة او جهة في العالم وتلقي مساعداتها . كما يسهل عمل المؤتمرات الصحفية والاتصال بأجهزة الاعلام العالمية .

وكانت القاهرة بذلك هي أول عاصمة في العالم يتجمع فيها مثل هذا العدد من ممثلي حركات التحرير والحركات الوطنية التي جاءت من جميع انحاء القارة ومن جميع مناطق الاستعمار في افريقيا . وكان طبيعيا ان تقوم صلات وتبادل للاراء والخبرة بين هذه الحركات بعضها البعض الامر الذي لم يكن موجودا على هذا المستوى من قبل .

وكان بعض هذه المكاتب يمثل تنظيمات سياسيه معترفا بها في بلادها وتمارس نشاطها هناك كالاحزاب السياسية التي كانت موجودة في كثير من

المستعمرات الانجليزية مثل كينيا وزنزبار التي كانت اول مكاتب تفتح في القاهرة . وكان البعض الاخر يمثل تنظيمات لا تعترف بها السلطة الاستعمارية ولكنها تمارس نشاطها في الداخل بشكل غير شرعي ويعيش زعماؤها كلاجئين سياسيين في الخارج مثل اتحاد شعب الكاميرون U. P. C. قبل استقلال الكاميرون ، وحزب المؤتمر الوطني الافريقي ، وحزب مؤتمر البان افريكان من جنوب افريقيا P. A. C. . كما كانت بعض هذه المكاتب تمثل ثورة مسلحة مثل الحركة الشعبية لتحرير انجولا M. P. L. A. وجبهة تحرير موزمبيق F. R. E. L. I. M. O. .

وكانت هذه المكاتب تمثل ايضا اتجاهات سياسية وعقائدية مختلفة بعضها ماركسي مثل اتحاد شعب الكاميرون والحركة الشعبية لتحرير انجولا وبعضها يؤمن بالنظم الليبرالية مثل الاحزاب التي كانت في اوغندا وزنزبار قبل الاستقلال .

وكان كثيرا ما يتواجد في القاهرة مكاتب سياسية متعددة من الاقليم الواحد . فكان يوجد على سبيل المثال مكتب لحزب الاتحاد الوطني الافريقي K. A. N. U. ومكتب اخر لحزب الاتحاد الوطني الديمقراطي K. A. D. U. وكلاهما من كينيا وكذلك حزب اتحاد شعب افريقيا لزمبابوي Z. A. P. U. والاتحاد الوطني الافريقي لزمبابوي Z. A. N. O. وكلاهما من روديسيا (زمبابوي) .

منهج في التعامل :

ولكن هذه التنظيمات التي فتحت لها القاهرة ابوابها كانت جميعها تشترك في انها تنظيمات وطنية ذات فاعلية في بلادها وتناهض الاستعمار وتعمل من اجل الاستقلال الوطني . وكانت هذه هي الشروط لقبول اي حركة وطنية ومساندتها بغض النظر عن برنامجها واسلوبها لتحقيق ذلك . وكان مجرد اعتراف القاهرة بتنظيم حركة افريقية ما ووجود مكتب لهذه الحركة في القاهرة يفتح لها مجال التعامل مع الدول التقدمية الاخرى لان في ذلك الدليل على جديتها ووطنيتها .

وقد التزمت القاهرة في جميع مراحل تعاملها مع الحركات والتنظيمات الوطنية في افريقيا بعدم التدخل في شؤونها الداخلية بأي حال من الاحوال او

محاولة فرض اشخاص او ابعاد اخرين ، ولذلك احتفظنا بعلاقات طيبة مع جميع هذه التنظيمات . فقد كان الهدف الاساسي في هذه المرحلة هو مقاومة الاستعمار التقليدي وتصفيته . وكان المتبع هو وقف نشاط هذه المكاتب بمجرد حصول الدولة على استقلالها . فاذا كان النظام الحاكم هو صاحب التمثيل في المكتب السياسي الموجود من قبل في القاهرة ، كان يستبدل هذا التمثيل بسفارة الدولة الجديدة كما حدث في كثير من الحالات مثل زامبيا وزنزبار . اما اذا كان المكتب الموجود في القاهرة يمثل تنظيما اخر فيوقف نشاطه فورا مع الاحتفاظ بحق اعضائه في البقاء في القاهرة كلاجئين سياسيين اذا كانت عودتهم تشكل خطورة على حياتهم ولكن بشرط وقف نشاطهم السياسي تماما .

وفتحت القاهرة ابوابها للاجئين من الزعماء السياسيين الافريقيين من المناطق المستعمرة ووفرت لهم كل وسائل العمل ضد الاستعمار .

وهكذا تجمعت خيوط الثورة الافريقية في القاهرة التي اصبحت السند الاول والقاعدة الاساسية لهذه الثورة .

الرابطة الافريقية :

انشئت الرابطة الافريقية في اواخر عام ١٩٥٥ على هيئة جمعية لها نشاط سياسي وثقافي يتلخص فيما يلي :

اولا : تقديم كل التسهيلات الممكنة للمكاتب السياسية التابعة لحركات التحرير والحركات الوطنية الافريقية من توفير المكان المناسب لهذه المكاتب الى توفير الاتصال بأجهزة الدولة وتوفير وسائل الطباعة والنشر اللازمة لتقوم هذه المكاتب بمهمتها الاعلامية . كما تقوم الرابطة بتجهيز واعداد اللازم لعقد المؤتمرات الصحفية باستقبال الوفود والمبعوثين الافارقة التابعين لحركات التحرير في اي وقت وتقوم بترتيب اللازم لاقامتهم ومقابلة المسؤولين، وتوفر الرابطة الخبراء والمستشارين في مجالات السياسة والقانون لهذه المكاتب وتقدم لها الابحاث اللازمة والمفيدة لقضايا بلادها وذلك في حالة طلبها . وتخصص المكان المناسب لاقامة الندوات والاجتماعات الخاصة بها .

وقد احتوى مبنى الرابطة عددا كبيرا من المكاتب السياسية بقدر ما سمح به المكان وعندما زاد عدد المكاتب عن امكانيات المبنى الذي تشغله الرابطة كانت تؤجر للمكاتب الجديدة اماكن خارج المبنى ولكن قريبا منها

بقدر الامكان .

وكانت المكاتب السياسية مجتمعة تصدر نشرة باسم مجلة الرابطة الافريقية تحررها هذه المكاتب بمعرفتها وتعكس نضال شعوبها وتشرح قضاياها .

وقد ساهمت الرابطة مساهمة ايجابية في ان تتعارف هذه الحركات فيما بينها وتبادل الخبرة والمعرفة والمعلومات وان تعيش في مناخ ثوري معاد للاستعمار . وكانت هذه العلاقة بين الرابطة الافريقية والمكاتب السياسية الافريقية هي السبب الرئيسي في ذيوع صيت هذه الرابطة وشهرتها العالمية.

ثانيا : وكان الهدف الثاني هو نشر الوعي الافريقي بين المصريين وخلق المجال المناسب ليتعارف المثقفون المصريون والافارقة من اعضاء المكاتب السياسية ومن الشباب الافريقي الذين يدرسون في القاهرة ومحاولة حل مشاكل هؤلاء الشباب وتثقيفهم سياسيا في هذا المناخ الثوري .

وكانت الرابطة تقيم الندوات الثقافية وتدعو اليها الشباب من الافريقيين ومن المصريين وقد جذبت الرابطة عددا من اساتذة الجامعة من المهتمين بالشؤون الافريقية وبعض شباب الجامعات من المصريين الذين تحمسوا للنشاط الافريقي وكرسوا له الكثير من وقتهم وجهدهم .

وفي هذا المجال لا يفوتني ان اذكر الجهد المخلص الذي بذله المرحوم عبد العزيز اسحق الذي رأس تحرير المجلة التي اصدرتها الرابطة الافريقية باسم « نهضة افريقيا » وكانت تصدر شهريا بقصد تنمية الوعي الافريقي ونشر البحوث التي تهم افريقيا ولكنها توقفت بعد فترة لضيق الامكانيات المادية ، كما ساهم عبد العزيز اسحق في الكثير من نشاط الرابطة .

ورغم ان امكانيات الرابطة الافريقية المحدودة كانت دائما تقف عقبة في سبيل تحقيق هذه الاهداف الكبيرة في مجال الثقافة ، الا انها افادت كثيرا في ايجاد صلة ممتازة مع الشباب الافريقي الموجود في جامعات ومعاهد ومدارس القاهرة . كما افرزت الرابطة الافريقية عددا من المصريين الجامعيين المهتمين بالشؤون الافريقية والذين برزوا في الدراسات الافريقية النظرية والميدانية . وقد تميز من هؤلاء عدد من الشبان الذين عملوا كمساعدين لي في مكتب الشؤون الافريقية .

المساعدات المصرية لحركات التحرير :

في مجال المساعدات العسكرية كانت مصر اول دولة في العالم تفتح

ابوابها لتدريب حركات التحرير الافريقية عسكريا . حدث ذلك بالنسبة لحركات التحرير من روديسيا وانجولا وموزمبيق وجنوب افريقيا ، وهي المناطق التي كان الاستعمار فيها يرفض التطور الدستوري واصبح من المسلم به ان اي تطور لصالح الوطنيين لن يكون الا باستخدام القوة . وكان التدريب يتم في مدرسة الصاعقة التابعة للقوات المسلحة وهو نفس التدريب والاسلوب الذي سبق اتباعه مع مجموعات الفدائيين الجزائريين في بداية الثورة الجزائرية .

وفتحت الكلية الحربية المصرية ابوابها ايضا لاستيعاب اعداد من الافريقيين المؤهلين سنويا وكان يتم اختيارهم بمعرفة الحركات الافريقية ليكونوا نواة الجيوش الوطنية بعد الاستقلال . حيث كانت الدول الاستعمارية في معظم مستعمراتها تقتصر وجود الوطنيين في الجيش على رتب الصف والعساكر فقط اما الضباط فكانوا دائما من الاوربيين . وعندما قامت ثورة الصومال كان عدد كبير من اعضاء مجلس قيادة الثورة من بين الضباط الصوماليين الذين تخرجوا من الكلية الحربية المصرية بهذه الطريقة وكانوا قد دخلوا الجيش بمجرد استقلال الصومال .

اما من ناحية السلاح فقد كان مكتب الشؤون الافريقية برئاسة الجمهورية قد تسلم مخازن السلاح الذي كان يستخدم ضد القاعدة البريطانية وذلك بمجرد توقيع اتفاقية الجلاء . وبعد تسليح الجيش المصري بأسلحة روسية اصبح لدينا فائض كبير من الاسلحة الانجليزية القديمة كانت مناسبة لتسليح حركات التحرير حتى لا يعرف مصدرها وهي في ايدي الافريقيين ، وكانت مصر بذلك هي اول دولة ايضا توفر السلاح لحركات التحرير الافريقية وتتولى نقله بطرق مختلفة .

فبالنسبة لروديسيا الجنوبية (زمبابوي) على سبيل المثال كان الزعيم المعروف جوشوا نكومو يتسلم الاسلحة والمفرقعات وينقلها هو واتباعه في هيئة طرود اما جوا او بحرا الى دار السلام وحيث كان مكتب الشؤون الافريقية يؤمن وصولها الى الداخل بالاتفاق مع معاوني الرئيس نيريري . ومن دار السلام كان نكومو واتباعه يتولون تهريبها عبر الحدود الى داخل روديسيا. وكانت هذه هى اول الشحنات من المفرقعات والاسلحة التي تدخل روديسيا بهذا الكم وتستخدم في حركة المقاومة .

وفي عام ١٩٦٣ بعد دخول نكومو مباشرة الى داخل روديسيا (حيث اعتقل واستمر اعتقاله احد عشر عاما بعد ذلك) تم الاتفاق مع حزب اتحاد الشعب الافريقي الزمبابوى .Z. A. P. U على ان تقوم الطائرات المصرية باسقاط كميات كبيرة من الاسلحة والمواد الناسفة في مناطق يتفق عليها في روديسيا استعدادا لتوسيع نطاق حركة المقاومة . وقد تم هذا الاتفاق في مقابلة تمت بين الرئيس جمال عبد الناصر والاب سيثولي باعتباره نائبا لنكومو .

وكانت الخطة هي الاستفادة بطائراتنا الموجودة في اليمن لتنفيذ ذلك .

ورغم ان هذه العملية لم تتم بسبب انشقاق سيثولي عن حزب نكومو وتكوينه حزبا جديدا باسم الاتحاد الوطني الافريقي لزمبابوي Z. A. N. U. الا انها توضح الى اي مدى كان عبد الناصر على استعداد لتأييد حركات التحرير وخاصة في مناطق الاستعمار الاستيطاني التي لا يمكن تحريرها الا بالقوة .

وقد ظلت مصر في البداية هي المصدر الوحيد لتسليح وتدريب حركات التحرير الافريقية الى ان عرفت هذه الحركات طريق الاتصال بدول الكتلة الشرقية واعتادت عليه ثم استقلت الجزائر وبدات تساهم هي الاخرى في هذا الاتجاه وبعد انشاء لجنة التنسيق التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية واتخاذ دار السلام مقرا لهذه اللجنة فتح الرئيس جوليوس نيريري بلاده لتكون قاعدة اساسية لحركات التحرير . فأقيمت معسكرات التدريب للافريقيين وتدفقت الاسلحة على دار السلام ولحساب حركات التحرير من دول الكتلة الشرقية واماكن كثيرة اخرى . ولا شك ان اسم الرئيس نيريري سوف يرتبط دائما بتاريخ حركة التحرير الافريقية لموقفه هذا وتأييده ومساندته المستمرة لحركات التحرير وخاصة في موزمبيق المتاخمة لتنزانيا .

ولم تقتصر المساعدات المصرية لحركات التحرير على النواحي العسكرية فقط بل تعدتها الى مجالات كثيرة اخرى ، ففي مجال العمل الدبلوماسي تبنت مصر قضايا التحرر وتصفية الاستعمار وتقرير المصير في الامم المتحدة . وهي في ذلك لم تكن وحدها بطبيعة الحال ، فقد كانت هناك دول اخرى مثل الهند ودول الكتلة الشرقية وغيرها تهتم بنفس القضايا ولكن مصر كانت الاقدر في عرضها بحكم صلتها بهذه الحركات الموجودة بالفعل في القاهرة . واتبعت مصر تقليدا جديدا ، فكانت تدعو حركات التحرير لارسال مندوبين عنها للتواجد في نيويورك اثناء دورة انعقاد الامم المتحدة في كل عام وتتكفل بنفقات سفرهم واقامتهم وتساعدهم حتى تتمكن هذه الحركات من الدعوة لقضاياها سواء لدى الوفود المختلفة او بالظهور امام اللجنة الرابعة (لجنة الوصاية) كمقدمي عرائض Petitioners وكان تواجد ممثلي هذه الحركات في الامم المتحدة وظهورهم بهذه الطريقة يعطي الكثير من الحيوية لمناقشات الامم المتحدة عند نظر القضايا الافريقية الخاصة بهم ، كما كان يضفي اهمية خاصة على وفد مصر لان وجود هؤلاء المندوبين قريبين من الوفد المصري – الذي كان يقدم لهم المساعدة القانونية والفنية ليهيىء لهم الاتصالات بالوفود الاخرى جعل مصر قادرة على التعبير بصدق عن اماني الشعوب الافريقية وقضاياها .

واستمرت مصر هي الدولة الافريقية الوحيدة في الامم المتحدة التي تثير المتاعب للدول الاستعمارية من أجل القضايا الافريقية الى ان استقلت غانا

وبعدها غينيا ومالي ثم انضمت المجموعات الافريقية الاخرى . ولكن بقيت مساهمة مصر في هذا المجال في المقدمة دائما بحكم الخبرة الطويلة في الامم المتحدة .

ولقد وقفت مصر بجانب جميع الثورات الافريقية التي قامت ضد الاستعمار منذ عام ١٩٥٢ ابتداء من ثورة الماو ماو في كينيا ثم ثورة الجزائر عام ١٩٥٤ ثم ثورة الكاميرون في عام ١٩٥٦ عندما قام اتحاد شعب الكاميرون U. P. C. باشعال الثورة مطالبا بتوحيد اجزاء الكاميرون الموجودة تحت الاستعمار الانجليزي وتلك الموضوعة تحت وصاية الامم المتحدة والادارة الفرنسية وذلك بهدف ايجاد دولة كاميرونية واحدة مستقلة . وكانت مصر هي اول دولة من غير دول الكتلة الشرقية تقف مع هذه الثورة وتؤيدها . واصبحت القاهرة مقرا لزعماء هذه الحركة المنفيين امثال دكتور فيلكس موميه الذي تولى رئاسة الحركة عام ١٩٥٨ بعد وفاة زعيمها ام نيوبي في احد عمليات المقاومة ، واستمر تأييد مصر لهذه الحركة الى ان استقل الكاميرون في اول يناير سنة ١٩٦٠ .

ثم وقفت مصر مع ثورة الكونغو في عام ١٩٦٠ ثم ثورات انجولا وموزمبيق وغينيا بيساو . ووقفت مصر دائما مع نضال شعب روديسيا (زمبابوي) بل انها قطعت علاقاتها مع بريطانيا في ديسمبر سنة ١٩٦٥ احتجاجا على موقفها بعد اعلان الحكومة العنصرية في روديسيا للاستقلال من جانب واحد ورفض بريطانيا التدخل لسحق هذا التمرد ، فاعتبرت بذلك متخلية عن مسؤولياتها امام الامم المتحدة في العالم كله ، هذه المسؤوليات التي تحتم عليها ضرورة تسليم السلطة لاهلها الشرعيين واعطاء الحكم للاغلبية الساحقة من سكان الاقليم وهي من الافارقة السود . وكان هذا قرارا اتخذته منظمة الوحدة الافريقية بحضور ٣٨ دولة افريقية ولكنه لم ينفذ الا من تسع دول افريقية فقط كانت مصر من بينها .

كما ايدت مصر حركات التحرير في جنوب افريقيا وجنوب غرب افريقيا وجزر القمر وكومورد وكل مكان في افريقيا . ويمكن القول بكل اطمئنان انه لم يحدث ان قامت حركة ثورية تحررية في افريقيا بعد عام ١٩٥٢ الا وكان لها اتصال بالقاهرة وايدها عبد الناصر ووقف معها .

الفصل الثالث

مساعدات جمال عبد الناصر
للدول الافريقية حديثة الاستقلال

أهداف المساعدات المصرية لدول افريقية :
ـ مقاومة النشاط الاسرائيلي في افريقيا ٠
ـ فتح مجال التعاون الاقتصادي مع الدول الافريقية ٠
نماذج من المساعدات المصرية الى الدول الافريقية :
ـ عبد الناصر ينهي ضغط الشركات الايطالية في الصومال ٠
ـ تقديم الخبرة الفنية لافريقيا ٠
ـ تقديم القروض الى الدول الافريقية ٠
ـ قرض الى غينيـــا ٠
ـ قرض الى جمهورية مالـــي ٠
ـ قروض لم تنفـــذ ٠
عبد الناصر يقضي على سياسة احتكار السلاح في افريقيا :
ـ مصر تسلح وتدرب جيش مالي ٠
ـ وجيش الصومال ٠
ـ جومو كينياتا يطلب المساعدة العسكرية من جمال عبد الناصر
ـ موقف مع اوغنـــدا ٠
ـ مساعدات عسكرية اخرى ٠

اهداف المساعدات المصرية للدول الافريقية :

وقف جمال عبد الناصر مع كل الدول الافريقية التي كانت تناضل من اجل تحرير ارادتها والخروج من دائرة السيطرة الاستعمارية كما وقفت من قبل مع كل حركة تحرير افريقية تناضل من اجل استقلال بلادها . وكان ذلك ايمانا منه بحق الشعوب في تقرير مصيرها وتدعيم استقلالها وايمانا بوحدة النضال في مواجهة الاستعمار الجديد الذي يريد الانتقاص من استقلال الدول الجديدة .

وكان عبد الناصر يشعر بمسؤولية خاصة حيال الدول الافريقية حديثة الاستقلال ؛ فمصر التي اشتركت وساهمت مساهمة ايجابية في انهاء الاستعمار التقليدي كانت تريد الاستفادة برياح التغيير المتعاظمة التي تهب على القارة قبل ان تهدأ هذه الرياح ويبطل مفعولها باستقلال تكبله اتفاقات وارتباطات غير متكافئة مع دول الاستعمار القديمة . فكان عبد الناصر يريد لاكبر عدد من الدول الافريقية ان تستكمل إستقلالها وارادتها لانه يرى في ذلك تأمينا وتقريرا لاستقلال مصر .

كما كان يشعر عبد الناصر بمسؤولية خاصة حيال تدعيم سياسة عدم الانحياز في افريقيا باعتباره احد اقطاب هذه السياسة ؛ الامر الذي كان يفرض عليه مساعدة الدول الافريقية في معاركها للتحرر من السيطرة الاجنبية وحتى تكون قادرة على الوقوف في صف الدول غير المنحازة .

بهذا المفهوم قدمت مصر مساعداتها الى الكثير من الدول الافريقية حديثة الاستقلال والتي سنتعرض لبعضها فيما بعد . ولكن يهمنا قبل ذلك ايضاح ان موقف عبد الناصر المبدئي والصريح من الاستعمار الجديد في افريقيا كانت له ايضا دوافعه القومية والمحلية المرتبطة بأستراتيجية واهداف السياسة المصرية وهي :

١ ــ مقاومة النشاط الاسرائيلي في افريقيا .
٢ ــ فتح مجال التعاون الاقتصادي مع دول القارة الافريقية .

مقاومة النشاط الاسرائيلي في افريقيا :

كان عبد الناصر يعطي اهمية خاصة لمقاومة النفوذ والنشاط الاسرائيلي

في افريقيا وذلك لاستكمال حلقات الحصار الاقتصادي الذي فرضته عليها الدول العربية .

وقد كان الوجود الاسرائيلي في اي دولة من الدول الافريقية مرهونا دائما بالتواجد الاستعماري فيها ويتناسب كما تناسبا طرديا مع مدى السيطرة الاستعمارية والامبريالية على هذه الدولة ، واستخدمت اسرائيل كأداة من ادوات الاستعمار في افريقيا ولكنها استفادت هي أيضا من وضعها كدولة صغيرة جديدة لا تثير شكوك الدول الافريقية حديثة الاستقلال لتحقيق اهدافها الذاتية .

وكانت اسرائيل تحاول بكل ثقلها خلق مصالح وعلاقات تجارية مع المستعمرات الافريقية قبل الاستقلال مستفيدة من الوجود الاستعماري وشركات الاحتكار الغربية والنفوذ اليهودي المتغلغل فيها وذلك بقصد كسر الحصار الاقتصادي الذي فرضته عليها الدول العربية وايضا لضمان اعتراف الدول الافريقية بمجرد استقلالها باسرائيل . وكانت مشكلة الاعتراف هذه من المشكلات التي تؤرق اسرائيل كثيرا في ذلك الوقت لوجود عدد كبير من دول العالم لم يكن قد اعترف بها . ومن أجل ذلك اقامت اسرائيل قنصليات عديدة في المستعمرات الافريقية حتى تتحول الى سفارات بمجرد الاستقلال . هذا في الوقت الذي لم تكن تسمح فيه السلطات الاستعمارية للمصريين بمجرد زيارة هذه الاقاليم .

واذكر انه عندما كانت بريطانيا تسعى لعودة العلاقات مع مصر والتي كانت قد قطعت بعد حرب السويس ، طلبنا اقامة قنصليات مصرية في بعض العواصم الافريقية مثل نيروبي أسوة بما هو متبع مع اسرائيل ولكن الانجليز رفضوا محتجين ومتحججين بعذر سخيف اذ قالو ان هذه القنصاليات فخرية ولا يسمح بها الا لرعايا بريطانيا ، فالقنصل الاسرائيلي في نيروبي يهودي ولكنه يحمل الجنسية البريطانية ونظرا لعدم وجود مصريين يحملون الجنسية البريطانية في هذه المناطق فلا يمكنهم الاستجابة لهذا الطلب . والحقيقة ان سبب التفرقة هو ان اسرائيل كانت تعمل لحساب الاستعمار واداة له وتتفق مصالحها مع مصالحه في الوقت الذي كانت فيه مصر تقف بكل قوة مع الحركات الوطنية وحركات التحرير وتقدم لها المساعدات .

ونلاحظ ان جميع الدول الافريقية التي دخلت في صدام حقيقي مع الاستعمار وقاومت الاستعمار الجديد من اجل تحقيق استقلالها الكامل كانت تنتهي عادة الى تصفية النفوذ الاسرائيلي وذلك لان الصدام مع القوى الاستعمارية ومقاومة ضغوطها كان يكشف موقف اسرائيل باعتبارها اداة من ادوات الاستعمار والامبريالية . وقد حدث ذلك في مالي وغينيا والكونغو برازافيل وبوروندي وغيرها . وعلى عكس ذلك كان يستفحل نفوذها في الدول

التي يتمكن منها الاستعمار وتسيطر عليها الامبريالية . فقد كانت قواعد ارتكاز اسرائيل الرئيسية في افريقيا هي ليبريا واثيوبيا حيث كان النفوذ الامريكي متعاظما . وفي ساحل العاج ايضا التي كانت دائما من اكثر الدول الافريقية ارتباطا بفرنسا ونفس الامر كذلك في مناطق الاستيطان الاوربي مثل جنوب افريقيا وروديسيا .

وقد كانت اسرائيل تقدم للدول الافريقية القروض والخبرة الفنية وتدرب بعض جيوش هذه الدول وتبيعها السلاح . وكان ذلك كله يتم عادة في اطار السياسة الاستعمارية بل وفي كثير من الاحيان من خلال الدول الاستعمارية نفسها .

ولست هنا بصدد الحديث عن تفاصيل مقاومة النشاط الاسرائيلي في القارة فقد لا يتسع المجال لذلك ؛ ولكن كل ما اردت الاشارة اليه هو الارتباط الوثيق بين النفوذ الاستعماري والامبريالي في الدول الافريقية والوجود الاسرائيلي فيها . ولذلك كان عبد الناصر يرى ان مقاومة النفوذ الاسرائيلي في افريقيا اساسه مقاومة السيطرة الاستعمارية على دول افريقيا او ما سمي بالاستعمار الجديد ؛ وبالتالي كان يرى ضرورة تقديم المساعدة لهذه الدول في حدود ما تقدمه اسرائيل على الاقل حتى نستطيع مطالبة هذه الدول .قف تعاملها مع اسرائيل .

فتح مجال التعاون الاقتصادي مع الدول الافريقية :

كانت مصر تريد ان تفتح مجال التعامل الاقتصادي امامها في افريقيا وخاصة في المجال التجاري . فقد عملت الثورة المصرية على تحرير اقتصادها من السيطرة البريطانية التي كانت موجودة عندما قامت الثورة وكان ذلك بسعيها الدائم لتكون تجارتها مع العالم الخارجي موزعة توزيعا متساويا على مجالات ثلاثة ؛ فيكون ثلث تجارتها مع دول الكتلة الشرقية وثلثها مع الدول الغربية والثلث الاخير مع دول العالم الثالث : وكان عبد الناصر يعتقد ان هذا التوزيع ضروري ليحفظ للاقتصاد المصري امنه وحريته في التعامل ويجعله قادرا على مواجهة اي ضغوط طارئة مهما كان مصدرها .

وفي مجال دول العالم الثالث سوف نجد ان افريقيا هي انسب هذه الدول بالنسبة لمصر في مجال التبادل التجاري ، وذلك اولا لموقع مصر الجغرافي

منها وثانيا باعتبار افريقيا موردا لكثير من المواد الخام اللازمة للصناعة المصرية ، وثالثا لانها انسب الاسواق لتصريف منتجاتنا الصناعية التي يصعب تصريفها في مجتمعات الرفاهية . وكانت مصر في بداية الستينات قد بدات خطتها الطموحة للتصنيع وكان مأمولا ان يصبح لدينا فائض كبير للتصدير في المستقبل اذا استمرت التنمية الصناعية بمعدلها العالي . ولكن الاحتكارات الاوربية وسيطرتها على تجارة الدول الافريقية واحتكارها للمحاصيل الرئيسية في العديد من البلاد الافريقية كان يقف عقبة في سبيل التبادل التجاري بيننا وبين دول افريقيا .

واذكر ان الرئيس كينيث كاوندا رئيس جمهورية زامبيا قد حضر الى القاهرة قبل استقلال بلاده بفترة قصيرة . وطلب كاوندا من جمال عبد الناصر ان يرسل وفدا على مستوى عال الى زامبيا بعد الاستقلال مباشرة .

وبحثنا مع الرئيس كاوندا ما يمكن تحقيقه من تعاون بين البلدين ويمكن اعلانه اثناء زيارة الوفد لزامبيا ، ووجدنا اننا في مصر نستورد سنويا — في ذلك الوقت كمية من النحاس الخام تحتاجها صناعاتنا المختلفة بما قيمته ٦ مليون جنيه استرليني . وكان النحاس الذي نستورده هو نحاس زامبيا ونشتريه من اسواق لندن . وقال الرئيس كاوندا انه بعد الاستقلال ستحصل حكومة زامبيا على حصة من انتاج النحاس واننا نستطيع شراء ما يلزمنا من الناحس الخام من زامبيا مباشرة كبداية للتعاون الاقتصادي بين البلدين .

وبعد وصول البعثة المصرية الى لوساكا العاصمة وبعد ان اعددنا البروتوكلات التي تنظم هذا التبادل ظهرت لنا عقبات وقيود اثارها احد الخبراء الانجليز في وفد زامبيا اتضح انه المسؤول الاول في وزارة التجارة عن تنظيم هذه الاتفاقات وكان اعتراضه مبنيا على ان هناك اتفاقات مع بعض الشركات تمنع زامبيا من التصرف على هذا النحو في حصتها من النحاس .

ولم يتم الاتفاق الذي كنا قد اعددنا له ، وكان الامر محرجا للرئيس كاوندا ولكننا اكدنا له اننا نفهم طبيعة هذه الصعوبات وسوف ننتظر حتى يصبح هذا ممكنا .

لم يكن قد مر على استقلال زامبيا سوى اسابيع قليلة ، وكان وجود هذا الخبير الانجليزي بسلطاته الواسعة ، والاتفاقات غير العادلة التي تحرم حكومة زامبيا من التصرف في حصتها من النحاس ، ونفوذ الشركات الاجنبية التي تتحكم في اسعار النحاس وتحقق ارباحا خيالية في عمليات النقل والتأمين كلها اشكال من الاستعمار الجديد ، وعندما امم الرئيس كاوندا بعد ذلك ٥١٪ من اسهم شركات تعدين النحاس في زامبيا ، كان من الطبيعي ان يؤيد عبد الناصر هذا الاجراء ويقف بجانب كاوندا وشعب زامبيا في نضاله من اجل تحرير اقتصاده .

واذا كان عبد الناصر قد اهتم بتصفية الاستعمار الجديد في افريقيا ودعا دائما الى مقاومة سيطرة الدول الاستعمارية والشركات والاحتكارات الراسمالية حتى تؤل الثروة في البلاد الى اصحابها الحقيقيين ، الا انه كان يرى ضرورة الدراسة والاعداد الجيد لكل المعارك الوطنية التي تؤثر على الاقتصاد القومي حتى لا يحدث الخلل او الانهيار الاقتصادي فتنتكس الحركة الوطنية .

واذكر ان الرئيس كاوندا في احدى زياراته الى القاهرة قبل الاستقلال طلب ان يدرس عملية تأميم قناة السويس وابعادها القانونية والمشاكل الاقتصادية والسياسية التي قابلتها مصر من جراء هذه العملية وكيف تغلبت عليها . ولم يفصح كاوندا عن سبب هذه الدراسة ، ولكن كان معروفا ان زامبيا بها شركات النحاس الضخمة التي تمتلك الثروة في بلاده والتي يتغلغل فيها نفوذ جنوب افريقيا ، كما كان معروفا ان الفنيين والمديرين في هذه الشركات ومناجم النحاس التابعة لها جميعهم من الاوربيين الاجانب والمستوطنين .

وقد اعدت الدراسة التي طلبها كاوندا ورتبت له عدة لقاءات مع بعض اساتذة الاقتصاد والقانون ومدير معهد التخطيط ثم قابل السيد علي صبري رئيس الوزراء وقتئذ لاستكمال الحديث حول تأميم قناة السويس . واخيرا توجهنا سويا للقاء عبد الناصر الذي قال لكاوندا : « اذا كان لي ان انصح فأعتقد انه من الخطأ ان نقدم على عمليات التأميم الان وخاصة لمناجم النحاس. فيجب ان يتوفر لديك الفنيون والخبراء الوطنيون اللازمون لتشغيل المشروعات المؤممة او على الاقل يكون لهم القدرة على السيطرة الفنية والادارية حتى يتمكنوا من تشغيلها بنفس الكفاءة . ومن الواضح ان هذا يحتاج الى بعض الوقت والى ان يتم ذلك اعتقد انه من المفيد ان تكون علاقتك طيبة قدر الامكان ببريطانيا (وهي الدولة التي كانت تستعمر زامبيا قبل الاستقلال) فسوف تحتاج الى مساعدتها الفنية والاقتصادية حتى تتمكن من ترتيب البيت الداخلي ومقاومة نفوذ واطماع جنوب افريقيا والى ان تتمكن من اقامة الجسور بينك وبين دول اخرى في العالم كله » .

ولم يخف كاوندا دهشته في ان يسمع هذه النصيحة من الرجل الذي كان الانجليز يعتبرونه عدوهم الاول . ولكن عبد الناصر كان يريد لكاوندا ان يستعد جيدا قبل ان يقدم على عملية التأميم حتى لا يتأثر انتاج النحاس . وكان ذلك قبل استقلال زامبيا بشهور قليلة . وفي عام ١٩٦٨ ذكرني الرئيس كاوندا بهذا الحديث عندما التقيت به في اديس ابابا اثناء مؤتمر القمة الافريقي وكان كاوندا قد اعلن لتوه عن تأميم ٥١٪ من اسهم النحاس في زامبيا .

وقد كانت الدول الافريقية تدرك دائما ان زيادة التعاون الاقتصادي

فيما بينها هو أمر ضروري للتقليل من مدى اعتمادها على دول الاستعمار وبالتالي لمساعدتها على تحرير اقتصادها . ولذلك نصت جميع المواثيق الافريقية على اهمية هذا التعاون وافردت له ابوابا كاملة ، ورغم ذلك فان تحقيق هذا التعاون كان دائما يصطدم بصعوبات كثيرة منها ما هو متعلق بطبيعة الاقتصاد الافريقي نفسه حيث ان معظم الدول الافريقية تصدر الخامات وتستورد السلع الاستهلاكية ، وبعض هذه الصعوبات يتعلق بأوضاع فرضها الاستعمار من قبل باحتكار الشركات الاوربية والدول الراسمالية لموارد الثروة في افريقيا . وكذلك خطوط اتصال الدول الافريقية بالعالم الخارجي كلها تسير في اتجاه راسي اي بين الموانىء والعواصم الافريقية والموانيء والعواصم الاوربية سواء كان ذلك في خطوط المواصلات السلكية او الملاحة والخطوط الجوية وكلها تربط افريقيا بأوربا اما الخطوط الجانبية او الافقية التي تربط الدول الافريقية ببعضها فهي قليلة جدا ونادرة .

وقد اصطدمت مصر بكل هذه الصعوبات عندما بدأت في الاتجار مع الدول الافريقية . فكانت على سبيل المثال تضطر الى ان تمرر جميع تجارتها مع دول غرب افريقيا بالموانيء الاوربية اولا ومنها يعاد الشحن ثانية الى موانىء غرب افريقيا او الموانىء المصرية فكانت بذلك تزداد تكلفة النقل علاوة على الوقت الضائع . واستمرت هذه الدول الى الحد الذي اصبح معه تأجير مراكب خاصة وتسييرها في مواعيد محددة تتناسب مع احتياجاتنا امرا اقتصاديا . هذا ما اتجهت اليه شركة النصر للتصدير والاستيراد وهي الشركة الحكومية التي كانت تختص بالتجارة مع افريقيا .

وقد واجهت السلع المصرية صعوبات عديدة في بداية نزولها الى الاسواق الافريقية لاسباب كثيرة منها القوانين التي تعطي سلعا اخرى افضليات جمركية مثل تلك التي كانت تتمتع بها سلع دول رابطة الكومنولث البريطاني وكذلك البضائع الفرنسية في دول المجموعة الفرنسية .

ومن الصعوبات التي واجهتها السلع المصرية كذلك عدم معرفة الصناعة المصرية في بداية تعاملها بالذوق الافريقي ، فمثلا الاقمشة المنقوشة التي يقبل عليها الافريقيون لها طبيعة معينة كأن تكون وحدة النقش كبيرة الحجم .

وعندما ارسلنا عينات منها للمصانع المصرية للعمل على منوالها ، وجد انه لا بد من تغيير اجزاء من وحدات الطباعة في المصانع حتى تتمكن من انتاج هذا النوع من النقش كذلك بعض الالوان التي يفضلها الافريقي ويستخدمها بكثرة غريبة مثل اللون الازرق الزاهي وبدرجة زرقة معينة — كانت تحتاج الى خبرة خاصة في الصباغة لم تكن معروفة في مصر في البداية .

وعندما فكرنا في استيراد بذرة زيت النخيل بكثرة في مناطق افريقيا الاستوائية وجدنا انه لا توجد لدينا العصارات المناسبة لعصر هذه البذرة التي تحتاج الى ضغط اعلى بكثير من ذلك المستخدم في عصر بذرة القطن او الخروع وخلافها من البذور والحبوب التي يتم عصرها في مصر . وكان من الضروري تجهيز العصارات المناسبة واعدادها قبل ان نبدأ في استيراد بذرة زيت النخيل من الدول الافريقية . وكانت هناك صعوبات كثيرة اخرى ظهرت كلما فتحنا ميدانا جديدا للتعامل مع هذه الدول .

وهكذا كانت البداية صعبة كما هو الحال عند التعامل مع اسواق جديدة فالامر يحتاج الى دراسة عملية وصلة دائمة بهذه الاسواق حتى يمكن ان يجد هذا التعامل طريقه الى الاستمرار بعد ذلك .

وقد امكن تحقيق نجاح كبير في هذا المجال وكان لشركة النصر للاستيراد والتصدير جهود ممتازة في هذا المجال واستطاعت هذه الشركة ان تفتح فروعا في معظم عواصم القارة ومكنها هذا الانتشار علاوة على وجود فروعها في اماكن كثيرة من العالم ، ان تدخل في عمليات التسويق لمحاصيل الدول الافريقية نفسها سواء عن طريق عمليات ثلاثية او مباشرة الى دول اخرى . ولا شك ان هذا النشاط كان يخلق قنوات جديدة ايضا امام الاقتصاد الوطني في الدول الافريقية بعيدا عن ضغوط الشركات الاوربية المعروفة .

ولتسهيل عمليات التبادل التجاري بيننا وبين الدول الافريقية قامت مصر بعقد العديد من الاتفاقات التجارية مع دول افريقية كثيرة . وكانت معظم هذه الاتفاقات تتضمن اتفاقات للدفع بحد مديونية معين يتناسب حجمه مع حجم التعامل المنتظر او المستهدف مع هذه الدول . وقد عقدت مثل هذه الاتفاقات مع غانا وغينيا ومالي وحكومة الاقليم الشمالي في نيجيريا الفيدرالية ايام حكم احمد وبن بيللا وكذلك مع النيجر والكاميرون وتنزانيا والصومال .

نماذج من المساعدات المصرية الى الدول الافريقية

لقد كانت المساعدات التي قدمها جمال عبد الناصر للدول الافريقية محدودة من ناحية قيمتها المادية بحكم قدرة مصر المحدودة في هذا المجال خاصة وانها كانت تحتاج هي نفسها للقروض والمساعدات اللازمة لخطتها الطموحة للتنمية . ورغم ذلك فقد كان لهذه المساعدات تأثير بالغ الخطورة في كثير من الحالات حيث انها كانت عادة ما تأخذ شكل الانقاذ لمساعدة الدولة

الافريقية على الخروج من ازمة خطيرة او تكسر احتكارا او حصارا فرضته عليها الدول الاستعمارية او شركاتها .

ويبدو ان جمال عبد الناصر كان متأثرا في هذا الاسلوب بالمساعدات التي قدمتها له بعض دول العالم الثالث عقب حرب السويس عام ١٩٥٦ وخاصة الهند التي فتحت لمصر حسابا بالعملة الصعبة عندما جمدت بريطانيا وامريكا ارصدتها في الخارج . ورغم صغر هذه المبالغ الا انها انقذت مصر في ذلك الوقت من كل الازمات الاقتصادية التي كان يمكن حدوثها نتيجة عجزها عن استيراد احتياجاتها الضرورية بعد تجميد ارصدتها في الخارج .

وسوف نعرض فيما يلي نماذج من هذه المساعدات التي قدمها عبد الناصر الى بعض الدول الافريقية المستقلة .

عبد الناصر ينهي ضغط الشركات الايطالية في الصومال :

عندما تولى عبد الرشيد الشارماكي رئاسة الوزارة في الصومال انتهج سياسة اكثر تحررية . وبدأ ينضم الى مجموعة الدول التحررية في كثير من المواقف الافريقية الاساسية مثل ازمة الكونغو وتأييد حركات التحرير كما انجه الى تدعيم علاقته بمصر وانعكس هذا التحول في سياسته على الصومال وعلى علاقة عبد الرشيد بأيطاليا والشركات الايطالية التي كانت تحتكر تسويق محصول الموز وهو المحصول الرئيسي للصومال .

ويبدو ان هذه الشركات كانت تنفذ خطة القصد منها الضغط على رئيس الوزراء لحمله على ترك هذه السياسة الجديدة . فامتنعت عن شراء الموز الصومالي وتركت اسعاره تهبط هبوطا شديدا كان يهدد بكارثة لا يتحملها اقتصاد الصومال الضعيف . وكان هذا اسلوبا معروفا واجهه كثير من الحكومات الافريقية حديثة الاستقلال . وشرح عبد الرشيد مشكلته امام جمال عبد الناصر في مباحثات دارت بينهما اثناء زيارة رسمية للقاهرة تمت في ذلك الوقت . ورد عبد الناصر قائلا ان مصر سوف تدخل مشترية لمحصول الصومال من الموز الذي سوف تطرحه للاستهلاك المحلي داخل اسواقنا . واننا سنقوم في نفس الوقت بتصدير معظم محصولنا من الموز المصري فلدينا القنوات والقدرة على تحقيق ذلك .

وجاء هذا العرض مفاجأة لعبد الرشيد نفسه الذي وجد فيه انقاذا للاقتصاد الصومالي ومخرجا من هذه الازمة دون ان يضطر الى الخضوع

لضغط الشركات او تعديل سياسة اختارها . وبعد ان عبر عبد الرشيد عن امتنانه لهذا الموقف المصري الحاسم استطرد عبد الناصر قائلا انه مع التزامه بما قال فانه يعتقد اننا قد لا نحتاج الى اتمام هذه الصفقة . حيث ان مجرد الاعلان عنها سوف يجعل الشركا تالايطالية تعدل عن موقفها هذا ، فهي بكل تأكيد لا تريد ان تخسر السوق الصومالية وسوف تعود غالبا لشراء الموز الصومالي .

وقد تحققت نبؤة عبد الناصر ، فما ان اعلن عن هذا الاتفاق حتى اندفعت الشركات الايطالية تريد شراء المحصول كله والحت على حكومة الصومال حتى تلغي الصفقة المصرية ، والغيت بالفعل هذه الصفقة التي لم تكن في حاجة اليها بعد ان اصبحت حكومة عبد الرشيد في موقف اقوى امام هذه الشركات ومن هم وراءها والعجيب ان سعر الموز الصومالي ارتفع ذاك العام عن اعوام كثيرة سابقة .

تقديم الخبرة الفنية لافريقيا :

تختلف مصر عن معظم الدول النامية في العالم بوجود جيش هائل من الخبراء والفنيين وخريجي الجامعات في مختلف المجالات على عكس معظم الدول النامية الاخرى ومنها الدول الافريقية التي كان الاستعمار يتركها عند الاستقلال دون ان يكون لديها الكوادر الفنية من الوطنيين لتسيير الحياة حتى يستمر اعتمادها على خبراء الدولة المستعمرة . وقد مكننا هذا الوضع من تلبية الكثير من احتياجات الدول الافريقية من الخبراء والفنيين وقت الضرورة . فقد لجأت كثير من الدول الاستعمارية الى سحب خبرائها وفنييها من بعض الدول الافريقية حديثة الاستقلال كوسيلة للضغط على الحكومة الجديدة كمحاولة لفرض سياسات معينة ، وفي هذه الحالات.كانت مصر دائما جاهزة لارسال خبرائها فورا لانقاذ الموقف .

وقد حدث ذلك على سبيل المثال في غينيا الاستوائية بعد الاستقلال مباشرة عندما حدث خلاف بين الحكومة الجديدة واسبانيا التي كانت تحتل الاقليم قبل الاستقلال . وسحبت اسبانيا جميع اطبائها ولم يكن في غينيا الاستوائية اطباء غيرهم كما سحبت خبراءها من بعض المجالات الاخرى .

وعرض رئيس جمهورية غينيا الاستوائية هذه المشكلة التي تتعرض

لها بلاده وذلك في مؤتمر القمة الافريقي في اديس ابابا عام ١٩٦٨ والذي كان بمفرده لاول مرة بعد استقلال بلاده مباشرة . وسألت رئيس الجمهورية عن عدد الاطباء الاسبان الذين سحبتهم اسبانيا ــ وكنت وقتئذ اراس وفد مصر في المؤتمر ــ فأجاب بأنهم اربعة وان هناك مثل هذا العدد من الخبراء الاخرين ، واعلنت على الفور ان مصر سوف ترسل الاطباء والخبراء في حدود هذه الاعداد الى غينيا الاستوائية لسد الفراغ الناتج عن خروج الاسبان ، ووصل الخبراء المصريون بالفعل بعد ايام قليلة وكانت هذه بداية لعلاقة فنية مع حكومة غينيا الاستوائية .

حدث ايضا اثناء الحرب الاهلية في نيجيريا ان ارسلنا حوالي ٣٠٠ طبيب مصري الى نيجيريا للعمل بعقود مع الحكومة النيجيرية بعد ان تركها عدد من الخبراء الاوربيين اثناء هذه الحرب . وحدث نفس الشيء بالنسبة لبلاد كثيرة منها غينيا والكونغو برازافيل وغيرها . ويجدر بنا الاشارة الى الجهد الذي حققه المدرسون المصريون في الصومال قبل الاستقلال وبعده للابقاء على صلة الشعب الصومالي بجذوره العربية والتي حاول الاستعمار ان يقتلعها بشتى الطرق . ولكن انتشار المدرسين المصريين في جميع انحاء الصومال حتى القرى الصغيرة كان من العوامل الاساسية التي وصلت الصومال بجذوره العربية وانتهت بارتباط هذا القطر الشقيق بالعالم العربي .

وبجانب الفائدة الكبيرة التي حققتها المساعدات المصرية لبعض الدول في هذا الميدان ، فقد فتحت هذه المساعدات مجالات واسعة للعمل في افريقيا امام الخبراء والفنيين وخريجي الجامعات المصرية . حيث لوحظ انه ما من مرة اوفدت فيها الحكومة المصرية عددا من خبرائها الى دولة افريقية حتى نفاجأ بعد شهور قليلة بأعداد كبيرة من المصريين وقد تواجدوا في هذه الدولة بعقود شخصية سواء مباشرة مع حكومة هذه الدولة او اجهزتها او من خلال الامم المتحدة التي تمد الدول الافريقية بالخبراء والفنيين . فمثلا عندما قمنا بحصر الرعايا المصريين في الكونغو لترحيلهم كاجراء وقائي عقب احتجاز تشومبي في القاهرة اثناء مؤتمر القمة لعدم الانحياز الذي عقد في القاهرة عام ١٩٦٤ وجدنا ان عددهم قد وصل الى المائة فرد علاوة على عائلاتهم . وبخلاف الموظفين الذين اوفدتهم القاهرة واجهزتها مثل اعضاء السفارة والمكاتب التجارية وشركة النصر للتصدير والاستيراد كان هؤلاء قد حصلوا على وظائفهم واعمالهم هناك خلال فترة وجيزة رغم حالة عدم الاستقرار التي كانت تسود الكونغو .

واعتقد ان الفرصة ما زالت كبيرة امام خبرائنا وفنيينا للعمل في الدول الافريقية التي هي في اشد الحاجة لهذه الخبرة وخصوصا في البلدان التي تسمح مواردها بتنفيذ برامج طموحة للتنمية .

ومما لا شك فيه ان الخبراء المصريين باعتبارهم افريقيين يكونون اكثر اخلاصا وولاء لمصالح الدول الافريقية من الخبراء الاوربيين الذين عـــادة ما يكون ولاؤهم الاول للهيئات والشركات الاوربية المرتبطة بمصالح الـــدول التي ينتمون اليها والتي تتناقض عادة في مصالحها مع المصالح الحقيقية للدولة الافريقية وخاصة اذا كانت من الدول الحريصة على تحقيق استقلالهـــا الاقتصادي والمحافظة على هذا الاستقلال .

تقديم القروض الى الدول الافريقية :

قدمت مصر القروض لبعض الدول الافريقية التي تعرضت لضغـــوط اقتصادية نتيجة مواقفها من الاستعمار ، وقد اراد عبد الناصر من وراء ذلك ايضا ان يثبت للدول الافريقية ان مصر قادرة هي الاخرى على حمايـــــة اصدقائها الذين رفضوا التعامل مع اسرائيل . وكان لا بد لنا من دخول هذا الميدان بعد ان كانت قد طرقته قبلنا اسرائيل التي كانت تمنح القروض للدول الافريقية كوسيلة للتسلل ثم تعمل على تسميم العلاقة بين هذه الدول وبين مصر والعرب جميعا .

ومن الاسباب التي شجعت عبد الناصر على اتباع هذا الاسلوب فـــي المساعدة ان معظم القروض التي كانت تطلب من مصر كانت تنفذ في اعمـــال البناء والتشييد سواء في انشاء طرق او منشآت أو تطهير موانىء وكلها من الاعمال التي كانت لشركاتنا القدرة والطاقة على القيام بها . كما كان هنـــاك اعتقاد بامكانية توسع هذه الشركات بعد ذلك في هذا المجال الذي يمكن ان يحقق لها عائدا كبيرا وسريعا في الدول الافريقية الاخرى الاكثر ثراء والتـــي تستطيع الدفع بالعملات الحرة .

قرض غينيـــا :

كان من بين القروض التي قدمتها مصر الى افريقيا قرضا قيمته عشرة ملايين من الجنيهات الى جمهورية غينيا وذلك بموجب اتفاقية ابرمت بـــين البلدين تقوم مصر بمقتضاها بتنفيذ بعض المشروعات الانشائية وتطهير ميناء

كوناكري في حدود هذا القرض الذي تسدده غينيا بفائدة ٢٫٥٪ على سبع سنوات . ولكن غينيا لم تستخدم من هذا القرض الا ما يزيد قليلا عن نصفه فقط استخدام معظمه في تطهير ميناء كوناكري وقامت بهذه المهمة هيئة قناة السويس بخبرائها وبالكراكات والمعدات التي تمتلكها هذه الهيئة .

وقد جاء هذا القرض في اعقاب ميثاق الدار البيضاء الذي كان يجمع مصر بغينيا وثلاث دول اخريات هي مالي وغانا والمغرب . وكانت غينيا وقتها تتعرض لضغط اقتصادي تمارسه فرنسا منذ اعلنت غينيا استقلالها حيث كان ديجول مصمما على اسقاط حكم سيكوتوري بأي ثمن لتكون غينيا امثولة امام اي دولة في المجموعة الفرنسية تفكر في الخروج عما سمي بالمجتمع الفرنسي .

فبمجرد استقلال غينيا اعلنت الحكومة الفرنسية عن عزمها على سحب جميع المستخدمين المدنيين الفرنسيين في ظرف شهرين اثنين ، واوقفت جميع المساعدات المالية . وكذلك اوقفت الاستثمارات الفرنسية في غينيا وحاولت التأثير ايضا على كثير من هيئات الاستثمار الاجنبية لتحذو حذوها وامتنعت عن الاعتراف بالدولة الجديدة حتى بعد ان اعترفت بها عشرون دولة اخرى منها بريطانيا .

وسحبت فرنسا وحدات الجيش من غينيا بما فيها اطباء الجيش الذين كانوا يتولون الخدمة الطبية في المجال المدني ايضا وسحبوا معهم جميع الامدادات الطبية . كما سحبت فرنسا قوة البوليس بعد تحطيم ثكناتها ؛ وقطعت المنح الدراسية عن جميع الطلبة الفنيين في باريس وداكار .

لهذا كله كان تدعيم موقف سيكوتوري ومساعدته في مقاومة جميع انواع الضغوط التي تمارسها ضده فرنسا امرا ضروريا لتدعيم الثورة الافريقية . ولم تكن مصر وحدها في تقديم المساعدة لغينيا وانما وقفت معها دول اخرى كان اهمها غانا التي قدمت لها عشرة ملايين من الجنيهات وضعها الرئيس الراحل كوامي انكروما بالعملة الصعبة تحت تصرف الحكومة الغينية واعلن في ٢٣ يوليو عن قيام اتحاد بين غينيا وغانا . كما قدم الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية مساعداتهم في مجالات مختلفة حتى استطاع سيكوتوري ان يجعل استقلال غينيا حقيقية . وكان في ذلك القضاء الكامل على فكرة ديجول في انشاء المجتمع الفرنسي .

قرض الى جمهورية مالي :

تعرضت مالي لظروف سياسية قريبة من تلك التي تعرضت لها غينيا . فقد كانت مالي اول دولة بعد غينيا تطلب الخروج من « المجتمع الفرنسي » الذي أسسه ديجول وان كان زعيمها موديبو كيتا قد حرص على الا يتحدى ديجول بالاسلوب الذي اتبعه سيكوتوري عند الاستقلال . ولكنه لم يستطع ان يتجنب المواجهة مع فرنسا بعد ذلك عندما خرجت مالي عن دائرة الفرنك الفرنسي ، الامر الذي جعلها تتعرض لضغوط اقتصادية عنيفة .

وقد سار موديبو كيتا في نفس الطريق الذي اتبعه سيكوتوري ونكروما وجمال عبد الناصر في سياستهم الافريقية التحريرية وارتبط بميثاق الدار البيضاء الذي كان يضم الدول الراديكالية في افريقيا .

وعقدت اتفاقية بين مصر ومالي تحصل الاخيرة بموجبها على قرض في حدود ستة ملايين من الجنيهات تنفذ في اقامة فندق عالمي في مدينة بماكو (العاصمة) وفي رصف طريق . وقد ابدى جمال عبد الناصر تحفظا امام الرئيس كيتا قبل الاتفاق على هذا القرض ، حيث كان يفضل ان ينفذ القرض في مشروعات انتاجية يمكن من عائدها تسديده . ولكن موديبو كيتا اوضح اهمية الفندق بالنسبة لمالي حيث كانت معظم الدول الافريقية حديثة الاستقلال تعتبر ان وجود فندق عالمي في عاصمتها امرا ضروريا لتأكيد سيادتها واستقلالها . فهو ضروري لعقد المؤتمرات التي يحضرها الرؤساء ووزراء الخارجية وكذلك استضافة رجال الاعمال والوفود الكبيرة . وقد كانت مدينة بماكو تفتقر الى اي مكان مناسب لمثل هذا النشاط .

وكذلك كان انشاء الطريق ضروريا من وجهة نظر الرئيس كيتا لان فرنسا اهملت البنية الاساسية في مالي ومنها شبكة الطرق اللازمة لنقل المحاصيل الزراعية .

وقد نفذ هذا القرض بالكامل وشيد المهندسون المصريون الفندق العالمي الذي تكلف حوالي ٣ر٥ مليون جنيه كما شيدت الشركات المصرية الطريق المتفق عليه . وقد اطيح بحكم موديبو كيتا اثناء بناء الفندق وتوقف العمل فترة لعدم توفر العملة المحلية لدى حكومة مالي للصرف على اجور العمال الماليين والاعمال المحلية وخوفا من ان ترتفع تكلفة المشروع اكثر من اللازم نتيجة توقف العمل لفترة طويلة ، ثم الاتفاق مع الحكومة الجديدة على ان تقدم مصر لمالي سلعا استهلاكية من الانتاج المصري بقيمة ما يلزم المشروع من النقد المحلي وذلك خصما من القرض على ان تقوم حكومة مالي بتصريف هذه السلع عن طريق المجمعات والجمعيات الاستهلاكية التي تديرها الدولة

وتستخدم حصيلة بيع هذه السلع في الانفاق المحلي لاستكمال مشروع الفندق .

وبناء على هذا الاتفاق اغرقت اسواق مالي المنتجات الاستهلاكية المصرية من معلبات وثلاجات واثاثات معدنية وماكينات خياطة ودراجات واجهزة تكييف هواء وغيرها من الانتاج المصري الذي اهتمت حكومة مالي بتسويقه .

وبعد الانتهاء من تنفيذ هذا الاتفاق الاخير استمرت السلع المصرية في رواجها واستفادت شركة النصر للاستيراد والتصدير بهذا الوضع المميز الذي حصلت عليه السلعة المصرية بعد ان تعود عليها المستهلك في مالي .

وهكذا كانت القروض التي تمنحها مصر بجانب ما تحققه من اهداف سياسية تفتح اسواقا وفرصا جديدة امام الانتاج المصري .

قروض لم تنفذ :

وقد تم الاتفاق مع دول افريقية اخرى على تقديم قروض بنفس الشروط في ظروف مماثلة ايضا . فقد اتفق على سبيل المثال على تقديم قرض بثلاثة ملايين من الجنيهات الى الكونغو (برازافيل) وكان ذلك بعد الاطاحة بحكم الاب يولو الرجعي وتحول الكونغو الى مجموعة الدول الثورية التي تؤيد حركات التحرير . وقرضا اخر بأربعة ملايين جنيه الى الصومال . ولكن لم ينفذ شيء من هذين القرضين لعجز حكومتي الكونغو والصومال عن توفير النقد المحلي اللازم لتنفيذ المشروعات التي نصت عليها هذه القروض وهي مشكلة عادة ما تصطدم بها معظم الدول حديثة الاستقلال والتي لا تجد لديها المدخرات الكافية التي تسمح لها باستخدام القروض المتاحة .

واتفقت القاهرة على قرض اخر بنصف مليون جنيه لحكومة زنزبار يستخدم في اقامة فندق سياحي صغير . وقبل ان يوضع مشروع القرض في صيغته النهائية قامت الثورة في زنزبار . تلك الثورة التي ادت الى الاتحاد مع تنجانيقا وقيام جمهورية تنزانيا ولم ينفذ هذا القرض ايضا لتغير الظروف وتغير اولويات التنمية لدى الحكومة الجديدة .

وهكذا نجد ان المبالغ التي وضعتها مصر لاقراض الدول الافريقية كانت مبالغ صغيرة ولكن تاثيرها كان عظيما وكان يعكس الى حد بعيد معنى التضامن الحقيقي .

عبد الناصر يقضي على سياسة احتكار السلاح في افريقيا :

عندما تعرضت مصر في بداية الثورة لغارات اسرائيل الجوية المركزة على قطاع غزة خرجت تبحث عن السلاح من اجل امنها وأمن مواطنيهـــا ؛ ولكنها وجدت جميع الابواب مغلقة في وجهها ، فرفضت انجلترا ورفضــت أمريكا وفشلت مصر في الحصول على ما تريده من سلاح لترد بــه عدوان اسرائيل فقد امتنعت جميع الدول الغربية التي كانت تحتكــر هذه التجــارة وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية عن بيع مصر السلاح . وكانت هــذه هي احدى وسائل الضغط التي استخدمتها امريكا وحلفاؤها لفرض سياسة الاحلاف على النظام الجديد في مصر .

وفاجأ جمال عبد الناصر العالم بحصوله على صفقة الاسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ . فقد كانت هذه هي المرة الاولى في تاريخ العالم التي تحصــل فيها دولة من خارج الكتلة الشرقية على اسلحة سوفيتية الصنع . وهكــذا كان جمال عبد الناصر أول من كسر احتكار السلاح في العالم وفتح بذلــك الطريق امام دول العالم الثالث التي تناضل من أجل استكمال استقلالهـــا أو الدفاع عنه .

ولم يكتف عبد الناصر بذلك ولكنه ساهم مساهمة ايجابية وعملية فــي تسليح الدول الافريقية بهدف كسر احتكار الدول الاستعمارية لتجــــارة السلاح .

فقد كانت اعباء الدفاع من أول الاعباء التي تواجه الدول الافريقيـــة حديثة الاستقلال ، فهي مهمة كانت تتولاها قبل الاستقلال مباشرة الــدول الاوروبية المستعمرة والتي كانت تقوم بعمليات التدريب والتسليح ، ولكنهـا لم تكن تستخدم الا الضباط الاوربيين ، وعند الاستقلال نجدها تترك جيشا دون قيادة وطنية حيث لا يوجد عادة ضابط واحد من الافريقيين الذين يقتصر وجودهم على رتب الصف والعساكر فقط . وكان هذا ما حدث على سبيــل المثال في الكونغو (زائير حاليا) الذي كان جميع ضباطه من البلجيك وكان ذلك سببا من الاسباب التي ادت الى تمرد الجيش في الايام الاولى للاستقلال .

وهكذا اريد للدول الافريقية حديثة الاستقلال ان تكون غير قادرة على الاعتماد على نفسها في المجال العسكري فهي تحتاج الى دولة الاستعمــار التي تمدها بالسلاح والتدريب في كلياتها ومدارسها العسكرية واحيانـــا بالضباط الاوربيين ، او على الاقل القيادات العليا من الضباط ، فقد استمرت غانا على سبيل المثال ولعدة سنوات بعد الاستقلال معتمدة على الضبـــاط الانجليز في القيادات العليا للجيش الغاني ، وقد سبب لها ذلك الكثير مــن

المشاكل .

وقد استفادت الدول الاستعمارية التي تحتكر موارد السلاح - من هذه الاوضاع واستخدمتها كوسيلة لاستمرار سيطرتها ومباشرة الضغط على الدول الحديثة وقت اللزوم . وكانت الدول الاستعمارية اذا امتنعت عن تقديم السلاح والتدريب فلا يقبل دولة غربية اخرى ان تحل محلها .

اما الالتجاء الى الاتحاد السوفيتي او دول الكتلة الشرقية - حتى بعد ان فتحت مصر الطريق الى ذلك - فقد كان في البداية امرا محفوفا بكثير من المخاطر التي لا تقوى على مواجهتها دولة حديثة الاستقلال ما زالت تجارتها واقتصادها في قبضة الشركات والاحتكارات الفرنسية .

ومن هنا جاءت اهمية الدور الذي لعبه جمال عبد الناصر في امداد الدول الافريقية بالسلاح ومساعدتها على كسر احتكار تجارته وابطال مفعول هذا الاحتكار كأداة من ادوات الاستعمار الجديد ، وقد استطاع عبد الناصر ان يحقق ذلك اولا لوجود كميات كبيرة من الاسلحة والذخيرة الانجليزية الصنع لم تعد مصر في حاجة اليها بعد تحول الجيش المصري الى الاسلحة السوفيتية الصنع . وكذلك توفر المدارس العسكرية والمدرسين القادرين على التدريب على هذه الاسلحة ، وثانيا اصبح في امكانه توفير الاسلحة الروسية لاي دولة افريقية تريد ذلك دون ان تكون هذه الدولة مضطرة الى التعامل مباشرة مع دول الكتلة الشرقية بعد ان اصبح جيش مصر قادرا على توفير الخبرة والتدريب بواسطة خبراء مصريين حيث كان قد اكتمل تدريبهم على الاسلحة الروسية .

وكان عبد الناصر من واقع تجربته يرى ان من حق اي دولة ان تحصل على السلاح الذي يحقق امنها وامن مواطنيها ولذلك لم يتردد في مساعدة العديد من الدول الافريقية التي فرض عليها حظر السلاح وهي تناضل من اجل تحقيق استقلالها وتحرير ارادتها .

مصر تسلح وتدرب جيش مالي

التقى جمال عبد الناصر بالرئيس موديبو كيتا لاول مرة في يناير سنة ١٩٦١ في الدار البيضاء في اثناء انعقاد مؤتمر القمة الافريقي الذي صدر عنه ميثاق الدار البيضاء وقد اعجب كل من الزعيمين بشخصية الاخر وتوطدت بينهما الصداقة بسرعة .

وفي هذا اللقاء سأل عبد الناصر الرئيس موديبو كيتا عن السبب الذي

من اجله ترك دول العالم واتجه الى اسرائيل لتسلح الجيش المالي وتدريبه.

فاسرائيل ذيل الامبريالية واداة لها في الوقت الذي اصبحت فيه مالي في مقدمة الدول التي تحارب وترفض التبعية .

وقال كيتا ان لذلك قصة : فعندما خرجت مالي من المجتمع الفرنسي امتنعت فرنسا عن تسليح الجيش المالي فأتجه كيتا الى دول كثيرة يطلب شراء السلاح ولكن دون جدوى ، وكان طبيعيا ان يلجأ الى كل من انجلترا وامريكا ، فكانت ردودهما واحدة اذ ابدتا استعدادهما لمساعدة مالي في الحصول على السلاح الذي تريده ولكن عن طريق اسرائيل التي يمكنها ان تقدم السلاح والتدريب للجيش المالي . وهكذا لم يجد كيتا — كما قال — مصدرا واحدا لتسليح جيشه سوى اسرائيل .

وقال موديبو كيتا انه في البداية لم يفهم الحكمة وراء ذلك، ولكنه سرعان ما عرف الحقيقة . فعندما بدأت عملية التسليح كان السفير الاسرائيلي يتردد عليه كثيرا وكان كيتا يهتم به باعتباره سفير الدولة التي تقدم له السلاح ، وكان السفير الاسرائيلي دائم الحديث عن الطريقة التي قاوم بها اليهود الاستعمار البريطاني اثناء الاحتلال واستطاع من خلال ذلك ان يترك في نفسه انطباعا بأن اسرائيل كدولة صغيرة — تريد حقا ان تعيش في سلام كما انه اقتنع بانها دولة تقف ضد الاستعمار الامر الذي جعله يطمئن الى السفير الاسرائيلي ، الى ان اكتشف ان هذا السفير يعمل في مالي بتنسيق كامل مع سفراء امريكا وفرنسا . فقد حدث ان صارح كيتا السفير الاسرائيلي بنيته في اتخاذ بعض الاجراءات ضد مصالح فرنسا في بلاده ولم يمض وقت قصير حتى كان السفير الفرنسي قد احيط علما بكل اطراف الحديث . ولسوء حظ السفير الاسرائيلي ان كيتا لم يكن قد فاتح احدا بذلك سواه . ثم تأكد له بعد ذلك من احداث اخرى ان اسرائيل تعمل في مالي لحساب الدول التي تحارب نظامه .

وهنا عرض عليه عبد الناصر ان تقوم مصر بتسليح وتدريب الجيش المالي كما قدم له باسم مصر هدية من الاسلحة الصغيرة سوفيتية الصنع تكفي لالف مقاتل ، وكان هذا العدد هو قوام الجيش المالي في ذلك الوقت وكانت هذه الهدية من الاسلحة بقصد احلال الاسلحة السوفيتية محل الاسلحة الاسرائيلية المستخدمة في ذلك الوقت .

ووافق مديبو كيتا على الفور . وقامت مصر بناء على هذا الاتفاق بتدريب الجيش المالي وحضرت الى القاهرة بعثات من الضباط والصف الماليين للتدريب على الاسلحة السوفيتية كما أوفدت بعثة عسكرية مصرية الى مالي للاشراف على انشاء مدارس ومراكز للتدريب على الاسلحة الروسية وتدريب وحدات الصاعقة . وقام منذ ذلك الوقت تعاون بين الجيش

المصري وجيش مالي حتى ان زي الجندي هناك اصبح مشابها تماما للزي المستخدم في الجيش المصري .

وقد كان من الصعب على دولة في مثل ظروف جمهورية مالي الحديثة الاستقلال ان تنشيء علاقة سلاح مباشرة بينها وبين الاتحاد السوفيتي . فكلنا يعرف ردود الفعل التي احدثتها صفقة الاسلحة التشيكية التي حصلت عليها مصر عام ١٩٥٥ وكيف اثار ذلك غضب امريكا والدول الاستعمارية . اما التعامل مع مصر فكان امرا لا يمكن ان يحدث مثل هذه المضاعفات . فمصر دولة افريقية ، ووصول بعثة عسكرية مصرية الى مالي لا يحدث التعقيدات وردود الفعل التي يمكن ان يسببها وصول بعثة عسكرية سوفيتية الى هذه المنطقة في ذلك الوقت .

وعندما استطاعت مالي ان تجعل من استقلالها حقيقة ، واستطاع موديبو كيتا ان يدعم نظامه ، اصبح قادرا على التعامل مباشرة مع روسيا والحصول على ما يلزمه من سلاح وتدريب .

وجيش الصومال :

وحدث شيء مماثل مع الصومال فعندما كان عبد الرشيد الشرماركي رئيسا للوزراء واراد ان ينشيء جيشا وطنيا يواجه به تحرشات اثيوبيا على حدوده في منطقة الاوجادن ، ويحمي حدوده مع كينيا حيث كانت القوات الانجليزية ما زالت موجودة قام رئيس الوزراء بنفسه بزيارة دول اوروبا الغربية بحثا عن السلاح الذي يريد ان يشتريه . واصطحب معه في رحلته هذه الجنرال زياد بري نائب القائد العام في الجيش في ذلك الوقت (رئيس الجمهورية بعد ذلك) ولكنه لم يجد دولة واحدة من بين دول اوروبا تبيع السلاح للصومال ، فالحصول على السلاح قضية سياسية في المقام الاول وليس مجرد سلعة تطرح في الاسواق العالمية ، فقد كانت الدول الغربية وقتها لا ترضى عن سياسة عبد الرشيد وكانت تباشر جميع الوان الضغط على حكومته .

وقرر عبد الرشيد ان يتوقف في القاهرة اثناء عودته ويبحث الامر مع جمال عبد الناصر وانقل هنا كلمات الرئيس زياد بري الذي حضر المقابلة بين عبد الناصر وعبد الرشيد وذلك في حديث له مع الاستاذ احمد حمروش نشرته مجلة روز اليوسف في عددها رقم ٢٤٨٨ بتاريخ ١٦ فبراير سنة

١٩٧٦ . قال عبد الرشيد : كانت مقابلة جمال عبد الناصر نقطة تحول في تاريخنا بددت كل اليأس وتدفق الامل . فقد قرر عبد الناصر ان يعطينا السلاح . بل وقال سوف نتقاسم ما نملك وكان عند كلمته . واصبح عبد الناصر املنا وبطلنا واصبحت مصر قبلتنا واصبحت العسكرية المصرية الثورية نموذجنا . وعرفنا عبد الناصر على السوفيت وبدأت علاقتنا بهم

وبتوصية عبد الناصر حصلنا منهم على السلاح وعلى الخبرة .

وقد قامت علاقة وثيقة ايضا بين الجيش المصري والجيش الصومالي منذ ذلك الوقت . وعندما قامت الثوة الصومالية بقيادة الجنرال زياد بري كان عدد كبير من اعضاء مجلس الثورة من الضباط الذين حصلوا على تدريبهم في مصر وقد اعلنت الثورة الصومالية عند قيامها وعلى لسان قائدها : « ان ثورة الصومال ابنة شرعية ورشيدة ووفية لثورة ٢٣ يوليو » .

ويهمني ان اشير هنا الى انه رغم تحمس عبد الناصر للتعاون العسكري بين مصر والصومال . فقد كان ينصح دائما بتحسين العلاقات الصومالية الكينية كما نصح الثورة الصومالية بتجميد خلافاتها مع جيرانها بما في ذلك اثيوبيا . فقد كان عبد الناصر يدرك تماما ان جميع مشاكل الجنود التي ورثتها الصومال هي من صنع وتخطيط بريطانيا التي تعمدت ذلك قبل رحيلها من الصومال لترهق كل دول المنطقة وتدفعها الى الاعتماد عليها وعلى الدول التي تحتكر السلاح .

وكان ضد فكرة سباق التسليح بين الدول الافريقية ويقول دائما في مناسبات كثيرة امام الزعماء الافريقيين ان الخلاف مع الدول المجاورة امر مكلف للغاية لانه عادة يؤدي الى استخدام السلاح . ولكن هذه النظرة لم تمنعه من تقديم السلاح للصومال على أساس مبدئي ايضا وهو أن من حق اي دولة ان تحصل على السلاح اللازم لامنها وانه لا بد من تقديم المساعدة في هذا المجال لاي دولة افريقية تتعرض لضغط الدول التى تحتكر تجارة السلاح .

جومو كنياتا يطلب المساعدة العسكرية من جمال عبد الناصر :

اثارت العلاقة العسكرية بين مصر والصومال تساؤلات كثيرة لدى

المسؤولين في كينيا بعد استقلالها خاصة وان علاقتنا بالزعماء الكينيين كانت علاقة متينة بدأت منذ قيام حركة الماوماو .

وفي عام ١٩٦٤ عندما حضر جومو كنياتا الى القاهرة لحضور مؤتمر القمة الافريقي الثاني الذي عقد في القاهرة تحدث معي وزير خارجيته (جوزيف فورمبي) متسائلا كيف تسمح مصر بأن يستخدم سلاحها الذي نعطيه للصومال ضد الكينيين . فقلت اننا لا نسلح الصومال بقصد محاربة كينيا وشرحت له موقفنا من مشاكل الحدود بين الصومال وجيرانها ، وقلت ان مصر التي عرفت معنى احتكار السلاح وقاست منه كثيرا في الوقت الذي كانت حدودها وامنها مهددا ترى ان من حق اي دولة افريقية ان تحصل على السلاح . واننا على استعداد لتقديم المساعدة لاي دولة في افريقيا يمنع عنها السلاح بسبب سياستها الوطنية ورغبتها في التحرر كما حدث في الصومال .

وعندما نقلت هذا الحديث الى الرئيس جمال عبد الناصر كلفني بأن ابلغ وزير خارجية كينيا ان مصر على اتم استعداد للتعاون العسكري مع كينيا على غرار تعاونها مع الجيش الصومالي وذلك لازالة اي شكوك تكون قد ترسبت في نفوس المسؤولين الكينيين نتيجة مساعداتنا العسكرية للصومال ، ولاننا ايضا كنا على علم بأن الصومال لا تنوي فتح جبهة على الحدود الكينية . وكان تعاوننا العسكري مع كينيا ايضا يجعلنا في موقف نستطيع معه تهدئة الجانبين . وقد كان لهذه الرسالة بالفعل اثر كبير في تدعيم الثقة بين جومو كنياتا وجمال عبد الناصر بعد ذلك .

ففي اثناء مغادرة كنياتا لمطار القاهرة عائدا الى بلاده تحدث الى جمال عبد الناصر الذي كان في وداعه ـ مشيرا الى حديثي مع وزير خارجيته وقال انه يريد التخلص من القوات البريطانية الموجودة في كينيا ويريد مساعدة مصر لكينيا في بناء الجيش الوطني . كما قال انه يريد كذلك اتخاذ بعض الخطوات التي تمكنه من زيادة قبضة الدولة على الاقتصاد الوطني ، وطلب من عبد الناصر ان اذهب انا الى نيروبي في اقرب وقت ممكن لبحث تفاصيل هذه الموضوعات معه والتباحث حول المساعدة التي تستطيع ان تقدمها مصر في هذا ن المجال .

وبناء على تكليف عبد الناصر سافرت في شهر اغسطس ١٩٦٤ الى نيروبي واجتمعت بالرئيس كنياتا ووزير خارجيته عدة مرات حضرها سفيرنا هناك في ذلك الوقت ـ السيد ممدوح جبه ـ كما اجتمعت ببعض مستشاري الرئيس كنياتا . وقد كان لنا لقاءات مثيرة حقا ، فقد كانت كينيا على وشك ان تشهد تحولا خطيرا في سياستها الداخلية والخارجية ، كان كنياتا يريد ان يتخلص من النفوذ الانجليزي ليس في الجيش فقط ولكنه كان

يريد ان يتخلص من السيطرة الانجليزية على الاقتصاد الكيني ايضا .وكانت لديه دراسات معدة لتنفيذ ذلك وفيها حصر للعديد من الوظائف الحساسة التي يشغلها انجليز ويريد ان يحل محلهم مصريون بمجرد البدء في تنفيذ الخطة وقبل ان تلجأ بريطانيا الى سحب خبرائها .

كان واضحا ان هناك صراعا داخل الحكومة الكينية بين القوى اليمينية التي يتزعمها توم مبويا والقوى اليسارية التي كان يتزعمها اليساري اوجنجا اودنجا . ويبدو ان كنياتا كان يريد ان يحسم الموقف لصالح الاتجاه اليساري التقدمي ولكن بعيدا عن زعامة اوجنجا اودنجا . وكان جوزيف مورمبي وزير الخارجية متحمسا لهذا الاتجاه .

واثناء زيارتي هذه تم الاتفاق على عدة اشياء محددة تقوم بها مصر من بينها تدريب كتيبة مظلات وارسال خبراء عسكريين مصريين لتدريب الجيش الكيني بعد التخلص من الضباط الانجليز . وطلب كينياتا عددا من المستشارين العسكريين يكون من بينهم ضابط اركان حرب برتبة كبيرة للعمل كمستشار لرئيس الاركان . كما كان يترتب على ذلك ارسال اعداد من الضباط الكينيين للتدريب في القاهرة . وتم الاتفاق ايضا على تجهيز عدد من الخبراء والفنيين المصريين في بعض المجالات الحيوية الاخرى . وكان كينياتا يريد مساعدة مصر كذلك في انشاء شركة حكومية للتجارة الخارجية .

وقد تمت الاتصالات الخاصة بهذه الترتيبات بتكتم شديد . واتفقنا على ان تخطرنا الحكومة الكينية بعد ذلك بالتوقيتات التي تحددها لتنفيذ هذه البنود عندما تكون مستعدة لذلك . ولكن احدا في الحكومة الكينية لم يعاود الاتصال او الحديث مع سفيرنا هناك بخصوص هذه الموضوعات بعد مغادرتي لنيروبي. وفهم السفير بعد مدة انه صرف النظر عن هذه الترتيبات .

ولم نعرف الاسباب التي جعلت كيناتا يعدل عن تنفيذ خطته هذه التي تم الاتفاق من قبل على تفاصيلها . ولكن كان من الواضح ان الجناح اليميني في كينيا قد أصبح اكثر خطورة عند كيناتا كما اصبح الزعماء اليمينيون امثال توممبويا اكثر قدرة على التأثير في الاتجاه العام للدولة . ويبدو ان هؤلاء قد استغلوا رغبة كنياتا في اتخاذ مثل هذه الخطوات التي كانت ستضعه على طريق التحول الاشتراكي وتصفية النفوذ الانجليزي في كينيا ، وهو طريق صعب في بلد مثل كينيا حيث تتواجد اعداد كبيرة من المستوطنين الاوربيين الذين ما زالت ارتباطاتهم وثيقة بالمصالح والشركات والاحتكارات الراسمالية الاوروبية والانجليزية على وجه الخصوص .

ومات كينياتا دون ان يعود الى هذه الافكار مرة ثانية بل انه عرف بأنه الرجل الذي رحب ببقاء الانجليز كشركاء في الاستثمار والتنمية بعد ان اخرجهم كقوة استعمارية كما انه قاد بلاده في طريق الاقتصاد الحر . ولكن

حكم كينياتا ادى في النهاية الى خلل فظيع في العدل الاجتماعي ، واصبح التفاوت الكبير في الدخول ظاهرة خطيرة في المجتمع الكيني .

موقف مع اوغندا :

في عام ١٩٦٥ قام جيش تشومبي من المرتزقة الاوربيين بتعقب الثوار الكونغوليين الى داخل حدود اوغندا وشن بعض الغارات على المواطنين الاوغنديين بقصد الارهاب والتخويف من عواقب ايواء الثوار . كما كانت الطائرات القاذفة المقاتلة التابعة لتشومبي يقودها طيارون بلجيك تغير على القرى الاوغندية القريبة من الحدود وتطير على ارتفاعات واطئة وبشكل استفزازي مثيرة رعب الاهالي في هذه القرى ، وكان الهدف الاساسي هو حمل ابوتي على وقف مساعداته للثوار الكونغوليين — وقد اثار هذا التصرف ثائرة الرئيس اوبوتي وازعج الحكومة الاوغندية التي لم تكن تملك من الوسائل ما تستطيع به منع مثل هذا الاستفزاز والعدوان الصارخ على اراضيها .

وازاء هذا الخطر الذي يهدد بلاده ، طلب الرئيس ميلتون اوبوتي من جمال عبد الناصر ارسال عدد من الطائرات المقاتلة المصرية بطياريها الى اوغندا لوقف هذه الهجمات . وكان ذلك في رسالة خطية بعث بها الرئيس اوبوتي لي شخصيا طالبا مني ان اشرح وجهة نظره لعبد الناصر وابلغه بطلبه هذا . ويبدو ان اوبوتي لم يكتب مباشرة لعبد الناصر لانه كان يخشى رفض عبد الناصر لفكرة المساعدة العسكرية المباشرة التي يطلبها .

وكان من الواضح ان اوغندا تمر بمرحلة حاسمة في تاريخ مواجهتها للاستعمار . فأوبوتي يريد ان يعرف ما اذا كان سيقف وحده في هذه المواجهة ليحدد تبعا لذلك المدى الذي يستطيع ان يذهب اليه في تأييد الثوار ومواجهة تشومبي والقوى التي تسانده . ولذلك كان لرد عبد الناصر اهمية كبيرة خاصة وانه كان من المعتقد ان تشومبي سيتبع نفس الاسلوب مع السودان اذا نجح في وقف نشاط اوبوتي المؤيد للثوار .

ولذلك جاء قرار عبد الناصر بالموافقة على ارسال نصف سرب من الطائرات الميج ١٧ تنقلها طائرات الانتينوف الى مطار عنتيبة في اوغندا وكلفني بالسفر فورا الى كامبالا لابلاغ اوبوتي بهذه الموافقة ولابحث معه بقية التفاصيل والترتيبات والاتفاقات اللازمة لتنفيذ ذلك . وقد قابلت الرئيس ميلتون اوبوتي بمجرد وصولي الى العاصمة الاوغندية وكان بصحبتي السيد جمال بركات

سفيرنا هناك وحضر المقابلة ايضا وزير الدفاع الاوغندي . وقد ابدى اوبوتي ارتياحه للاستجابة السريعة من الرئيس جمال عبد الناصر وخاصة ان الاعتداءات كانت قد تصاعدت في الفترة الاخيرة واصبحت تسبب حرجا شديدا له ولنظامه .

واثرت مع اوبوتي موضوع وجود الطيارين الاسرائيليين في القوات الجوية الاوغندية وقلت له انه لا يعقل بطبيعة الحال ان يعمل الطيارون المصريون بجانب الطيارين الاسرائيليين ورد اوبوتي على الفور بأن هذا مطلب عادل وانه على استعداد للتخلص منهم جميعا وطلب ان يحل محلهم طيارون مصريون . واتفقنا على بقية التفاصيل الخاصة بحضور الطائرات والطيارين المصريين وكيفية عملهم ومعاملتهم . ثم ترك للرئيس اوبوتي ان يحدد التاريخ الذي يرغب ان تصل فيه الطائرات والبعثة التي ستحل محل الطيارين الاسرائيليين على ان يبلغنا بذلك التاريخ عن طريق سفيرنا في كامبالا ، وكان هذا ما طلبه اوبوتي نفسه .

ولكن مضت مدة طويلة لم يحدد اوبوتي تاريخا ، ثم ابلغنا سفيرنا في كامبالا ان العدوان على الحدود الاوغندية قد توقف تماما وانتهت الاستفزازات التي كانت تقوم بها قوات تشومبي وطائراته ، وان اوبوتي لا يريد تصعيد الموقف طالما انه حقق غرضه .

ومما لا شك فيه ان الاستجابة السريعة من جانب عبد الناصر وتسرب اخبار هذه الاستجابة كان هو السبب المباشر في وقف العدوان على حدود اوغندا دون ان يرضخ اوبوتي لتهديدات تشومبي . واستمرت حركة الثوار الكونغوليين عبر الحدود واستمرت مساعدات اوبوتي للثورة . وكانت هذه النتيجة مرضية دون شك لكل من أوغندا ومصر .

مساعدات عسكرية اخرى

وقدمت مصر مساعدات عسكرية اخرى لدول افريقية كثيرة وجدت في ظروف مماثلة ، ومن تلك الدول الكونغو (برازافيل) . فعندما زحفت جماهير الشعب على قصر الأب يولو مسقطة بذلك اهم ركائز النفوذ الفرنسي في افريقيا ــ حيث كانت المجموعة الفرنسية تسمى باسم عاصمتها برازافيل ــ تعرض النظام الجديد بزعامة ماسمبا ديبا لضغط فرنسا التي كانت تحاول اسقاط حكمه . وبرزت حاجة الحكومة الجديدة في برازافيل لبناء جيش وطني ،

ولذلك كان لجوئها الى مصر طالبة مساعدتها في انشاء قوة من المظليين .

ووصلت برازافيل بعثة من الخبراء والضباط المصريين لانشاء اول مدرسة للمظليين في الكونغو . وكان من بين الضباط الذين تخرجوا على ايدي الضباط المصريين الرئيس الراحل نجوابي الذي استولى على الحكم بعد ذلك لاسباب قبلية في المقام الاول ولكنه استمر في السياسة التقدمية التي كان قد ايدها سلفه ، بل ربما كان اكثر تطرفا في مناهضة الاستعمار . وقد كانت الكونغو برازافيل بزعامة نجوابي من بين الدول التي قطعت علاقاتها باسرائيل في اعقاب حرب ١٩٦٧ مباشرة ودون اي طلب او تدخل من احد .

وحدث ايضا ان قدمت مصر هدية اسلحة الى بورندي عبارة عن كمية من الاسلحة الصغيرة وعدد من الحمالات (وهي عربات مدرعة صغيرة تسلح برشاش البرن كان يستخدمها الجيش المصري قبل التسليح الروسي) وكان ذلك في اعقاب اعلان الجمهورية في بورندي بعد الاطاحة بالحكم الملكي هناك .

وهذه مجرد امثلة لايضاح الفكرة والهدف من المساعدات العسكرية التي كان يقدمها عبد الناصر للدول الافريقية . وهي تختلف بطبيعة الحال عن فكرة واهداف الدول الكبرى في تقديم هذا النوع من المساعدة . فلم يكن عبد الناصر بطبيعة الحال يبغي نفوذا او سيطرة على دولة افريقية وانما كان الهدف تشجيع هذه الدول على ان تتحرر وان تقف في وجه اي سيطرة اجنبية ولذلك كان عبد الناصر متنبها الى خطورة سباق التسلح في افريقيا ولا يريد للدول الافريقية ان تنزلق الى هذا الطريق ، ولذلك كان يعمل دائما على احتواء المشاكل التي تنشأ بين هذه الدول وجيرانها سواء من خلال منظمة الوحدة الافريقية او بتدخله المباشر .

الفصل الرابع

ملامح اسلامية لسياسة مصر الافريقية

١ ــ مساعدات مصر لمسلمي افريقيا واثر ذلك على سياستها الافريقية.
٢ ــ عبد الناصر يقدم المساعدة لنيجيريا لانهاء الحرب الاهلية في بيافرا.

مساعدات مصر لمسلمي افريقيا
واثر ذلك على سياستها الافريقية

كان لمصر بعد ثورة يوليو نشاط اسلامي واسع في افريقيا . وقد اخذ هذا المجال جزءا كبيرا من المساعدات المادية التي قدمتها مصر للقارة وكان ذلك في شكل بعثات تعليمية الى المناطق الاسلامية والمدارس التي تفتحها الجمعيات الاسلامية في اماكن كثيرة من القارة . في زنزبار والصومال وسيراليون وتنزانيا وكينيا ونيجيريا وكل مكان طلب هذا النوع من المساعدات كما أرسلت كميات كبيرة من الكتب الاسلامية وتعليم اللغة العربية الى جميع انحاء القارة .

وقد اقام عبد الناصر الكثير من المساجد في افريقيا او ساهم في بناءها من خلال الجمعيات الاسلامية العديدة التي تنتشر في كل انحاء القارة كما انشأ المراكز الاسلامية التي تجمع المسجد مع المدرسة وتقدم العلاج المجاني .

ووجهت مصر لافريقيا اذاعة القرآن الكريم على موجة قصيرة كما خصصت اذاعة لتعليم اللغة العربية حيث لوحظ ان معظم المسلمين في القارة وخاصة في شرق افريقيا يقرأون القرآن بحروفه العربية دون معرفة باللغة نفسها ، وكان من السهل عليهم تعلمها بعد ذلك بالراديو وخاصة انهم يعتبرون تعلمها جزءا مكملا لدينهم . ووزعت اعداد هائلة من كتب تعليم العربية بالراديو وكان الاقبال عليها مذهلا .

وخصصت المنح الدراسية لافريقيا في جميع الميادين بما فيها الازهر الشريف والجامعات والمدارس الاخرى وكان هناك اهتمام خاص بالمناطق الاسلامية . فعلى سبيل المثال كانت المنح الدراسية مفتوحة لارتريا من عام ١٩٥٥ بحيث لا يرد اي طالب علم يأتي من ارتريا . واعطيت التعليمات لاجهزة الامن على الحدود بالا يمنع ارتري من دخول الاراضي المصرية حيث كان الارتريون يحضرون اليها سيرا على الاقدام للالتحاق بالازهر وذلك نتيجة للاضطهاد الذي كانوا يلاقونه اثناء حكم الامبراطور هيلاسلاسي حتى انه طلب من جمال عبد الناصر — في احدى زياراته الى القاهرة — ان تقدم المنح المخصصة للارتريين في الازهر عن طريق الحكومة الاثيوبية ولكن عبد الناصر رفض متحججا بأنه لا يستطيع التدخل في شؤون الازهر .

فقد كان عبد الناصر يرى ضرورة فتح ابواب العلم امام المسلمين وخاصة في المناطق التي حرموا فيها من فرص التعليم لمجرد انهم مسلمون . وكان يشعر أن مسؤولية خاصة في هذا المجال تقع على عاتق مصر بصفتها اقدم

دولة اسلامية في افريقيا ، واكثر دولها قدرة على تقديم هذا النــوع مــن المساعدات .

ورغم ان الدين الاسلامي هو اوسع الاديان انتشارا في افريقيا الا ان المسلمين في معظم انحاء القارة لم ينالوا من التعليم نفس الحظ الذي نالــه المسيحيون فيها . ففي نيجيريا على سبيل المثال كان عدد الطلاب من الشمال المسلم الموجودين في جامعة ابادان عام ١٩٥٩ يبلغ ١٤ طالبا فقط في حين كان عدد الطلاب المسيحيين من الشرق ٣٥٤ طالبا (١) علما بأن تعداد الشمــال المسلم يصل الى ما يقرب من ثلاثة اضعاف سكان الاقليم الشرقي المسيحي .

وترجع هذه الاوضاع الى ان الدول الاستعمارية كانت تترك التعليــم للارساليات التبشرية حيث يمتنع المسلمون عن ارسال ابناءهم كما ان هذه الارساليات بدورها كانت تركز نشاطها في المناطق الغير اسلامية حتى يسهل اجتذاب الافارقة الى الدين المسيحي . ونشأ عن ذلك اوضاع غريبة في كثير من البلاد التي توجد فيها اغلبية اسلامية حيث نجد الاقلية المسيحية التــي نالت قسطا اوفر من التعليم تتولى مناصب الادارة والحكم في عهد الاستعمار فتستقل الدولة وعلى راسها هذه الاقلية المسيحية ، وقد حدث ذلك علــى سبيل المثال في تشاد التي استقلت تحت الحكم تومبلباي المسيحي في حين ان الاغلبية الساحقة من سكان تشاد تدين بالاسلام ، وكانت هذه هــي نفس الاوضاع التي ادت الى الثورة هناك . ورأينا ايضا مشاكل عديدة في نيجيريا سببها التفاوت في التعليم بين قبائل الايبو المسيحية في شرق نيجيريا وقبائــل الهوسا والفولاني في الشمال المسلم .

ولذلك كان عبد الناصر يرى اهمية تعليم المسلمين في افريقيا وضرورة ان يكون من بينهم الاطباء والمهندسون وخريجو الجامعات وربما كان ذلــك احد اسباب تطوير الازهر الشريف وتوسيع مجال الدراسة فيه لتشتمل علــى بعض الكليات العملية والتخصصات الاخرى .

وبطبيعة الحال لم يكن في مقدور مصر ان تتولى مسؤولية التعليم في هذه المناطق كلها ولكنها كانت تريد ان توجد النخبة المتعلمة من المسلمين في كل مكان من افريقيا . وكانت مصر تقدم المساعدات الى مسلمي افريقيا عن طريــق هيئات عديدة منها وزارة الاوقاف والمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية والازهر والمؤتمر الاسلامي في بداية الثورة على اجهزة الدولة الاخرى .

---

(1) R., Sklar. Nigerian Political Parties. Princton University Press, U.S.A. , 1963

ولم تشأ مصر ان يصحب هذه المساعدات ضجيج او دعاية تتناسب مع حجمها ، وذلك لان مساعدة المسلمين في كثير من الاحوال كانت تثير شكوكا وحساسيات لدى بعض الزعماء والحكومات خاصة المسيحية التي كانت تسيء فهم دوافع مصر وراء هذه المساعدات متأثرة في ذلك بالدعايات الاستعمارية المغرضه التي حاولت التشكيك في دور الازهر الشريف ورسالته في افريقيا .

وحتى الرئيس سيكوتوري لم يسلم من التأثر بهذه الدعاية الظالمة في وقت من الاوقات وكان ذلك في بداية عام ١٩٦٠ عندما لاحظنا فتورا فجائيا يصيب العلاقات المصرية الغينية . ولم نستطع الاهتداء الى اسباب ذلك الا بعد ان اتصل بنا سرا أحد موظفي وزارة الخارجية الغينية من الذين تخرجوا من جامعة القاهرة وكان يعرف حقيقة نشاطنا الافريقي بما فيه النشاط الاسلامي واهدافه وذلك من خلال تردده على الرابطة الافريقية ومكتب الشئون الافريقية قبل استقلال غينيا عندما كان يعيش في القاهرة فكشف لنا هذا الموظف عن سر الفتور الفجائي عندما اطلعنا على عدة تقارير سرية اعدت في وزارة الخارجية الغينية وعرضت على الرئيس سيكوتوري وكانت هذه التقارير تحتوي على اخبار مضللة وتحليلات خاطئة تدعي ان عبد الناصر يسعى من خلال الازهر الشريف ونشاطه الاسلامي العظيم في افريقيا الى اقامة امبراطورية اسلامية في القارة تحكم من القاهرة وان نشاطه هذا يستهدف في المقام الاول الدول ذات الاغلبية الاسلامية مثل غينيا التي يريد لها ان تصبح جزءا من امبراطوريته .

واغلب الظن ان هذه التقارير كانت قد اعدت بناء على اخبار مضللة دستها المخابرات الفرنسية بطرق غير مباشرة حيث كانت فرنسا في دعايتها السوداء ضد مصر تحاول اعطاء هذه الصورة وخاصة في الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية . واستغلت فرنسا في ذلك ما كتبه عبد الناصر عن الدائرة الاسلامية في كتابه فلسفة الثورة .

وقد مكننا الاطلاع على هذه التقارير من القضاء على مخاوف سيكوتوري واجلاء كل الحقائق امامه عن نشاطنا الاسلامي في القارة الافريقية فزالت كل حساسية في هذا المجال حتى اننا كنا نرسل الى غينيا في كل عام عددا من الوعاظ والمقرئين لاحياء ليالي شهر رمضان المعظم فكان سيكوتوري يصطحب بعضهم في جولاته الى جميع انحاء غينيا ويقدمهم لجماهيره باعتبارهم علماء الاسلام من الازهر الشريف منارة الاسلام ، وقد ساعدهم ذلك كثيرا في اداء رسالاتهم التي كانوا يذهبون الى غينيا من اجلها ، وذهب سيكوتوري بعد ذلك الى حد انه كان يرسل جميع الطلبة الغينيين الذين يبعثون في منح دراسة الى أوربا لقضاء عدة ايام في القاهرة قبل توجههم الى مكان البعثة وذلك حتى

يشاهدوا بأنفسهم ويلمسوا مدى التقدم الحضاري الذي وصلت اليه دولة اسلامية افريقية قبل ان تبهرهم الحضارة والعواصم الاوربية .

ورغم ان مصر استطاعت بسرعة ان توطد علاقاتها بالجمعيات الاسلامية والطرق الصوفية ومشايخ الاسلام في جميع انحاء القارة الا انها حرصت على ان تبقى هذه العلاقة في نطاقها الديني والثقافي فقط وبعيدة تماما عن نشاطنا السياسي الذي كنا نباشره من خلال الاحزاب الوطنية وحركات التحرير في المناطق الخاضعة للحكم الاستعماري ومن خلال الحكومات الافريقية وتنظيماتها السياسية بعد الاستقلال .

فعلى سبيل المثال كانت لنا علاقة قوية متينة بالطريقة التيجانية الواسعة الانتشار في غرب افريقيا وشيخها ابراهيم انياس الذي كنا نقدم له العون المادي والثقافي قبل استقلال دول غرب افريقيا وبعد ذلك ايضا . وكان هذا الشيخ يستقبل في القاهرة بكل حفاوة وتكريم حتى انه كان في كثير من الاحيان ينزل في احد قصور الضيافة وكان عبد الناصر يستقبله في منزله كلما حضر الى القاهرة ، هذا في الوقت الذي تعلم فيه ان من تعاليم هذه الطائفة الاذعان للسلطة حتى ولو كانت سلطة الاحتلال ، فقد كان عبد الناصر يقول انه مهما كان ومهما قيل عن هؤلاء المشايخ فهم الذين حفظوا الاسلام ونشروا الثقافة الاسلامية والعربية في هذه المناطق الافريقية ، ومس هذا المنطق كانت مساعدة مصر لهم .

وقد زرت بنفسي الشيخ ابراهيم انياس حيث يعيش في مدينة كاولاك بالسنغال ورأيت المدارس والجوامع التي تعلم الدين واللغة العربية ورأيت الكتب والمجلات المصرية تصل الى هذا المكان البعيد والجميع في كاولاك كان يستمع الى اذاعة صوت العرب من اذاعة القاهرة علاوة على برامج الولوف التي تذيعها القاهرة من خلال البرامج الموجهة الى شعب السنغال ، وفوجئت عندما رايت العديد من تلاميذ الشيخ يحفظون مقتطفات طويلة من خطب عبد الناصر في مجالات مختلفة ، وكان ذلك كله قبل الاستقلال وفي وجود الاستعمار الفرنسي . ويبدو ان تعاليمهم الخاصة بالاذعان للسلطة مكنتهم من ممارسة نشاطهم الثقافي والديني في فترات القهر الاستعماري . وقد كانت صلتنا بهذه الطرق والطوائف فقط من أجل المساعدة في تعليم المسلمين ونشر الدعوة الاسلامية الصحيحة .

وقد ابتعد عبد الناصر عن اقامة اي تكتلات من الدول الاسلامية في افريقيا حتى لا يضيف تقسيمات جديدة ترتكز على اسس دينية الى جانب التقسيمات الاخرى العديدة التي فرضت على القارة والتي من شأنها تعطيل الوحدة في افريقيا وارهاق الدول الحديثة الاستقلال وصرفها عن عدوها

الحقيقي وهو الاستعمار ووسائله الجديدة .

ولنفس هذه الاسباب كان عبد الناصر يفضل دائما ان يعرض مشكلة فلسطين في افريقيا كقضية سياسية وليست مجرد قضية دينية ، فهي قضية استعمار استيطاني وتفرقة عنصرية وهو امر تفهمه الدول الافريقية جيدا حيث توجد نماذج الاستعمار الاستيطاني في جنوب افريقيا وروديسيا وحيث المعاناة من التفرقة العنصرية .

وقبل استقلال كينيا مباشرة ظهرت فكرة استقلال الساحل الكيني بعيدا عن كينيا . فمعظم سكانه من اصل عربي ويعتنقون الاسلام . وحضرت وفود من مسلمي هذه المنطقة تطلب مساعدة مصر لتحقيق هذه الفكرة وابلغنا هؤلاء ان الانجليز اوحوا لهم بأنهم لا يمانعون في استقلال الساحل ولكنهم يريدون ان يروا تزايد الدعوة حول هذه الفكرة حتى يمكنهم الاستناد الى ذلك عندما يقدمون على هذه الخطوة . كما علمنا منهم انهم حضروا الى القاهرة بعلم السلطات البريطانية .

ولا اعرف اذا كان الانجليز في ذلك الوقت يريدون بهذا التحريض السافر تحقيق فكرة تقسيم كينيا بالفعل ام كان هدفهم هو فقط توريط مصر للوقيعة بينها وبين الحركة الوطنية في كينيا بزعامة كيناتا وحزب كانو . ومهما كان الهدف وراء ذلك فقد كانت مصر ترفض الفكرة من اساسها . فمصر ضد سياسة البلقنة التي كانت تقوم بها الدول الاستعمارية في افريقيا بقصد انشاء دويلات صغيرة مع توريثها كل أسباب الخلاف بينها وبين جيرانها الامر الذي يجعلها تعيش في خطر دائم معتمدة على حماية الاستعمار . واهم من ذلك كله كانت مصر تخشى ان يؤدي قيام دويلة اسلامية عربية في هذه المنطقة وعلى حساب دولة افريقية هي كينيا الى حملة اضطهاد ضد بقية العرب والمسلمين في منطقة شرق افريقيا كلها وظهور التفرقة بين العربي والافريقي وهو امر ليس في مصلحة العرب ولا مصلحة الاسلام الذي استعاد قوته وسرعته في الانتشار من مبادئه السمحة . فالاسلام لم يعرف الحاجز اللوني الذي لا يسمح للرجل الابيض بأن يندمج ويختلط مع قرينه صاحب البشرة السوداء . فقد كان لسمو الحضارة الاسلامية في هذا الشأن اثره في انتشار الاسلام وتكوين الشعب السواحيلي في هذه المنطقة . هذا الشعب الذي نشأ من اختلاط الجاليات العربية والفارسية بقبائل البانتو الافريقية . ولا شك ان اقتطاع هذا الجزء من كينيا وتركها دون منفذ على المحيط كان من شأنه ان يثير بقية العناصر الغير مسلمة في المنطقة على العرب والمسلمين . ويحد بالتالي من انتشار الاسلام الذي ما زال ينمو في سرعة تفوق نمو اي دين اخر .

ولنفس هذه الاسباب كان موقف مصر من ثورة زنزبار عندما قامت في يناير سنه ١٩٦٤ وانهت حكم السلطان وقتلت اعدادا كبيرة من مؤيديه . فقد اثارت هذه الثورة اهتمام مصر وقلقها في البداية . فالنظام القديم هناك كان على صلة وثيقة بمصر كما كان زعيم الحزب الحاكم السيد علي محسن شديد الالتصاق بالقاهرة وكانت لنا بحزبه صلات ثقافية وثيقة قبل الاستقلال وبحكومته بعد الاستقلال . وقد صورت اجهزة الاعلام الغربية هذه الثورة في البداية على انها مقتل أمة عربية بل قال عنها الكثيرون انها مذبحة المسلمين في زنزبار .

وكان الامر ابعد ما يكون عن ذلك ، فجميع سكان زنزبار من المسلمين وبالتالي لا يمكن لهذه الثورة ان تكون ضد المسلمين . ولكنها في حقيقة الامر كانت ثورة اجتماعية ، ثورة ضد السلطان والطبقة الحاكمة التي تراكمت في يدها ثروة البلاد . وكانت هذه الطبقة التي قامت ضدها الثورة تتكون في معظمها من العرب . فالسلطان من أصل عربي منذ بسطت عمان في عهد اسرة اليعاربة سيطرتها على الجزيرة في اوائل الثلاثينات من القرن الثامن عشر بعد ان خلصتها من الحكم البرتغالي .

اما غالبية الشعب في زنزبار فهم ممن اختلطت فيهم الدماء الفارسية بقبائل البانتو الافريقية منذ ان خضعت الجزيرة لدولة الزنج التي اسسها الفرس عام ١٩٧٥ على ساحل افريقيا الشرقي متخذين من كلوة عاصمة لهذه الدولة . كما اختلطت فيهم ايضا الدماء العربية اختلاطا كبيرا نتيجة اختلاط العرب الذين جاءوا الى هذه الجزيرة كتجار واختلطوا بأهلها منذ فجر التاريخ .

وكانت سيطرة القلة الحاكمة التي كانت تزهو بأصلها العربي من الاسباب الرئيسية التي أدت الى ظهور الافروشيرازية كأنتماء وأصل جذب الاغلبية العظمى من شبه الجزيرة في مواجهة هذه القلة . حدث ذلك رغم انه من غير الممكن في حقيقة الامر وضع الحدود الفاصلة بين ما هو عربي وما هو شيارزي او فارسي في الشعب السواحيلي الذي تتكون منه الغالبية العظمى من سكان زنزبار والتي اختلطت فيها الاصول العربية والفارسية بأصل البانتو الافريقي .

ورغم ادراك القاهرة للابعاد الاجتماعية لثورة زنزبار منذ البداية الا انها كانت قلقة خشية ان تتجاوز الثورة هذه الابعاد فتتحول الى كراهية واضطهاد تنتقل من الجزيرة الى الساحل الافريقي ضد كل ما هو عربي ، خاصة وان اذاعات معظم الدول العربية كانت قد بدات حملة من الهجوم الشديد على الثورة في الوقت الذي كانت المشاعر الافريقية في دول الساحل تؤيدها وتباركها .

ورأى عبد الناصر ان اعتراف مصر السريع بثورة زنزبار من شأنه ان يضع حدا لعمليات القتل والاضطهاد ضد العناصر القديمة في زنزبار ، كما انه يعطي الفرصة للثورة لكي تؤكد بعدها الاجتماعي وتكشف عنه فتعمل على وقف حملة الكراهية ضد العرب . وقرر ايفادي لمقابلة القادة الجدد في زنزبار بقصد تحقيق هذه الاهداف .

وقد رحب النظام الجديد في الجزيرة بخطوة مصر هذه واستقبلت بحفاوة بالغة . فكان في استقبالي في المطار اعضاء مجلس قيادة الثورة ووجدت انني اعرف معظمهم والكثير منهم كان قد سبق له الاقامة في مصر . وقد تأكد لنا ما كان قد سبق وصوله لنا من معلومات وما كان قد سبق وصولنا اليه من تقديرات بخصوص هذه الثورة التي شوهت اجهزة الاعلام الغربية وجهها في الايام الاولى ، ولمسنا حرص النظام الجديد في زنزبار على تعزيز صلته بالدول العربية وبمصر على وجه الخصوص .

وفي هذا الجو الجديد استطاعت مصر ان تبدي اهتمامها بسلامة الزعماء السابقين الذين كانوا قد اعتقلوا والذين كانوا على صلة سابقة بنا ومنهم السيد علي محسن . وبعد ان استقرت الامور وافرج عنهم حضر العديد منهم للاقامة في القاهرة .

وكان من نتائج ثورة زنزبار اتحاد الجزيرة مع تنجانيقا في دولة جديدة هي تنزانيا (زنزبار وتنجانيقا) وقد ايدنا هذا الاتحاد الذي رأى فيه البعض اختفاء دولة اسلامية ورأينا نحن فيه ازدياد نفوذ المسلمين في شرق افريقيا . فتعداد المسلمين في تنجانيقا يفوق تعداد زنزبار كلها ، ولكن تأثيرهم كان محدود لتخلف مستواهم الثقافي ، فالتعليم كما سبق ان اوضحنا من قبل كان مستمر في عهد الاستعمار الانجليزي للارساليات التبشرية في معظمه ، بعكس زنزبار التي كان سكانها جميعا من المسلمين وحصلوا على نصيبهم من التعليم علاوة على جهود مصر الثقافية في هذه الجزيرة والاعداد الضخمة التي كان يرسلها علي محسن لتتعلم في القاهرة . هذا علاوة على ارتفاع المستوى الحضاري للجزيرة التي كان يحكم منها الساحل الشرقي الافريقي في وقت من الاوقات .

وبعد الاتحاد مع زنزبار استفادت تنزانيا بالكفاءات الموجودة في الجزيرة وعين منهم الوزراء والمديرون والسفراء وحتى نائب رئيس الجمهورية اصبح يعين من المسلمين من ابناء زنزبار ، وانعكس ذلك كله على اوضاع المسلمين في تنزانيا وزالت الحساسيات التي كانت تتواجد عادة ضد المسلمين في الدول الافريقية التي تستقل بعد ان يصبح الحكم فيها للوطنيين من غير المسلمين . فقد سبق ان حاولت مصر على سبيل المثال اقامة مركز اسلامي في دار السلام

بعد الاستقلال مباشرة ولكنها لم تنجح في الحصول على موافقة الحكومة الجديدة . اما بعد اعلان الاتحاد الجديد واقامة دولة تنزانيا فقد انشأت مصر اكبر مركز اسلامي لها في افريقيا في دار السلام العاصمة التنزانية بعد ان أصبح المسلمون هناك يتمتعون بمكانة خاصة .

وهكذا بعد ان كان الاسلام في منطقة شرق افريقيا محصورا في دويلات صغيرة لم يتعد عدد سكانها المليون نسمة تحيطها دول تتربص بها وتخشى نفوذها الاسلامي في المنطقة حيث تنتشر الاقليات المسلمة ، اصبح تأثير الاسلام ونفوذه عظيما في دولة اكبر تعدادا (عشرة ملايين في ذلك الوقت) قادرة بدورها على التأثير في منطقتها وفي افريقيا كلها . وقد انعكس ذلك بالتالي على العلاقة الوثيقة التي نشأت بعد ذلك بين عبد الناصر والرئيس نيريري فزار عبد الناصر تنزانيا وجزيرة زنزبار وحضر نيريري الى القاهرة وتوثقت الروابط بين البلدين الى حد بعيد .

ولم يقتصر تأثير ثورة زنزبار واتحادها في دولة تنزانيا على هذا المجال الاسلامي فقط وانما تعداه الى ابعد من ذلك . فقد كان الاتحاد بداية التحول نحو الاشتراكية في تنزانيا . فرغم ان الرئيس نيريري عبر عن فكرة الاشتراكي بعة ستة شهور فقط من الاستقلال في تنجانيقا في ورقته المشهورة التي عرفت باسم يوجاما « UJAMA » اي أسس الاشتراكية الافريقية الا ان الخطوات العملية لم تبدأ الا بعد قيام الدولة الجديدة وتشجيع شركاءه الجدد الذين كان حماسهم للتحول الاشتراكي كبيرا . فكان اعلان اروشا الشهير في عام ٦٧ الذي اعلن فيه نيريري ما سمي « اعلان السياسة الاشتراكية وسياسة الاعتماد على النفس » وكانت هذه هي الخطوات العملية نحو التحول الاشتراكي الحقيقي في تنزانيا .

وكان من نتائج الاتحاد ايضا فتور العلاقات بين تنزانيا واسرائيل التي كانت قد نجحت في اقامة علاقات طيبة مع تنجانيقا عقب الاستقلال مباشرة في الوقت الذي كانت فيه زنزبار ترفض اقامة اي علاقة مع اسرائيل ، وحاولت اسرائيل فتح قنصلية لها في زنزبار بعد الاتحاد الجديد ولكنها قوبلت ايضا بالرفض كما رفضت محاولاتها في اقامة اي علاقة من نوع اخر مع الجزيرة ، وكان على نيريري والحكومة التنزانية مراعاة شعور شركاءهم الجدد وشعور المسلمين في كل تنزانيا الذين تأثروا بموقف زنزبار فأصبحت تنزانيا بعد ذلك من الدول المؤيدة للحق العربي في الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية وجميع المحافل الدولية ، وادى ذلك الى فتور العلاقات بين تنزانيا واسرائيل .

وهكذا نجد ان ثورة زنزبار كانت ثورة في صالح الاسلام والمسلمين وفي صالح العرب واصبح لهذه الثورة تأثير عظيم في الدولة الجديدة ، فقديما قالوا : « اذا دقت الطبول في زنزبار رقصت شرق افريقيا » .

وفي ارتيريا حيث الاغلبية الاسلامية ، كانت مصر اول دولة في العالم تقف مع الشعب الارتيري وتساعده على مقاومة اضطهاد حكم الامبراطور هيلاسلاسي الرجعي وتعصبه ضد المسلمين .

فقد كانت ارتيريا ترتبط بأثيوبيا في اتحاد فيدرالي اقرته الامم المتحدة . وكان هذا الاتحاد يسمح لارتيريا بأن تحتفظ بشخصيتها وكيانها حيث كانت لها لغتها الخاصة وقوميتها كما كان لها برلمانها وحكومتها . ولكن الامبراطور هيلاسلاسي كان يسير في مخطط يهدف الى القضاء على الشخصية الارتيرية تماما تمهيدا لاذابتها وجعلها مجرد اقليم من اقاليم اثيوبيا ، وتركزت السلطة في يد الحاكم العام لارتريا والذي كان يعنيه الامبراطور وزاد عدد الموظفين الاثيوبيين بشكل جعلهم مسيطرين على الجهاز الاداري سيطرة تامة هناك . ووصل الامر الى حد الغاء اللغة التجرينية لغة ارتيريا الاصلية وحلت محلها اللغة الامهرية التي اصبحت وحدها اللغة الرسمية لكل اثيوبيا .

وكان المسلمون الارتيريون مضطهدين ايضا لكونهم مسلمين شأنهم في ذلك شأن جميع مسلمي اثيوبيا الذين يشكلون اكثر من نصف السكان هناك . ورغم ذلك لم نكن نجد لهم اثرا في المناصب الرئيسية للدولة وتركوا في حالة من الفقر والتخلف يرثى لها .

وكان يحلوا لهيلاسلاسي ان يصف بلاده بأنها جزيرة مسيحية يحيط بها المسلمون من كل ناحية ، وهذا ما كان يقرأه القادم الى اديس ابابا في كتيبات السياحة التي تقدمها الدولة متجاهلة بذلك نصف سكانها من المسلمين .

وكانت اثيوبيا منطقة نفوذ امريكية ، وسمح هيلاسلاسي لامريكا باقامة قاعدة جوية وقاعدة اتصال في اسمرة العاصمة الارتيرية ، كما سمحت اثيوبيا لاسرائيل بعمل شركات في ارتيريا كان اهمها شركة انكودا توطئة لجعل ارتيريا قاعدة لتجارتها ونشاطها الاقتصادي في شرق افريقيا ، واتخذت اسرائيل من اسمرة ايضا قاعدة لنشاط مخابراتها في المنطقة كلها .

وقامت اثيوبيا ايضا بنشاط واسع في السودان لحساب الولايات المتحدة الامريكية يهدف الى محاربة فكرة الاتحادين بين مصر والسودان وكان ذلك في فترة الانتقال التي حددتها الاتفاقية التي ابرمتها مصر مع انجلترا بشأن السودان في فبراير سنة ١٩٥٣ ، واصبح مكتب الاتصال الاثيوبي في الخرطوم قاعدة اساسية من قواعد النشاط المناهض لمصر هناك .

وكان لاثيوبيا دور خطير في تدعيم الحركات الانفصالية في جنوب السودان كما عملت باعتبارها احدى الدول المشتركة في حوض نهر النيل على عرقلة اي اتفاقية جديدة خاصة بتوزيع مياه النيل . وكان الاتفاق بين مصر والدول المشتركة معها في حوض النيل امرا ضروريا في ذلك الوقت حتى تستطيع مصر المضي في تنفيذ مشروع السد العالي .

وذهب هيلاسلاسي في عدائه للثورة المصرية الى حد العمل على فصل الكنيسة الاثيوبية واستقلالها تدريجيا عن كنيسة الاسكندرية التي كانت تعين بطريرك اثيوبيا وترسم مطارنة الكنيسة الاثيوبية وكانت تتمتع بمكانة ونفوذ عظيمين هناك .

ومن اجل ذلك كله اتخذت مصر موقفا واضحا من القضية الارترية ، وفي بداية عام ١٩٥٥ اتخذت عدة قرارات متعلقة بهذه القضية وذلك بعد تقييم شامل لموقف اثيوبيا ودراسة الاوضاع في ارتيريا وهي :

اولا : توجيه اذاعة من القاهرة الى شعب ارتيريا باللغة التجرينية لغة البلاد التي الغاها هيلاسلاسي — وخصصت هذه الاذاعة لفضح خطط اثيوبيا التي كانت تتخذها للقضاء على الكيان الارتيري كما كان من اهداف هذه الاذاعة مواجهة ومهاجمة سياسة الامبراطور المتخلفة والمبنية على التعصب الديني .

ثانيا : فتح ابواب الازهر الشريف والتعليم العام والجامعة في مصر امام الطلبة الارتيريين وعمل خطة لاستجلاب اعداد كبيرة منهم لشغل المنح التي تخصص لهم وذلك ردا على اهمال هيلاسلاسي لتعليم المسلمين هناك .

ثالثا : قبول اللاجئين السياسيين من ارتريا واحتضانهم والسماح لهم بالعمل السياسي في القاهرة . وقد حضر الى القاهرة الزعيم الارتيري المعروف ولد آب ولد ماريام الذي نجا من سبع محاولات اغتيال دبرتها ضده السلطات الاثيوبية مما جعل منه اسطورة في ارتيريا . ثم جاء زعماء غيره هم ابراهيم سلطان وادم ادريس وكثيرون اخرون بعد ذلك .

رابعا : تقديم المساعدات المادية للحركات الارتيرية التي تناهض هيلاسلاسي وسياسته .

ورغم ان مصر تقيدت في سياستها الافريقية بعدم التدخل في شؤون اي دولة افريقية مستقلة وقصرت مساعداتها لحركات التحرير على تلك الموجودة في مناطق الاستعمار فقط حتى لا تضع اعباءا على الحكومات الافريقية ، الا ان الوضع بالنسبة لاثيوبيا كان مختلفا تماما لعدة اسباب : اولها لان هيلاسلاسي هو الذي بدأ في سياسته العدوانية ضد مصر وتحالف مع اسرائيل . وثانيها لان الوضع في ارتيريا يختلف عن مجرد رغبة شعب او اقليم في الانفصال كما حدث على سبيل المثال في كاتنجا او بيافرا او جنوب السودان ، فقد كان شعب ارتريا يناضل من اجل الحفاظ على الاوضاع الدستورية التي اقرتها الامم المتحدة وكان هيلاسلاسي هو المعتدي على هذه الاوضاع علاوة على الاضطهاد الديني الذي قام على اساسه حكم هيلاسلاسي .

وعندما قامت منظمة الوحدة الافريقية في عام ١٩٦٣ واتخذت اديس ابابا مقرا لها ، حاول هيلاسلاسي ان يغير من صورته امام الافارقة ، فعمل على

الا يصطدم بالمشاعر الوطنية في افريقيا حتى ولو ادى الامر الى الوقوف في صف حركات التحرير في كثير من الاحيان ، كما عمل الامبراطور على الا ينحاز بصفة دائمة داخل منظمة الوحدة الافريقية الى القوى الرجعية التي كان هو بكل تأكيد جزءا منها ، فكانت سياسة هيلاسلاسي الافريقية لا تعكس بأي حال من الاحوال اوضاعه او سياسته الداخلية بل على العكس من ذلك كان يحاول بسياسته الافريقية المتطورة ان يصرف الانظار عن حقيقة اوضاعه الداخلية المغرقة في التخلف والرجعية والتعصب الديني ، كما كان يحاول ايضا ان يصرف الانظار عما يرتكبه من جرائم فيحق الشعب الارتيري. وكان اخطرهذه الجرائم هو قراره بضم ارتيريا نهائيا الى اثيوبيا مستندا الى تمثيلية جرت في البرلمان الارتيري اتخذ فيها هذا القرار المصيري الخطير بالتصفيق وليس بأخذ الاصوات ودون سماع صوت المعارضة بعد ان كان قد اعد لهذه التمثيليـــة مزورا بذلك ارادة الشعب الارتيري ، وبفعلته هذه كان هيلاسلاسي قد بذر بذور الثورة الارتيرية .

ولا شك ان قيام منظمة الوحدة الافريقية كان سببا في الحد بعض الشيء من نشاطنا في ارتيريا ، على الاقل من الناحية الاعلامية والدعائية ، فرغم اننا رفضنا طلب هيلاسلاسي المتكرر بوقف الاذاعة التجريبية من القاهرة الا اننا اضطررنا الى وقف الهجوم الذي كانت تشنه هذه الاذاعة ولكن مجرد الاصرار على بقاء هذه الاذاعة كان يحدد بكل تأكيد موقف مصر المؤيد للكيان الارتيري.

ويهمني في هذا المجال ان اشير الى نقطتين : الاولى اننا لم ننظر لمشكلة ارتيريا كمجرد مشكلة دينية فقط بل اننا كما نرى الابعاد السياسية للقضيـــة ونضعها في المقدمة وهي تتلخص في حق الشعب الارتيري في تقرير مصيره ، ولذلك حرصنا على ان يكون لنا اتصال ايضا بالعناصر المسيحية في ارتيريا من امثال ولد آب ولد ماريام الذي كان يتولى الاذاعة التجريبية . والنقطة الثانية هي انه لم يكن وليس لنا اي مصلحة في ان تستقل ارتيريا بعيدا عن اثيوبيا، فهذا شيء متروك للشعب الارتيري نفسه . ولكننا كنا مع شعب ارتيريا وهو يقاوم اضطهاد الامبراطور وقهره وحكمه الفاسد عندما اراد ان يعتدي على حقوق الشعب الارتيري التي ضمنها له دستوره واقرتها الامم المتحدة . واذا استطاع ان يعود الشعب الارتيري في يوم من الايام الى الوضع الفيدرالـــي القديم او الى شبيه بذلك وحصل على ما يضمن له حقوقه في وجود حكم وطني في اثيوبيا اعتقد ان ذلك سيكون في مصلحة كل مسلمي اثيوبيا ويشد مـــن ازرهم ويجعلهم اكثر قدرة على التأثير في اثيوبيا كلها خصوصا اذا امكن القضاء على روح التعصب الديني الذي توطد في حكم هيلاسلاسي ولن يكون ذلك بخلق تعصب مضاد من جانب المسلمين ، واعتقد ان موقف الدول العربية من هذه القضية وطريقة معالجتها في هذه الفترة بالذات سيكون له تأثير كبير في حسم الموقف .

عبد الناصر يقدم المساعدة لنيجيريا
لانهاء الحرب الاهليــة في بيافــرا

في شهر اغسطس ١٩٦٧ تسلم جمال عبد الناصر رسالة من الكولونيل جوان رئيس حكومة نيجيريا الفيدرالية ، ورئيس المجلس العسكري هناك يعرض فيها الخطر الذي تتعرض له بلاده نتيجة غارات الطائرات التي اصبح يمتلكها اجوكو قائد الانفصال ببيافرا — والتي اصبحت تقصف العاصمة لاجوس يوميا دون ان تجد اي مقاومة الامر الذي خلق حالة من الذعر أصابت الاهالي وسكان العاصمة على وجه الخصوص .

واوضح جوان في رسالته انه استطاع الحصول على عدد من الطائرات الميج ١٧ امده بها الاتحاد السوفيتي ولكنه لا يجد الطيارين الذين يمكنهم العمل على هذه الطائرات . ومضى جوان يقول انه يعرف الظروف العسكرية الصعبة التي تمر بها مصر كما يعرف انها تحتاج لكل مقاتل ولذلك فانه لا يرجو مساعدة منها ولكنه فقط يرجو عبد الناصر ان يستخدم نفوذه لاقناع الرئيس الجزائري هواري بومدين حتى يمده بعدد من الطيارين الجزائريين المدربين على طائرات الميج ١٧ الموجودة لديه حيث انه فشل في الحصول على طيارين من اي مكان اخر بما في ذلك الاتحاد السوفيتي ، واوضحت الرسالة ان مسألة الحصول على هؤلاء الطيارين اصبحت مسألة حياة أو موت .

وكانت الحرب الاهلية في نيجيريا قد اندلعت منذ اعلن الكولونيل اجوكو الحاكم العسكري لاقليم شرق نيجيريا استقلال الاقليم باسم جمهورية بيافرا وذلك في ٣٠ مايو سنة ١٩٦٧ ، والزم اجوكو شركات البترول بعدد من الرسوم الجمركية وعوائد البترول تدفع لحكومته الجديدة ، واستطاع الحصول على عدد من الطائرات يعمل عليها طيارون من المرتزقة الاوربيين اغلبهم من الذين كان قد استأجرهم تشومبي عندما قام بمحاولته الانفصالية في اقليم كاتنجا ، واصبح الخطر الذي تتعرض له نيجيريا الفيدرالية بمحاولة انفصال اقليم بيافرا الغني بالبترول شديد الشبه بذلك الخطر الذي سبق ان تعرض له الكونغو بمحاولات فصل اقليم كاتنجا الغني بالمعادن .

وكان انفصال بيافرا يعني تمزيق نيجيريا تماما واستقلال بقية الاقاليم النيجيرية الاخرى ، وكان هذا بالفعل ما ينادي به اجوكو الذي كان يرى ان أسس الوحدة الفيدرالية قد انهارت تماما بعد المذابح التي اقامها الشماليون

المسلمون لقبائل الاميبو من سكان الاقليم الشرقي . كما كان يرى ان الحل الوحيد هو اقامة اتحاد فيدرالي (كونفدرالي) من أربعة دول مستقلة تماما هي الاقاليم الاربعة في نيجيريا وان يكون لكل منها جيش وبوليس مستقلين وسيطرة كاملة على مواردها الاقتصادية .

وكانت المشكلة في حقيقتها ذات ابعاد دينية وقبلية وثقافية وسياسية . فنيجيريا التي كان يبلغ تعدادها ٤ر٥٥ مليون نسمة (وفقا لاحصاء عام ١٩٦٣) مقسمة الى اربعة اقاليم متحدة فيدراليا علاوة على منطقة لاجوس العاصمة حيث توجد الحكومة الفيدرالية . واكبر هذه الاقاليم هو الاقليم الشمالي الذي كان تعداده قد وصل الى ٨ر٢٩ مليون نسمة معظمهم (اكثر من ٧٥٪) من قبائل الهوسا المسلمة. والاقليم الغربي ٤ر١٤ مليون نسمة منهم حوالي ٥٠٪ من المسلمين ، اما الاقليم الشرقي وفقا لنفس الاحصاء ــ فيبلغ تعداد ٣ر١٠ مليون نسمة يكاد يكون جميعهم من المسيحيين ، واخيرا الاقليم الغربي الاوسط وكان تعداده يبلغ ٥ر٢ مليون نسمة فقط غالبيتهم من المسيحيين .

وقد جاء تمركز المسيحيين في شرق نيجيريا نتيجة للسياسة التي وضعها الانجليز اثناء الحكم الاستعماري ، فقد اهتموا بتعليم قبائل الايبو التي لم يكن قد دخلها الاسلام وذلك عن طريق الارساليات التبشرية التي انتشرت في كل مكان من شرق نيجيريا فتحولت هذه القبائل الى المسيحية وارتفعت نسبة التعليم فيها في الوقت الذي اهملت فيه المناطق الاسلامية من كل جهد حقيقي للتعليم . واصبحت اهم المناصب الادارية في نيجيريا في يد المتعلمين من قبائل الايبو المسيحية وهي الاقلية التي اعتمدت عليها الادارة الانجليزية كعادتها في الاعتماد على الاقليات اينما وجدت .

ثم ظهرت الثروة البترولية في الاقليم الشرقي فتولد احساس لدى قبائل الايبو بأنهم اصحاب القوة الاقتصادية والثقافية وانهم التعبير عن التقدم التكنولوجي . واتجه هؤلاء بانظارهم الى الدول الغربية حيث الحضارة المدنية التي بهرت مثقفيهم وجعلتهم يتصورون فيها الخلاص من كل مشاكلهم خاصة وانهم كانوا قد ضاقوا بسيطرة الشمال المسلم رغم تخلفه كثيرا عن شرق نيجيريا .

فالشماليون المسلمون في نيجيريا يسيطرون على الحكم الفيدرالي هناك بحكم الاغلبية والارتباط القبلي والاقليمي الذي تدور حوله الحياة السياسية. وهي سيطرة يكفلها لهم نظام الحكم الفيدرالي والديمقراطية الليبرالية التي نص عليها دستور البلاد الصادر عام ١٩٦٣ . وقد زادت الممارسات الحزبية بعد الاستقلال من الاحساس بالمرارة الناتجة عن سيطرة الشمال وذلك لدى سكان المناطق الجنوبية في نيجيريا بصفة عامة ولدى قبائل الايبو في شرق

نيجيريا على وجه الخصوص .

وكانت هذه هي الاسباب التي ادت الى الانقلاب الاول في نيجيريا في ١٥ من يناير سنة ١٩٦٦ حيث قام عدد من ضباط الجيش معظمهم من قبائل الايبو بتدبير مؤامرة اغتالوا فيها معظم الزعماء المرموقين للشمال المسلم وعلى راسهم زعيم الشمال المعروف السردونا احمدو بيللو رئيس الوزراء في الاقليم الشمالي وتفادوا باليوا رئيس الوزراء الفيدرالي . وتولى السلطة في البلاد الجنرال ايرونس وهو من الاقليم الشرقي . وعطل ايرونس الدستور بعد ان خول جميع السلطات التنفيذية والتشريعية الفيدرالية واصبح قائدا للقوات المسلحة ورئيسا للحكومة العسكرية التي تولت السلطة التنفيذية في البلاد .

ثم اصدر الجنرال ايرونس مرسوما بالغاء النظام الفيدرالي في نيجيريا وجعلها دولة بسيطة موحدة والغى الاقاليم الاربعة . وكان القصد من هذه الاجراءات الجديدة القضاء على سيطرة المسلمين في الشمال ، وصحب ذلك ازدياد اعداد المتعلمين من قبائل الايبو في الجهاز الاداري والفني في شمال نيجيريا . وكانت هذه الاعداد قد استقدمت لتدعيم سيطرة النظام الجديد .

وقد ادت هذه القرارات والاجراءات الى مظاهرات واضطرابات عنيفة في الاقليم الشمالي الذي وجد ابناءه ان النظام الجديد يسلبهم كل شيء بعد ان قتل قادتهم وزعمائهم الذين كانوا يتمتعون ايضا بمكانة دينية كبيرة . وخرجت الجماهير الغاضبة في الشمال تطالب بالانفصال الفوري للشمال . ثم امتد هذا السخط الى العناصر الشمالية داخل الجيش فكان الانقلاب الثاني الذي تم في اول اغسطس سنة ١٩٦٦ . وقتلت القوات الثائرة الجنرال ايرونس وعددا كبيرا من ضباط وجنود الايبو انتقاما لمقتل زعماء الشمال في يناير السابق . كما حدثت مذابح شعبية للعديد من افراد قبائل الايبو الذين كانوا قد نزحوا للاقامة في الشمال . وهرب اكثر من مليون ونصف مواطن من الشمال الى الشرق تاركين وظائفهم واموالهم وممتلكاتهم .

واعلن تعيين الكولونيل يعقوب جوان وهو ضابط من الشمال خلفا للجنرال ايرونس . ثم اصدر جوان مرسوما اعاد فيه النظام الفيدرالي الى نيجيريا كما كان قبل الانقلاب الاول وبالتالي هدأت النفوس في الاقليم الشمالي .

ورغم ان الجنرال الجديد كان شماليا الا انه اختير مسيحيا حتى تهدأ النفوس في الاقاليم الاخرى ، وكان لذلك بالفعل اثره الطيب في اقليمي الغرب والغرب الاوسط ، اما في الاقليم الشرقي فقد كانت المرارة تملأ القلوب لما حدث لعناصر الايبو من مذابح وتشريد مضافة الى خيبة الامل الناتجة عن فشل الانقلاب الاول الذي وان كان قد انتهى الا ان اسبابه لم تكن قد انتهت وعادت لتفرض نفسها من جديد بعودة النظام الفيدرالي القديم .

وجاء رد الفعل لهذه المرارة من الحاكم العسكري للاقليم الشرقي اجوكو الذي قاد الحركة الانفصالية هناك . فقد اعلن انه لا يعترف بالجنرال جوان رئيس الحكومة العسكرية الجديدة لان ما تم ضد الجنرال ايرونس امر غير شرعي وانه من المستحيل ان يعمل افراد القوات المسلحة من الاقليم الشرقي في جيش يضم الشماليين بعد المذابح التي قاموا بها ضد قبائل الايبو .

وطالب اجوكو بانشاء اتحاد كونفدرالي من الاقاليم الاربعة لتصبح دولا مستقلة تماما لكل منها جيش وبوليس واقتصاد مستقل على ان تجمعها منظمة خدمات مشتركة وسوق اقتصادية يكون مقرها لاجوس العاصمة .

وقد بذلت محاولات كثيرة لاعادة القانون والنظام الى نيجيريا كلهـــا . وكانت هذه المحاولات تسعى الى تعديل الاوضاع بما يضمن حقوق الاقليـــات في نيجيريا ، ولكن مع الابقاء على وحدة نيجيريا داخل الاطار الفيدرالي ، فقد خلت حكومة غانا للتوفيق بين القادة العسكريين والسياسيين ، ولكن كـــل هذه الجهود باءت بالفشل واعلن اجوكو استقلال الاقليم الشرقي تحت اســـم جمهورية بيافرا في ٣٠ مايو سنة ١٩٦٧ ، وذلك لان فكرة الانفصال كانت قد اختمرت في ذهنه بعد ان وجد العون والتشجيع من بعض الدول الغربية التي رات في مصلحتها قيام دولة جديدة من عناصر الايبو المسيحية التي يتوفر لديها الكوادر الفنية الادارية بالاضافة الى الثروة البترولية فمن الطبيعي ان يكون ارتباط هذه الدولة المسيحية الجديدة بالدول الغربية وبالتالي يمكن تسليحها واستخدامها لاخضاع هذه المنطقة الاسلامية . وكان يشجع على هذا الاعتقاد وجود العداء القبلي التقليدي بين قبائل الايبو في الشرق وقبائـــل الهوسا في الشمال . هذا العداء الذي عمقته الاحداث الاخيرة التي سالت بسببها الدماء من كلا الطرفين بما يؤكد استمرار العداء بينهما ووجوده بالقدر الذي يضمـــن مصالـــح هذه القـــوى .

وقد كان على راس هذم القوى صاحبة المصلحة في الانفصال والتـــي شجعت اجوكو الولايات المتحدة الامريكية التي كانت استثماراتها في نيجيريا قد بلغت ٢٠٠ مليون دولار معظمها في ميدان البترول الموجود في هذا الاقليم الشرقي . ومما لا شك فيه ان الولايات المتحدة الامريكية تهتم بالسيطرة على منابع البترول في هذه المنطقة التي يصل بترولها الى العالم الغربي دون المرور في قناة السويس او دول منطقة الشرق الاوسط الملتهبة باوضاعها السياسية المضطربـــــة .

وكانت شركات الاستثمار والمؤسسات ذات النفوذ القـــوي في غـــرب افريقيا واهمها المؤسسات الانجليزية والالمانية تجد هي الاخرى مصلحتها في انفصال الاقليم الغني وتجد في خلق كيان جديد على هذا النحو في بيافرا امرا يمكن ان يحصى مصالحها في المنطقة كلها .

ولهذه الاسباب تدفقت على اجوكو كميات كبيرة من الاسلحة وحصل على الطائرات التي كانت تغير على لاجوس العاصمة حيث توجد الحكومة العسكرية الفيدرالية كما وصل بيافرا المرتزقة الاوربيون من الذين يؤيدون كل انفصال يحدث في الاقاليم الافريقية الغنية والتي تتركز فيها رؤوس الاموال والسيطرة الاوربية . وكانت المؤسسات الاوربية والامريكية ذات المصالح في هذه المنطقة تشارك في تمويل عمليات التسليح وتسهل وصول الاسلحة الى الاقليم الشرقي .

وكانت قد توفرت لدينا في ذلك الوقت معلومات تفيد بتدفق كميات كبيرة من الاسلحة الاسرائيلية الى بيافرا . وقد يكون ذلك ايضا من تخطيط السياسة الامريكية الا ان اسرائيل نفسها كانت لها مصلحة في تفتيت نيجيريا التي تضم اكبر تجمع اسلامي في افريقيا . كما كان لاسرائيل استثمارات هي الاخرى في نيجيريا وتطمع في اي يكون لها وضع مميز في الدولة الجديدة الغنية ، لذلك شجعت الانفصال وقدمت مساعداتها الى اجوكو .

كان هذا هو الوضع في نيجيريا عندما تسلم جمال عبد الناصر طلب رئيس الحكومة العسكرية في نيجيريا التوسط لدى بومدين من اجل ارسال الطيارين القادرين على التصدي لغارات اجوكو الجوية .. وكان ذلك ايضا بعد اسابيع قليلة من هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ وفي الوقت الذي يستعد فيه عبد الناصر لحرب الاستنزاف وتهيئة الجيش لتحرير ارض مصر المحتلة ولكنه لم يكن قد انتهى بعد من تهيئة الاوضاع الداخلية ــ بمشاكلها المترتبة على هزيمة يونيو العسكرية ــ لمواجهة المرحلة الجديدة . فقد كان المشير عبد الحكيم عامر ما زال في بيته بالجيزة ، وقد حوله الى قلعة عسكرية ويحاول الاتصال بضباط الجيش والوحدات لتعزيز مركزه من جديد .

وفي ٢٥ اغسطس طلبني عبد الناصر ليبحث معي موضوع رسالة الكولونيل جوان . وقال عبد الناصر انه يعرف جيدا ان الحكومة العسكرية في نيجيريا لن تحصل على طيارين لا من الجزائر ولا من اي مكان آخر . فقد تعرضنا في مصر لموقف مشابه في يونيو سنة ١٩٦٧ ولم يستجب احد لنداءنا، فأرسال طيارين امر يختلف كثيرا عن مجرد ارسال معدات عسكرية .

وقال عبد الناصر انه لا يريد ان يلقى الحكم في نيجيريا نفس الصدمة التي لقيناها في مصر لان هذا الحكم العسكري قد يضعف امام صدمة مماثلة فيذعر لقوى الانفصال والقوى المحركة له . وهذا ما تريده امريكا التي يهمها ارهاب الحكومات الافريقية حتى تخضع لسيطرة وحكم المؤسسات والشركات الرأسمالية والاحتكارات المرتبطة بالامبريالية .

وقال عبد الناصر اننا لا نريد ان تنتكس افريقيا بما حدث لنا في يونيو

١٩٦٧ . يجب ان يكون هذا اساسا واضحا في استراتيجيتنا .

وكان من الواضح ان استقلال بيافرا بهذه الطريقة هو خلق لكيان جديد في هذه المنطقة يمكن ان يلعب لحساب امريكا والدول الاستعمارية دورا مماثلا لذلك الدور الذي تلعبه اسرائيل في الشرق الاوسط .

ولهذه الاعتبارات كلها قرر عبد الناصر مساعدة الحكومة الفيدرالية في نيجيريا لمقاومة الحركة الانفصالية في بيافرا والابقاء على وحدة نيجيريا . وكان ذلك بالاستجابة لطلب الكولونيل جوان بارسال الطيارين المطلوبين . ونظرا لان الظروف وقتها لم تكن تسمح للقوات الجوية المصرية بالاستغناء عن اي طيار مقاتل فقد كلفني عبد الناصر بان يكون ذلك من بين الطيارين الذين تركوا الخدمة بالقوات الجوية لاية اسباب .

وقام مكتب الشؤون الافريقية بمصر بحصر هؤلاء الضباط واستدعائهم على دفعات وتم الاتفاق مع السلطات النيجيرية على ان تأخذ العملية شكل التعاقد الفردي بين الافراد والحكومة النيجيرية وذلك لتجنب التعقيدات الدولية الناتجة عن تدخل مصري مباشر . اي انها اتخذت في مظهرها شكل المرتزقة الاوربيين ، ولكن في حقيقة الامر كان هؤلاء ابعد ما يكونوا عن ان يوصفوا بهذا الوصف . فقد كانت الحكومة المصرية هي التي تكلفهم وتنظم هذا التعاقد معهم وتستدعي منهم من تريد . كان هناك ضابط اتصال مصري في لاجوس على اتصال مباشر بمكتب الشؤون الافريقية يتم عن طريقه كل ما يتعلق بشؤون هؤلاء الضباط ويقوم بالتنسيق مع السلطات النيجيرية .

وكان دافع هؤلاء الضباط هو خدمة الاهداف الوطنية المصرية في المقام الاول ، تلك الاهداف التي اتفقت مع مصلحة نيجيريا الفيدرالية . ولا زلت اذكر لقائي مع الدفعة الاولى من الطيارين الذين استقبلتهم لاكلفهم بهذه المهمة وكيف تركز اهتمامهم كله على الرغبة في معرفة مدى وكيفية تأثير نتائج هذه الحرب النيجيرية علينا واهمية ذلك بالنسبة لمعركتنا الاساسية مع اسرائيل دون ان يسأل احد عن قدر المرتب او المكافأة والامتيازات التي سوف يحصل عليها . وكنت سعيدا لمشاهدة هذا الحماس قبل ان ابلغهم بالمرتبات العالية التي كانت الحكومة النيجيرية قد قررت دفعها للطيارين المقاتلين . وقد اعيد معظم هؤلاء الطيارين بعد ذلك الى الخدمة في القوات الجوية المصرية مكافأة لهم على اعمالهم في نيجيريا ، وكان ذلك كله في واقع الامر يبعد عنهم صفة المرتزقة تماما . ولكننا في ذلك كنا نحارب القوى الاستعمارية بأحد أساليبها التي استخدمتها ضد قوى التحرر في الكونغو وجنوب السودان وفي اماكن كثيرة من افريقيا لضرب حركات التحرير .

ووصلت الدفعة الاولى من الطيارين المصريين بقيادة المقدم الطلياوي الى لاجوس بعد ايام قليلة ، وقام هؤلاء في نفس يوم وصولهم بالطيران

الواطي بطائرات الميج في سماء العاصمة النيجيرية ، وكان ذلك ايذانا بانهاء غارات اجوكو الجوية بصفة نهائية حيث لم تكن انـــواع الطائــرات التي يستخدمها بقادرة على مواجهة طائرات الميج الروسية والتي كان يستخدمها الطيارون المصريون . وقد استقبل سكان العاصمة لاجوس ظهور طائرات الميج في سماءهم بالفرح والتهليل حيث كانـــوا يعيشون في رعب من هــذه الغارات ومن القصف الجوي الذي كانت قد زادت حدته في الفترة الاخيرة .

وكان الواجب الذي كلف به الطيارون المصريون هو الدفاع عن سمــاء نيجيريا في المناطق التي تحدد لهم وكذلك ضرب المطار الذي كانت تمتلكـــه بيافرا وجعله غير صالح للعمل بصفة دائمة ، وكان معنى ذلك وقف الامــداد العسكري الى بيافرا والذي كان معظمه يصل عن طريق الجو .

وزاد عدد الطيارين المصريين في نيجيريا بتقدم الحرب وانشاء كليـــة طيران في لاجوس لتدريب الضباط النيجيريين واضطررنا الى الاستعانـــة بطيارين من القوات الجوية المصرية لاستكمال الاعداد المطلوبة وكذلك اطقم الصيانة والخدمة الارضية والاتصال اللاسلكي . ولم يكن من السهـــل وقتها اقناع الفريق فوزي وزير الحربية بذلك الا بعد قبول شروطه وقتهــا في ان يتغير الافراد كل ٣ شهور وان يكون له الحق في استدعاء جميع الافراد التابعين للقوات الجوية المصرية الموفدين في هذه المهمة وذلــك في ظرف ٤٨ ساعة من ابلاغي بهذا الطلب . وقد حدث بالفعل ان استخدم الفريق فوزي حقه في هذا الاستدعاء عندما تصاعدت حــرب الاستنزاف . وقـــد كانت الصعوبة في استعواض الفنيين من غير الطيارين لان عددهم كــان كبيرا . ولكن امكن استعواضهم جميعا خلال ٤٨ ساعة عن طريق الحصول علــى كشوفات باسماء المسرحين من القوات الجوية المصرية من الفنيين واطقــم الصيانة واللاسلكي والخدمات الارضية الاخرى ، ثم تم الاتصال بهم والعمل على اخلاء سبيلهم من الجهات التي كانوا يعملون بها في الوزارات المختلفة ، وبذلك لم تتوقف العمليات الجوية في نيجيريا .

اما بالنسبة للطيارين فقد بقي منهم من كان خارج قوة السلاح الجوي المصري وكان عليهم القيام بمجهودات مضاعفة . واستمر بقـــاء هــؤلاء الطيارين الى ان تحقق النصر لقوات نيجيريا الفيدرالية وهرب اجوكو الى ساحل العاج واستسلمت قواته وتم القضاء نهائيا على محاولة الانفصال في بيافرا . ومما لا شك فيه ان قرار عبد الناصر الثوري بأرسال الطياريـــن المصريين الى نيجيريا كان له فضل كبير في حسم المعركة لصالح القـــوات الفيدراليـــة .

وحتى لا ادع مجالا لما قد يراود القارىء من تساؤلات حول الاعبـــاء الاضافية التي تكون قد تحملتها مصر نتيجة لموقفهـــا من مسانـــدة الحكومـــة

الفيدرالية في هذا الوقت ، اوضح ان مصر لم تتحمل اي عبء مادي . فقد كانت الحكومة النيجيرية تدفع ثمن المعدات التي تحصل عليها من مصر بالعملات الصعبة ؛ وقد كانت هذه المعدات في اغلبها قطع غيار وبعض الطائرات التي كانت تستغني عنها القوات الجوية المصرية وذخيرة وقنابل طائرات وبعض المعدات الاخرى التي كان من السهل استعواضها من الاتحاد السوفيتي . وكان الثمن يدفع فور الاستلام لحساب وزارة الحربية المصرية التي كانت تستخدم هذه الحصيلة في شراء بعض مستلزماتها من الاسواق

الاوربية التي نحتاج الى العملة الصعبة مثل الجنازير اللازمة لصناعة المدرعة التى تنتجها مصر والتي كانت تشترى من اسبانيا .

وقد دفعت حكومة نيجيريا اجور ومرتبات جميع الطيارين والفنيين المصريين الذين اشتركوا في هذه المهمة وكذلك اجر النقل الجوي الذي كانت تستلزمه عمليات الاستعواض السريعة . وكان ذلك كله يدفع بالعملة الصعبة . فقد كان الاتفاق مع حكومة نيجيريا على ان تتحمل جميع الاعباء المالية المترتبة على المساعدات المصرية وذلك نظرا للظروف التي كانت تمر بها مصر من اعادة بناء لقواتها المسلحة وحاجتها الى تعبئة كل مواردها من اجل معركتها مع اسرائيل ولان نيجيريا كانت قادرة على الدفع الذي لم يكن مشكلتها .

وكانت اهم مشاكل نيجيريا في حربها هذه تتركز اولا في الحصول على الطائرات وما يلزمها من اسلحة ومعدات وهذه حصلت عليها من الاتحاد السوفيتي بعد ان فشلت في شرائها من اسواقها التقليدية التي كانت تتعامل معها قبل الحرب الاهلية . فقد فرضت الدول الغربية حظرا على نيجيريا في الوقت الذي كان اجوكو يحصل فيل على ما يريد من الطائرات والاسلحة التي كان يصله بعضها على طائرات الصليب الاحمر وذلك على حساب ما كان يؤكده المسؤولون في حكومة نيجيريا الفيدرالية . اما المشكلة الثانية فكانت الحصول على الافراد المدربين للعمل على هذه الطائرات والمعدات الجديدة وكانت مصر هي الدولة الوحيدة التي استجابت لنداء نيجيريا في الوقت المناسب ثم كانت مشكلة الاستعواض السريع للذخيرة وقطع الغيار ووصولها في الوقت المناسب وهذا ايضا ما قدمته مصر .

ولا بد لنا من وقفة امام الظروف التي اتخذ فيها عبد الناصر قرار تقديم المساعدة . فهذا القرار وان لم يكلف مصر اعباءا مالية الا انه دون شك كان يحمل معنى التحدي للقوى التي تقف خلف حركة الانفصال في بيافرا . وكان يعنى ان عبد الناصر رغم هزيمة يونيو العسكرية ورغم مشاكله الداخلية التي كان يواجهها في ذلك الوقت لم يتحول عن سياسته المناهضة للاستعمار

والامبريالية وانه ما زال يؤمن بوحدة النضال بين الشعوب التي تقاوم نفس العدو كما كان يؤمن بأن انتكاسة اي شعب من هذه الشعوب لا بد وان تؤثر على نضال الشعوب الاخرى ، ولذلك احس عبد الناصر بمسؤوليته حيال احداث نيجيريا باعتبارها بداية لهجمة جديدة يقوم بها الاستعمار والولايات المتحدة الامريكية لارهاب الشعوب الافريقية في اعقاب هزيمة ١٩٦٧ .

ولنفس هذه الاسباب كانت فرحة عبد الناصر بثورة السودان وبثورة ليبيا من بعدها لانها كانت تعني في نظره عودة المد الثوري الى العالم العربي والى القارة الافريقية من جديد .

وقد ترتب على موقف مصر من المساعدة النيجيرية ان اصبحت نيجيريا من الدول المؤيدة للقضية الفلسطينية والحق العربي وذلك في جميع المجالات الدولية والافريقية بعد ان كانت من الدول المتحفظة في ذلك .

وقد ايدت معظم الدول الافريقية حكومة نيجيريا في موقفها من اجوكو وطريقة معالجتها لمشكلة الانفصال . فموضوع الانفصال بصفة عامة موضوع كريه عند معظم الدول الافريقية خصوصا تلك التي يهددها شبح الانفصال دائما وهي كثيرة في افريقيا — وذلك لوجود تقسيمات قبلية غير منسجمة او وجود مناطق داخل الدولة لم تنصهر بعد في الوطن الجديد .

اما الدول الافريقية التي ايدت الانفصال في نيجيريا ودافعت عن حق بيافرا في الاستقلال فكان عددها قليلا كما كانت في معظمها من بين الدول التي عرفت بارتباطاتها بدول غربية مثل ساحل العاج وملاوي ولم يكن لرأي هذه الدول وزن كبير او تأثير داخل منظمة الوحدة الافريقية . ولكن المشكلة الحقيقية كانت في موقف الرئيس نيريري رئيس جمهورية تنزانيا من هذه القضية . فقد كان يرى هو الاخر ان من حق بيافرا ان تنفصل عن نيجيريا وان تحصل على استقلالها . وكان نيريري يقف موقفه هذا من منطلق مختلف تماما عن موقف الدول التي ايدت الانفصال لمجرد انه يخدم السياسة الغربية في افريقيا . فثورية نيريري واحساسه بالانتماء الافريقي وتقدميته كلها ليست موضعا لجدل او نقاش . فكان نيريري يقول انه يرفض الوحدة اذا كان ثمنها ارواح المواطنين . وهو بذلك يعارض العنف الذي كانت تقوم به الحكومة الفيدرالية في مواجهة الحركة الانفصالية في نيجيريا . واعتقد ان وراء منطق نيريري هذا كانت هناك ايضا أسباب دينية فالرئيس نيريري كاثوليكي متدين ويبدو انه تأثر كثيرا بحملة الدعاية الواسعة التي قامت في اوربا واشتركت فيها جميع اجهزة الاعلام الغربية لصالح اجوكو واستقلال بيافرا مصورة المشكلة على انها صراع بين اقلية مسيحية في مواجهة الاغلبية المسلمة التي تريد ان تقضي على كيان هذه الاقلية وتنتقص من حقوقها . وبالغت هذه الدعاية كثيرا في تصوير المجاعات والاخطار التي تعرض لها

سكان بيافرا حتى انها نجحت في هز مشاعر اوربا كلها وتحريك الكنيسة الكاثوليكية . وقد تناست هذه الدعاية ان اجوكو ورفاقه هم السبب في هذه الكارثة وان القتل والعنف بدأ اولا من الاقليم الشرقي عندما قامت مجموعات من قبائل الايبو بذبح الزعماء المسلمين في الشمال واستولت على السلطة في الانقلاب العسكري الاول .

وكان الرئيس كاوندا رئيس زامبيا المتدين يقف هو الاخر موقفا مشابها لموقف نيريري ولكن ربما بدرجة اقل حماسا . ولذلك كنا في مصر حريصين على الا يتسبب موقفنا في قضية بيافرا المخالف لموقف نيريري وكاوندا في تعكير العلاقات الطيبة والوثيقة التي كانت تربطنا بكل من تنزانيا وزامبيا . كما كنا تخشى ان تمتد اثار الحرب النيجيرية — اذا فهمت على انها مجرد حرب دينية بين الشمال المسلم والشرق المسيحي — لتصبح حربا او صراعا بين المسيحيين والمسلمين في افريقيا كلها فتكون وبالا على الاقليات الاسلامية في بعض بلاد القارة . ولذلك فقد كلفت بالذهاب الى دار السلام ولوساكا في زامبيا لاشرح لكل من الرئيسين نيريري وكاوندا دوافع مصر وراء مساعدة نيجيريا ولاوضح لهما اننا نعالج هذه المشكلة من منطلق بعيد كل البعد عن اي نظرة دينية متعصبة .

وبعد انتصار الحكومة الفيدرالية واستعادة نيجيريا لوحدتها اراد جوان ان يعبر عن شكره وتقديره للرئيس جمال عبد الناصر وذلك بأن جعل القاهرة اول عاصمة يزورها بعد انتهاء الحرب الاهلية وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، حيث حضر الى القاهرة في زيارة رسمية وكان اول لقاء بين عبد الناصر وجوان . وابدى الرئيس النيجيري رغبته في توثيق عرى الصداقة بين البلدين وخاصة في ميدان العلاقات التجارية والتبادل الفني . وكانت هذه العلاقات قد قطعت بالفعل شوطا كبيرا اثناء الحرب النيجيرية ، فعلى سبيل المثال وصل عدد الاطباء المصريين الذين تم لهم التعاقد مع الحكومة والمستشفيات النيجيرية خلال هذه المدة اكثر من ٣٠٠ طبيب بالمستشفيات النيجيرية علاوة على عدد من اساتذة الجامعات اعيروا لجامعة ابادان في نيجيريا .

كما زاد نشاط شركة النصر للتصدير والاستيراد المصرية في نيجيريا وامتد عملها الى الاشتراك في تسويق المحاصيل النيجيرية الى جميع انحاء العالم سواء عن طريق العمليات الثلاثية او مباشرة . هذا علاوة على زيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين زيادة ملحوظة .

وهكذا نجد ان الموقف المبداي الذي وقفته مصر بمساعدتها نيجيريا الفيدرالية لانهاء الحرب الاهلية في بيافرا فتح امام مصر ايضا افاقا جديدة لعلاقاتها الاقتصادية والثقافية مع نيجيريا .

الفصـــل الخامس

عبد الناصر وأزمة الكونغـــو :

- بداية الازمة الكونغولية وأسبابها .
- ارسال قوات مصرية الى الكونغو .
- مهمة خاصة لمقابلة لومومبا .
- مقتل لومومبا واندلاع الثورة في الكونغو .
- رد عبد الناصر على مقتل لومومبا .
- عودة الحكم المركزي وانهاء الانفصال في كاتنجا .
- اشتعال الثورة من جديد .
- موقف عبد الناصر من الغزو البلجيكي الامريكي للكونغو .
- نهاية الازمة الكونغولية ونتائجها .

كانت أزمة الكونغو في بداية الستينات علامة بارزة في تاريخ النضال
الافريقي أدت الى صراع عنيف بين قوى الاستعمار والامبريالية من ناحيــة
وقوى التحرر الوطني في افريقيا تساندها قوى التقدم العالمية من ناحيــة
وقد كشفت أزمة الكونغو عن أبعاد جديدة لهذا الصراع ، حيث كانت
أخـــرى .
هذه هي المرة الاولى التي تدخل فيها الولايات المتحدة الامريكية بثقلها فـــي مجال السياسة الافريقية . وكان هناك قبل ذلك من يعتقد في تعاطف امريكا مع الاماني الوطنية للشعوب وانه في مقدور الحركات الوطنية الاستفادة من هذا التعاطف في معركتها للتخلص من الاستعمار والاحتلال الاجنبي ، ولم يكن قد سبق لاحد من الزعماء الافريقيين أن اصطدم اصطدامـــا فعليـــا بالسياسة الامريكية سوى جمال عبد الناصر الذي كان قد خاض معركـــة الاحلاف العسكرية عندما حاولت امريكا فرضها على المنطقة .

لقد كانت أزمة الكونغو صراعا تجسد فيه أمام الافريقيين المعنـــى الحقيقي للاستعمار الجديد . وقد لعبت مصر دورا هاما ورئيسيا فـــي هذا الصراع ، وقفت فيه الى جانب القوى الوطنية . وكان لدورها هذا اثر كبير في سير الاحداث ليس في الكونغو فقط ولكن في افريقيا كلها التي تأثـــرت كثيرا بأزمة الكونغو وبالصراع الدائر بسببها .

وقد أحدثت أزمة الكونغو انقسامات خطيرة بين دول افريقيا وقامـــت بسببها تكتلات سياسية في القارة أدت في النهاية الى قيام منظمة الوحدة الافريقية بمجرد انفراج هذه الازمة . ولكن سرعان ما عادت أزمة الكونغو من جديد لتعيد الانقسام والتكتل مرة ثانية بين دول القارة ولكن داخل المنظمة الجديدة هذه المرة . وكادت الانقسامات أن تعصف بمنظـــمة الوحـــــدة الافريقية الوليدة لولا تدخل الحكماء مـــن رؤساء الـــدول الافريقية الذيـــن

استطاعوا أن يوجدوا الصيغة الملائمة للتعايش بين الاتجاهات المختلفة للدول الافريقية ووضع الحدود لهذا الصراع التي لا يجوز الخروج عنها .

بداية الازمة الكونغولية وأسبابها :

بدأت قصة الكونغو والازمة التي القت بظلالها على القارة الافريقية كلها وشغلت العالم لاكثر من خمس سنوات في ٨ يوليو ١٩٦٠ بعد ثمانية ايام من اعلان الاستقلال . وكان ذلك عندما تمرد الجيش الكونغولي بتحريض من ضباطه وكانوا جميعا من البلجيك — ووزع الجيش اسلحته على المدنيين البلجيك فعمت الفوضى في البلاد وانهار القانون والنظام .

بعد ثلاثة ايام من هذا التمرد أعلن مويس توشمبي حاكم اقليم كاتنجا انفصال الاقليم الذي تتركز فيه معظم ثروات الكونغو . وكان ذلك بتحريض من البلجيك الذين سارعوا بارسال خمسة الاف جندي الى الكونغو ، رغم اعتراض رئيس الوزراء وحكومته التي أعلنت ان تصرف بلجيكا هذا عدوان على سيادة الكونغو .

واتضحت المؤامرة الاستعمارية التي استهدفت الاستيلاء على المناطق الغنية في الكونغو وذلك باختلاق بلجيكا للظروف والاسباب التي تبرر عودتها ثانية للسيطرة على مقدرات الكونغو من جديد . وقد جاء ذلك بعد أن كانت قد فشلت خطتها في السيطرة على الاحزاب الكونغولية حيث استطاع لومومبا أن يكتل عدة أحزاب ويكسبها الى جانبه فحصل على الاغلبية البرلمانية التي تؤهله للحكم . ولم تجد بلجيكا مفرا من اسناد رئاسة الحكومة اليه .

وكان هذا مخالفا تماما لما أرادته بلجيكا ومخالفا لتقديراتها عندما سبق أن سمحت بتكوين الاحزاب في الكونغو على أساس قبلي . فقد كانت تتصور حينئذ ان في استطاعتها — بواسطة المستوطنين البلجيك وامكانياتهم الضخمة — السيطرة على هذه الاحزاب التي ستبقى محصورة في اتجاهاتها القبلية وانتماءاتها الاقليمية .

ولكن لومومبا الذي كان يدعو الى اقامة حكومة موحدة مركزية على غرار حكومة الرئيس انكروما في غانا ، حقق بدعوته هذه نجاحا لم يكن يتوقعه البلجيك الذين كانوا يساعدون الزعماء القبليين للابقاء على النفوذ القبلي في الاقاليم حتى يسهل لهم استمرار السيطرة . ومن المعروف ان بلجيكا طوال حكمها للكونغو لم تقم بأي محاولة جدية لتأهيل الوطنيين أو

تدريبهم لتسلم السلطة أو الاشتراك فيها . ففي يناير سنة ١٩٦٠ عندما تقرر استقلال الكونغو بعد ستة شهور وكان ذلك في ما عرف باسم مؤتمر المائدة المستديرة ، لم يكن هناك افريقي واحد من الوطنيين يشغل منصبا هاما في الحكومة المحلية . وكان عدد الوطنيين في الجهاز الاداري كله ٦٤٠ افريقي جميعهم في الوظائف الدنيا من ١٠،٠٠٠ اجمالي عدد المشتغلين في هذا الجهاز . كما لم يكن هناك أعداد تذكر من الافريقيين خريجي الجامعات. ولم يكن هناك وطنيا واحدا برتبة الضابط في الجيش الكونغولي حيث اقتصرت هذه الرتب على البلجيك وحدهم .

وبناء على حالة الفوضى والنهب والسلب التي سادت العاصمة بعد انهيار الامن في البلاد ، طلب لومومبا — في ١١ يوليو سنة ١٩٦٠ — من الامم المتحدة ارسال قوة دولية لحفظ القانون والنظام في الكونغو . وكان يبغي من وراء ذلك وقف التدخل البلجيكي ومنع بلجيكا من العودة للسيطرة من جديد على مقدرات البلاد . وابدى لومومبا رغبته لبعض الدول الافريقية في أن تشترك في هذه القوة وكانت مصر من بين هذه الدول .

وكانت القاهرة على صلة قديمة بلومومبا حيث كانت تقدم لحركته بعض المساعدات المادية وذلك منذ عام ١٩٥٨ عندما قابلت لومومبا لاول مرة في أكرا في مؤتمر الشعوب الافريقية . وكانت هذه هي المرة الاولى التي يخرج فيها لومومبا ليلتقي بعدد من الزعماء والساسة الافريقيين الذين حضروا هذا المؤتمر . ونشأت بيننا منذ ذلك الوقت علاقة قوية أساسها من جانب لومومبا انبهاره الشديد بما حققه عبد الناصر لتخليص بلاده من الاحتلال الانجليزي وتأميمه لقناة السويس الامر الذي يعني الكثير من الامل بالنسبة لبلد غني مثل الكونغو تمتلك الشركات الاوروبية كل ثرواته، وكذلك لموقف عبد الناصر في مساندة حركات التحرير الافريقية ومساعداته الفعالة لها . أما من ناحيتنا فقد كنا نعلم ان حزب لومومبا « الحركة الوطنية الكونغولية» Mouvement National Congalese « M. N. C. » هو أنسب الحركات والاحزاب الوطنية في الكونغو لقيادة الحركة الوطنية وأكثر هذه الاحزاب وضوحا في مقاومة الاستعمار البلجيكي . كما كان لومومبا هو الزعيم الكونغولي الوحيد الذي تمتد شعبيته ويتواجد أتباعه خارج نطاقه الاقليمي والقبلي ، بعكس بقية الزعماء الذين كانت تنحصر زعماتهم داخل الحدود القبلية فقط .

وكنت أراسل لومومبا قبل الاستقلال على عنوان صندوق بريد في برازافيل الخاضعة للاستعمار الفرنسي ويفصلها عن ليوبولدفيل (كينشاسا حاليا) نهر الكونغو ويبدو انه اختار هذا العنوان لان السلطات البلجيكية لم تكن لتسمح بمثل هذه الاتصالات او لانه أراد أن يخفي هذه الصلة عن

الادارة البلجيكية .

ومما لا شك فيه ان سرعة تطور الحركة الوطنية في الكونغو خلال السنتين الاخيرتين قبل الاستقلال كانت مثيرة للدهشة . فقد كان هناك اعتقاد بتخلف الحركة الوطنية هناك عنها في أي مكان اخر من القارة بسبب اسلوب الحكم البلجيكي الذي كان يؤمن بسياسة « ملء البطون وقفل العقول » كما كانوا يسمونها . فقد كانت ثروات الكونغو الهائلة والعائد الكبير الذي يحصل عليه البلجيكيون يسمح لهم بأن يرتفعوا نسبيا وبمستوى معيشة الوطنيين الافريقيين الذين يعملون معهم ولكنهم في نفس الوقت لا يسمحون لهؤلاء الوطنيين بأي مشاركة في الحياة السياسية .

وقد كان الذهن البلجيكي بطيئا في هضم فكرة التخلص من المستعمرات حتى ان أحد البلجيك « A. A. J. Von Bilsen » وهو استاذ في معهد انتوبرت « Antwerp Overseas » كتب في عام ١٩٥٥ يدعو الى استقلال الكونغو في خلال ثلاثين عاما ، وطالب الحكومة البلجيكية بعمل خطة تستهدف تدريب الوطنيين وتأهيلهم للاشتراك في الحكم قبل انتهاء هذه المدة ، فاعتبرت هذه الافكار — وقتها — أفكارا ثورية هاجمها الكثير من البلجيك .

وقد سبق لشعب الكونغو ان نعرض لابشع أنواع الاستعمار والاستغلال الذي لم يتعرض له شعب اخر في افريقيا عندما كان تحت الحكم الشخصي للملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا . ففي خلال ١٥ سنة من حكمه قضى هذا الملك الذي كان يدعي دائما تحمسه للنزعة الانسانية والذي كان يعتبر أحد عمد الكنيسة — على حوالي أحد عشر مليونا من سكان مملكته الافريقية البالغ عددهم وقتئذ ٢٠ مليون نسمة بحيث لم يبق سوى تسعة ملايين فقط . ولكل هذه الاسباب كان هناك اعتقاد بأن الحركة الوطنية في الكونغو متخلفة جدا وان — الكونغو سيكون من أواخر الدول الافريقية في الحصول على استقلاله .

ولكن رياح التغيير كانت قد هبت على افريقيا وحدث من الاحداث ما هز الوجدان الافريقي والهب الشعور الوطني في القارة . ففشل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وخروج عبد الناصر منتصرا ، والتقدم المستمر في ثورة الجزائر ثم استقلال غانا وغينيا ووقوف انقروما وسيكوتوري بجانب عبد الناصر في تأييد حركات التحرير الافريقية واعلان وحدة النضال ضد الاستعمار والامبريالية غير ذلك كله من ايقاع مسيرة التحرير في القارة الافريقية وامتد التأثير الى أعماق الكونغو .

ولا شك أيضا ان الحركة الوطنية في الكونغو قد تأثرت بشكل مباشر بالتطور الذي حدث في الكونغو الفرنسي وفي المستعمرات الفرنسية الاخرى

المتاخمة للكونغو التي كانت قد حصلت على الحكم الذاتي . ثم جاء اعلان ديجول لسياسته الجديدة في المستعمرات الفرنسية ودستوره الجديد Loi — cadre الذي أعطى هذه المستعمرات حق الاختيار بين الاستقلال التام أو الدخول في الرابطة الفرنسية ، وجاءت في اعقاب هذا الاعلان زيارة ديجول الى برازافيل (عاصمة الكونغو الفرنسي) والتي لا يفصلها عن ليوبولدفيل سوى نهر الكونغو . حدث هذا في عام ١٩٥٨ ، وكانت له اثاره في الهاب الشعور الوطني في الكونغو البلجيكي حيث أدرك الوطنيون مدى تعنت الحكم البلجيكي بمقارنته بموقف ديجول المتطور .

وبعد ان حضر اومومبا مؤتمر الشعوب الافريقية الذي عقد في اكرا عام ١٩٥٨ والتقى بالثوار الافارقة من كل أنحاء القارة ، عاد الى بلاده ليعلن التزامه بقرارات المؤتمر الذي كان قد قرر تصفية الاستعمار من افريقيا بصفة نهائية . وطالب لومومبا بالاستقلال الفوري للكونغو استنادا الى هذه القرارات . واستجاب الشعب الكونغولي الى نداء لومومبا بالاستقلال استجابة واسعة وبطريقة لم تكن متوقعة . وحاولت السلطات البلجيكية قمع الحركة الوطنية بالعنف والقوة التي عرفت بها ، الا أن الامر كان قد خرج من يدها تماما ، واضطرت بلجيكا الى الدخول في محادثات المائدة المستديرة مع الزعماء الكونغوليين كما اضطرت الى تحديد تاريخ لاستقلال الكونغو (بعد ستة شهور فقط) . وأعلن هذا التاريخ تحت الضغط المتعاظم للحركة الوطنية دون أن تكون السلطات البلجيكية قد استعدت استعدادا حقيقيا لمثل هذه الخطوة .

جمال عبد الناصر يرسل قوات مصرية الى الكونغو :

بناء على طلب لومومبا قوات من الامم المتحدة اجتمع داج همرشولد السكرتير العام للمنظمة الدولية بمدوبي الدول الافريقية في الامم المتحدة طالبا مساهمة هذه الدول في القوة اللازمة لحفظ الامن والنظام في الكونغو. وكان الاتجاه في بادىء الامر الى قصر تشكيل هذه القوة على الدول الافريقية وحدها .

ووصل عبد الناصر طلب الامم المتحدة كما كانت قد وصلته رغبة لومومبا في أن تشترك مصر في القوة التي سترسلها المنظمة الدولية الى الكونغو . ولم يتردد عبد الناصر في الموافقة على هذا الطلب ، واشتركت مصر بالفعل بقوة قوامها كتيبة من قوات المظليين بقيادة العقيد سعد الشاذلي (الفريق رئيس الاركان بعد ذلك) وضعت تحت القيادة العسكرية للامم

المتحدة في الكونغو .

وقد جاءت موافقة عبد الناصر السريعة على هذا القرار لاسباب عديدة اهمها :

اولا : كانت هذه هي المرة الاولى التي يلجأ فيها زعيم افريقي الى الدول الافريقية الاخرى لحماية استقلال بلاده والحفاظ على وحدة أراضيها، ورغم ان ذلك كان عن طريق الامم المتحدة فان تخلي الدول الافريقية وخاصة مصر عن تلبية رغبة لومومبا كان يعتبر في رأي عبد الناصر تجريدا للوحدة الافريقية من مضمونها الايجابي .

ثانيا : كان عبد الناصر يدرك تمام الادراك ان معركته ضد الاستعمار والامبريالية ليست بأي حال من الاحوال معركة محلية وانما هي معركة ممتدة الى أعماق القارة الافريقية كما هي ممتدة على طول الوطن العربي والى كل مكان يقاوم الاستعمار والسيطرة الاجنبية . وقد كان هذا خطا رئيسيا في فكر عبد الناصر ، كما كانت المواجهة الجريئة لقوى الامبريالية والاستعمار الجديد منهجا ثانيا في سياسته باعتبار ان هذه القوى تشكل الخطر الاكبر الذي يهدد البلاد المستقلة حديثا .

ثالثا : أهمية الموقع الجغرافي في الكونغو بالنسبة لمصر . فتأمين منابع النيل هدف من أهداف الاستراتيجية المصرية تضمنته سياسة حكام مصر منذ عرف التاريخ ومنذ عرفت عبارة هيرودوت الشهيرة « مصر هبة النيل » فقد كان عبد الناصر يعرف جيدا ان تأمين منابع النيل لا يتأتى الا باستقلال الدول المشتركة معنا في نهر النيل وتخليصها من السيطرة الاستعمارية حتى نستطيع ان نقيم معها علاقات الصداقة وحسن الجوار .

رابعا : متاخمة الكونغو لجنوب السودان تجعل له أهمية خاصة . فمشكلة الجنوب في السودان والمحاولات المستمرة للانفصال كان يغذيها الوجود الاستعماري في المناطق المحيطة به . وكان حل هذه المشكلة مرهون بوقف النشاط المعادي للسودان في الدول المتاخمة .

ولم يمض وقت طويل على وصول قوات الامم المتحدة الى الكونغو حتى ظهر خلاف شديد بين لومومبا وبين قيادة هذه القوات . وأرسل لومومبا الى همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة في ١٤ أغسطس ١٩٦٠ يتهمه باستخدام القوات الدولية للتأثير في الصراع الدائر بين كاتنجا والحكومة المركزية ، وان قيادة الامم المتحدة في الكونغو لم تأخذ رأي الحكومة في احلال قوات أوروبية محل بعض القوات الافريقية التابعة للامم المتحدة ، وانها بتصرفها هذا تحاول أن تجعل نفسها صاحبة السلطة الشرعية في البلاد ، كما هاجم لومومبا السكرتير العام علنا متهما أياه بأنه ينفذ سياسة الدول الاستعمارية .

وكان هذا الخلاف مثيرا لقلق عبد الناصر . فهو خلاف بين قيادة الامم المتحدة التي تتبعها القوة المصرية في الكونغو والتي تتلقى الاوامر منها وبين لومومبا الذي ذهبت هذه القوات من أجله وبناء على طلبه . وزاد قلق عبد الناصر عندما أصبح واضحا ان لومومبا يريد المساعدة العسكرية من الدول الافريقية ولكن بصفة مباشرة هذه المرة وخارج نطاق الامم المتحدة .

واتجه لومومبا الى الدول الافريقية طالبا عقد مؤتمر قمة افريقي بصفة عاجلة في ليوبولدفيل . وبناء على هذا الطلب تقرر عقد مؤتمر تحضيري من وزراء خارجية الدول الافريقية المستقلة في المدة من ٢٥ — ٣١ اغسطس ١٩٦٠ في ليوبولدفيل للتمهيد لمؤتمر القمة .

مهمة خاصة لمقابلة لومومبا :

في مساء يوم ٢٢ أغسطس ١٩٦٠ استدعيت لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان وقتئذ في الاسكندرية ، وبعد بحث شامل للموقف في الكونغو كلفني عبد الناصر بالسفر الى ليوبولدفيل عاصمة الكونغو لمقابلة الرئيس لومومبا وحملني رسالة الى لومومبا الذي كنت على صلة سابقة به، كما سبق أن أوضحت ، ولم تكن القاهرة قد أقامت تمثيلها الدبلوماسي في الكونغو حتى ذلك الوقت .

وقد وجدت جمال عبد الناصر في قلق شديد على الاوضاع في الكونغو . فلم يكن سعيدا بتطور العلاقة بين لومومبا والسكرتير العام للامم المتحدة وكان يرى ان ارسال قوات عسكرية افريقية الى الكونغو خارج نطاق الامم المتحدة كما يريد لومومبا سوف يعطي الفرصة لعودة القوات البلجيكية والتدخل السافر من جانب الولايات المتحدة الامريكية .

وبسبب الخلاف الذي نشأ بين القيادة العسكرية للامم المتحدة في الكونغو وبين لومومبا لم يعد عبد الناصر مطمئنا حتى للقوات الافريقية الموجودة هناك والتي ما زال معظمها يحتفظ بالقادة العسكريين الاوروبيين. فغانا على سبيل المثال التي كانت أكثر الدول تحمسا في تأييد لومومبا — كانت قوتها الموجودة في الكونغو تضم قادة انجليز من الذين كانوا في جيش غانا قبل الاستقلال .

وكان عبد الناصر يعتقد ان اجتماع مؤتمر القمة الافريقي في ليوبولدفيل بسرعة وعلى الوجه الذي يريده لومومبا سوف يسفر عن انقسامات خطيرة

بين صفوف الافريقيين ولن يستفيد منه لومومبا ، بل انه قد يشل حركته السياسية لان مواجهة خطيرة قد بدأت بين لومومبا وقوى الاستعمار والامبريالية وهناك دول افريقية لن تستطيع أن تقف في صف لومومبا وكان عبد الناصر يرى انه بدلا من الاعتماد على مؤتمر القمة الافريقي يستطيع لومومبا الاعتماد في حركته السياسية على مجموعة من الدول الافريقية الثورية مثل غانا ومالي وغينيا ومصر .

وكان واضحا ان مشكلة الكونغو أصبحت تشغلحيزا كبيرا من تفكير جمال عبد الناصر بعد أن تواجدت لنا قوات عسكرية في الكونغو ومطلوب تأمين سلامتها وضمان عدم استخدامها أو تكليفها بواجبات تتنافى مع الاهداف التي أرسلت من اجلها وهي مساندة القوى الوطنية بزعامة باتريس لومومبا للمحافظة على استقلال الكونغو ووحدة أراضيه .

كان عبد الناصر مدركا لابعاد هذه المشكلة في ذلك الوقت المبكر . وأذكر انه قال يومها ان لومومبا سوف يواجه معركة شرسة وسيحاول الاستعمار أن يجعل من حكومته أمثولة بقصد ارهاب الدول الافريقية التي استقلت والتي يريدون لها أن تكتفي بعلم ونشيد الاستقلال وأن تعرف انه غير مسموح لها أن تفكر فيما هو أبعد من ذلك .

وكان عبد الناصر محقا في قوله . فقد كان عدد الدول التي استقلت في هذا العام (١٩٦٠) ثمانية عشرة دولة معظمها من الدول التي كانت تحتلها فرنسا ، وقد وضع هذا التطور الفجائي افريقيا كلها في وضع ومزاج يشجعها على التحرك نحو مزيد من التحرر . ونشطت بالفعل حركات التحرر في المستعمرات الافريقية وارتفع صوتها . وأصبح هناك اعتقاد بأن كل شيء بات ممكنا أمام القوى الوطنية ، وان الاستعمار في طريقه الى الزوال تماما .

وكان الكونغو بثرواته الضخمة معقلا للاحتكارات الاستعمارية الامبريالية ونموذجا لتشابك المصالح ورؤوس الاموال الاوروبية والامريكية. وكان ضرب الحركة الوطنية في الكونغو معناه تغيير الوضع والمزاج الذي وضعت فيه افريقيا ليتناسب من جديد مع المصالح الاستعمارية والامبريالية التي تريد بقاء قبضتها وسيطرتها على مقدرات افريقيا وان كانت لا تمانع في رفع أعلام الاستقلال .

وكلفني عبد الناصر أن أنقل مخاوفه هذه الى لومومبا وأن أتعرف على وجهة نظره مع ابلاغه ان القاهرة تقف معه بكل ما تستطيع كما كلفني بأن أبحث معه ما يمكن أن نقدمه له من مساعدة .

ولم ينس عبد الناصر أن يطلب ابلاغ لومومبا بأن القاهره ترحب بأولاده وعائلته في أي وقت يراه انهم سيكونون تحت رعايته شخصيا . فقد

كان عبد الناصر مدركا للخطر الذي تتعرض له حياة لومومبا واراد بهذه الدعوة أن يحرر لومومبا من عبء القلق على مصير عائلته . وقد حضر أولاد لومومبا وزوجته بالفعل الى القاهرة ولكن بعد فترة وبعد ان ساءت الاحوال حتى اننا اضطررنا الى تهريبهم بواسطة السفارة المصرية في ليوبولدفيل وبصحبة احد الدبلوماسيين المصريين (المرحوم عبد العزيز اسحق) وبجوازات سفر مصرية على أنهم ابناء هذا الدبلوماسي . وأدخل أولاد لومومبا المدارس المصرية واستمروا تحت رعاية جمال عبد الناصر وعلى صلة مستمرة بعائلته .

وصلت مطار ليوبولدفيل على طائرة خاصة صباح يوم ٢٧ أغسطس وكان على نفس الطائرة السيد عبد المجيد فريد سكرتير عام رئاسة الجمهورية في ذلك الوقت والذي جاء لاعداد كل ما يتعلق بالشؤون الادارية الخاصة بزيارة عبد الناصر الى ليوبولدفيل في حالة اصرار لومومبا على عقد مؤتمر القمة الذي كان قد دعى اليه .

واتضح لنا بمجرد الوصول ان الحكومة الكونغولية لا سيطرة لها على المطار . فكانت هناك قوات تابعة للامم المتحدة تعسكر داخل المطار ولكنها لا تتدخل في حركة الطائرات ولا حركة المسافرين من والى المطار . والى أن اصبحنا خارج مطار ليوبولدفيل لم نقابل مسؤولا واحدا يسأل عن جوازات السفر أو اجراءات الجمارك أو غيرها من الاجراءات التي يقابلها أي مسافر عند الوصول الى مطار من المطارات الدولية .

كان الشعور بمجرد أن وطأت أقدامنا مطار ليوبولدفيل ان هناك حالة من الفوضى ، لدرجة ان قائد الطائرة وطاقمها اضطروا للبقاء في المطار لحراسة الطائرة لحين انهاء مأموريتنا ونقلع عائدين ، وافترشوا الارض تحت ظل جناح الطائرة احتماء من حرارة الشمس المحرقة .

وهكذا كان حال الكونغو كله ، حالة من الفوضى ، فالاجهزة الادارية والفنية ما زال يراسها ويتحكم فيها الاداريون والفنيون البلجيك وهم لا يتعاونون مع السلطة الشرعية . والوطنيون تسلموا الحكم ولكن الخيوط اللازمة لتشغيل دفة الامور لم توضع في أيديهم ، وهكذا اراد البلجيكيون للبلاد أن تصل الى حالة من الشلل والفوضى .

استقبلني لومومبا في مكتبه بمبنى رئاسة الوزراء بعد فترة وجيزة من الوصول الى ليوبولدفيل ، وكان بصحبتي السيد عبد المجيد فريد . وأبلغت لومومبا برسالة جمال عبد الناصر ثم بحثت معه النقاط التي كلفت بها . وقد بدت على ملامحه السعادة والارتياح لاهتمام عبد الناصر بقضيته وتأييده له . وتكلم لومومبا كثيرا عن الوحدة الافريقية بمناسبة المؤتمر الذي كان مقررا عقده في ليوبولدفيل واوضح أن هذه الوحدة تعني لديه اول ما تعني

وحدة النضال من أجل تخليص افريقيا من السيطرة الاجنبية .

وتعرض لومومبا للمشاكل الرئيسية التي يعاني منها الكونغو . فشرح حالة الخراب التي ترك فيها البلجيك خزينة الدولة وعمليات النهب التي تمت في الشهور القليلة التي سبقت الاستقلال ، وكيف سحب البلجيك الاطباء والمعلمين حتى يظهر عجز الحكومة الوطنية في الوقت الذي يتصور فيه كل مواطن كونغولي ان الاستقلال يعني أن تتحسن حالته ومستواه المعيشي فورا .

وشرح لومومبا موقف الامم المتحدة وخلافه مع السكرتير العام وقيادة قوات الامم المتحدة التي احتلت المطارات دون أن يطلب منها ذلك . ثم انها تغير القوات الافريقية التي يطمئن اليها والموجودة في بعض المناطق الحيوية وتضع بدلا منها قوات أوروبية لا يثق فيها . وقال لومومبا ان ذلك كله يتم دون علمه او استئذانه . وقال انه أصبح متأكدا من أن الامم المتحدة تعمل في مخطط يبغي ابقاء السيطرة البلجيكية على بلاده . وانها لا تريد المساعدة الحقيقية في انهاء الانفصال في اقليم كاتنجا ، وهاجم لومومبا السكرتير العام للامم المتحدة هجوما عنيفا ادركت معه ان العلاقة بينهما قد وصلت بالفعل الى نقطة اللاعودة .

وقال لومومبا انه لا يواجه الاستعمار والامم المتحدة فقط ولكن هناك شخصيات كونغولية رسمية تعمل لحساب الاستعمار وامريكا بالاتفاق مع قيادة الامم المتحدة ، وان هذا هو اخطر ما يواجهه في الوقت الحالي .

ورغم ان لومومبا لم يفصح عن أسماء هذه الشخصيات الا انني كنت اعلم انه يقصد كازافوبو رئيس الجمهورية . فقد كان الخلاف قد احتدم بينهما . فهدف كازافوبو البعيد هو اقامة حكومة اقليمية في « باكونجو » منطقة نفوذه . وهو لذلك يرتاح لوجود الاتجاهات الانفصالية في الكونغو وكان يدرك في قرارة نفسه ان نجاح تشومبي في الانفصال بكاتنجا يمكنه من تحقيق هذا الهدف .

وكان هذا الخلاف بين لومومبا وكازافوبو — يعيد الى الاذهان الخلاف القديم الذي كان قائما بين الزعيمين قبل الاستقلال مباشرة . فقد كان كازافوبو يطالب بأقامة حكومة فيدرالية على غرار حكومة نيجيريا تسمح للاقاليم بالتمتع بالحكم الذاتي . وكان ذلك يتمشى مع عقليته وطبيعته القبلية وهو أيضا ما كان يريده البلجيك . أما لومومبا فكان يريد دولة موحدة وحكومة على غرار حكومة الرئيس انكروما في غانا ، وهذا ما أستطاع ان يحققه لومومبا بالفعل عند الاستقلال ، وهو أيضا ما كانت تقاومه بلجيكا .

ورغم أن كازافوبو وقف مع لومومبا في بداية الازمة عندما قطعت حكومة لومومبا علاقاتها مع بلجيكا والغت معاهدة الصداقة التي كان قد اتفق عليها

وعقدت قبل الاستقلال مباشرة ، نجد تحولا واضحا في موقفه هذا بعد وصول قوات الامم المتحدة وتأييدها له . وتحالف كازافوبو من جديد مع المصالح البلجيكية والامريكية التي وجدت فيه أداتها للقضاء على لومومبا وأفكاره الثورية .

اما لومومبا فقد كان شخصية مختلفة تماما عن كازافوبو ، فهو عنيد الى أبعد الحدود ، لا يقبل الحلول الوسط . وكان لومومبا يطالب منذ عام ١٩٥٩ بنظام اقتصادي سليم لا يسمح بالاستغلال ، فاتهمه البلجيك بالشيوعية . كما كان دائب التصريح بضرورة التخلص من كل سيطرة اجنبية بما فيها الارساليات التبشيرية التي كان يطالب بضرورة ابعادها عن ميدان التعليم .

ومن مواقف لومومبا المعروفة خطابه الشهير عندما وقف يرد على ملك بلجيكا الذي كان قد القى كلمة بمناسبة الاحتفال باستقلال الكونغو في ليوبولدفيل ذكر فيها الاصلاحات التي قامت بها بلجيكا في الكونغو ، فرد عليه لومومبا مشيرا بكل وضوح الى ما فعلته بلجيكا بالكونغو والكونغوليين من قتل وتعذيب وسخرة وظلم جاوز كل الحدود ، وكانت هذه الكلمات بالنسبة لبلجيكا تجاسرا لا يغتفر .

كان هذا هو لومومبا . يريد كل شيء للكونغو ويطالب به في جراة وعناد وشجاعة نادرة ، ولكنه للاسف لم يكن على دراية كافية بألاعيب الاستعمار ودسائسه .

كان هذان الزعيمان ، كازافوبو وباتريس لومومبا ، نموذجين مختلفين ولكنهما صورتان متكررتان للزعمات التي وجدت في أفريقيا في ذلك الوقت . كازافوبو يمثل هؤلاء الذين اختاروا الطريق السهل واكتفوا بأعلام الاستقلال وللاسف كان هذا هو النموذج الاكثر تكرارا . اما النموذج الاخر من امثال لومومبا فقد كان قليلا نادرا في ذلك الوقت ، كان عبد الناصر وسكوتوري وانكروما ، كل من هؤلاء واجه ظروفا صعبة ، وكلهم يقاومون السيطرة الاجنبية بكل اشكالها في أصرار عظيم حتى أثاروا حفيظة الاستعمار وتكتلت ضدهم قوى الامبريالية . ولكن هذه النماذج على قلتها كانت قادرة على تعبئة الجماهير وراءها ، ليس في بلادها فقط ، وانما في القارة كلها لانها كانت تعبر عن اماني الشعوب الافريقية واستطاعت ان تعكس نبضها الحقيقي ، فالهبت المشاعر الوطنية واشعلت روح المقاومة في القارة كلها ، ولكنها لهذا السبب أيضا تعرضت لكثير من المخاطر والمؤامرات .

وأعود مرة ثانية لمقابلتي مع لومومبا ، فقد خرجت بانطباع جديد عن مدى الخطورة التي يتعرض لها لومومبا ، وخاصة لعبة الشرعية التي يحاول الاستعمار لعبتها للتخلص من زعيم الاغلبية وذلك بأستخدام كازافوبو رئيس

الجمهورية بدلا من استخدام القوة المباشرة .

وكان تطور الاحداث يؤكد خطورة الدور الذي يمكن ان تلعبه القوات التابعة للامم المتحدة اذا استمر السكرتير العام في موقفه المعادي للومومبا . وكان هذا ما نقلته لجمال عبد الناصر عند عودتي الى القاهرة وأبديت تخوفا من ان تستغل قواتنا الموجودة هناك والتابعة للامم المتحدة في غير ما ذهبت من اجله هذه القوات .

وفي هذه المقابلة ايضا طلب لومومبا مبلغا محددا (عشرين الف جنيه استرليني) بصفة عاجلة كسلفة لحزبه « حزب الحركة الوطنية الكونغولية » « M. N. C. » حيث كانت الظروف تحتاج الى تحريك بعض انصاره الى مناطق معينة لمواجهة التكتلات الاخرى ، وضرورة توافر المال اللازم لاعاشتهم والانفاق عليهم ، وقد أرسل عبد الناصر هذا المبلغ الى لومومبا بعد ايام قليلة مع السفير مراد غالب أول سفير لمصر في الكونغو .

وطلب لومومبا ايضا ان تمده مصر ببعض الخبراء والفنيين — الذين تم ارسالهم الى الكونغو فورا — واخيرا ابلغني لومومبا انه لن يدعو الى مؤتمر قمة افريقي في ليوبولدفيل الا اذا جاءت نتائج مؤتمر وزراء الخارجية مشجعة .

وقد تم خلال هذه المرحلة اقامة اتصال لاسلكي مباشر بين ليوبولدفيل والقاهرة بواسطة جهاز وصل معنا على نفس الطائرة . منذ ذلك الوقت بدأت العلاقة بين القاهرة وقوى التحرير الوطني في الكونغو بزعامة لومومبا تدخل مرحلة جديدة من الدعم والتأييد زادت بعد وصول السفير المصري مراد غالب . واستمرت هذه العلاقة بعد مقتل لومومبا ، وظلت القاهرة لفترة طويلة هي السند الرئيسي للثورة الكونغولية ونافذتها على العالم الخارجي .

مقتل لومومبا واندلاع الثورة :

عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الافريقية الذي دعى اليه لومومبا في ليوبولدفيل في المدة من ٢٥ — ٣١ اغسطس سنة ١٩٦٠ بقصد التحضير لمؤتمر قمة أفريقي لبحث مشكلة الكونغو ، وقد تحققت مخاوف عبد الناصر . فقد ظهر الانقسام بين الدول الافريقية قبل ان تبدأ جلسات المؤتمر حيث لم يحضر هذا الاجتماع سوى ١٤ وفدا فقط من بينهم وفد الحكومة المؤقتة

للجزائر ، وتغيبت معظم الدول الافريقية التي كانت تستعمرها فرنسا (حضرت منها الكاميرون وتوجو فقط) .

وكان معنى ذلك ان هذه الدول التي لم تحضر المؤتمر لا تؤيد لومومبا .

ومن بين الحاضرين كان هناك مجموعة ثورية من بينها مصر تعتبر مشكلة الكونغو مشكلة افريقيا كلها ، وان ما حدث في الكونغو يمكن ان يتكرر في اي دولة من دول القارة ، ولذلك كانت هذه الدول مستعدة لنحمل نصيبها في هذه المعركة باعتبارها معركة بين قوى التحرر من جانب وبين الاستعمار والامبريالية من جانب اخر ، كما كان في المؤتمر مجموعة دول اخرى وان كانت تتعاطف مع لومومبا وتؤيد وحدة اراضي الكونغو ، الا انها كانت لا تريد ان تزج بنفسها في هذا الصراع .

ورغم ان قرارات المؤتمر النهائية كانت مؤيدة للحكومة المركزية في الكونغو وادانت الحركة الانفصالية في كاتنجا ادانة صريحة ، الا ان هذا المؤتمر كان مخيبا لرجاء لومومبا . اولا لان تغيب الاغلبية العددية للدول الافريقية قد حال دون تحقيق الهدف الرئيسي من الاجتماع وهو الضغط على الامم المتحدة والسكرتير العام لتغيير سياسته في الكونغو . وعلى العكس من ذلك فأن النتيجة ربما تكون قد شجعت الامم المتحدة على التمادي في مخططها والوقوف بشكل سافر بجانب كازافوبو رئيس الجمهورية . وثانيا لانه اتضح جليا للومومبا انه لا يستطيع الحصول على المساعدة العسكرية المباشرة من الدول الافريقية حيث لم تجد الفكرة الحماس الكافي حتى بين الدول التي حضرت المؤتمر .

ورغم ان وزراء الخارجية اوصوا بعقد مؤتمر قمة للدول الافريقية قبل دورة الامم المتحدة التي تبدأ في سبتمبر ، الا ان لومومبا كان قد اقتنع بعدم جدوى ذلك وصرف النظر عن هذه الفكرة .

وبعد ايام من انتهاء وزراء الخارجية من مؤتمرهم الذي عقد في ليوبولدفيل في ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٠ على وجه التحديد — فوجىء العالم بقرار من كازافوبو رئيس الجمهورية يعزل فيه باتريس لومومبا رئيس الوزراء ويكلف ايليو رئيس مجلس الشيوخ بتأليف الوزارة .

ويبدو ان كازافوبو في قراره هذا كان معتمدا على تأييد موبوتو قائد الجيش وحاميته الموجودة في ليوبولدفيل ، كما كان كازافوبو يعلم ايضا ان القيادة العسكرية التابعة للامم المتحدة في الكونغو والتي كانت قواتها تحتل المطارات ودار الاذاعة الكونغولية سوف ترتاح لهذا القرار .

وقد رفض لومومبا زعيم الاغلبية البرلمانية هذا القرار واعتبره غير دستوري ، واقر البرلمان وجهة نظر لومومبا في رفض هذا القرار . ولكن الكولونيل موبوتو قائد الجيش (رئيس الجمهورية بعد ذلك) اعلن استيلاءه

على السلطة وحل البرلمان واعلن انه أنهى الخلاف القائم بين كازافوبو ولومومبا بطرد كليهما .

ثم سرعان ما وجدنا كازافوبو يعود من جديد ولكن في انسجام وتعاون كامل مع موبوتو ، كما وجدنا الامم المتحدة تتعامل مع كازافوبو وكأنها اعترفت بهذا الوضع الجديد رغم اعتراض لومومبا الذي استمر في موقعه مصرا على الاحتفاظ بالرئاسة للحكومة الشرعية .

واصبح في الكونغو سلطتان تدعى كل منهما الشرعية ، هذا بالاضافة الى السلطة العسكرية بقيادة موبوتو . وسرعان ما انتقل هذا الانقسام من الكونغو الى الدول الافريقية نفسها عندما أرسل كل من كازافوبو ولومومبا وفدا يمثل الكونغو الى الامم المتحدة . فقد انقسمت الدول الافريقية هناك الى مجموعتين الاولى ومنها مصر والدول الثورية تؤيد وفد لومومبا وتعتبره الوفد الشرعي والثانية ومعظمها من الدول الناطقة بالفرنسية وتؤيد وفد كازافوبو .

واخيرا جاء قرار الامم المتحدة باعتبار الوفد الاخير — وفد كازافوبو — هو الوفد الرسمي والممثل المعترف به لدولة الكونغو ليوبولدفيل . واصبح هناك وضعا غريبا ، فقد صوتت معظم الدول الافريقية التي لها قوات في الكونغو ومنها مصر ضد هذا القرار ولصالح وفد لومومبا . وكان معنى ذلك ان قوات هذه الدول موجودة في الكونغو لمساندة سلطة لا تعترف بها . اصبحت هذه القوات معرضة لان تقوم بتنفيذ سياسة تتعارض مع سياسة دولها وكان ذلك بطبيعة الحال مصدر قلق شديد لهذه الدول ، ومن هنا جاءت دعوة الملك محمد الخامس ملك المغرب لعقد مؤتمر يحضره رؤساء الدول الافريقية التي تؤيد لومومبا وذلك لبحث موضوع الكونغو بصفة اساسية .

وعقد مؤتمر الدار البيضاء في المدة من ٣ — ٧ يناير سنة ١٩٦١ وحضره الرئيس جمال عبد الناصر ، والملك محمد الخامس والرئيس الغاني كوامي انكروما والرئيس الغيني احمد سيكوتوري ، والرئيس المالي موديبوكيتا ، ورئيس حكومة الجزائر المؤقتة ، ووزير خارجية ليبيا ، كما أرسلت سيلان مراقبا . وقد اسفر هذا الاجتماع عن قيام تكتل سياسي افريقي جديد حيث وقع ميثاق منظمة الدار البيضاء وعرفت مجموعة هذه الدول بعد ذلك باسم مجموعة الدول الثورية . او دول الدار البيضاء .

وكان أهم ما اثار الجدل في هذا المؤتمر هو موضوع بقاء قوات هذه الدول في القوة العسكرية التابعة للامم المتحدة في الكونغو . فقد كانت كل من مالي وغينيا قد سحبت قواتها بالفعل بعد ان اتضح موقف الامم المتحدة من معاداة لومومبا . ولكن انكروما كان متحمسا لبقاء هذه القوات وعدم سحبها حتى لا يترك المجال خاليا امام اعداء لومومبا .

وفي الحقيقة كان عبد الناصر يميل في ذلك الوقت الى سحب القوات وخاصة ان شكوكه في القادة العسكريين لبعض هذه القوات كانت قد تأكدت. فالجنرال كتاني « Kottani » القائد المغربي كان مستشارا عسكريا لموبوتو قائد الجيش الذي أيد كازافوبو عندما عزل لومومبا . واتضح بعد ذلك ان هذا القائد كان على صلة مريبة بجهات امريكية وبلجيكية ، واثيرت كثير من الشكوك حول تواطؤه مع هذه الدول رغم سياسة المغرب الواضحة والتي كان في ذلك الوقت تقف مع لومومبا . ورغم ذلك فقد وافق عبد الناصر على ابقاء القوات بعض الوقت وذلك تحت الحاح انكروما . وكان ذلك ما اتفق عليه الرؤساء ولكنهم اعلنوا في قرارات المؤتمر عن نية الدول المجتمعة قواتها في سحب قواتها الموضوعة تحت قيادة الامم المتحدة في الكونغو ، الا اذا عدلت الامم المتحدة سياستها وقامت فورا بتأييد الحكومة المركزية في سحب الاسلحة من جيش موبوتو وتمكين البرلمان الكونغولي من العودة للاجتماع .

واستمر الصراع بين كازافوبو ولومومبا ، الاول تؤيده الامم المتحدة والجيش بقيادة موبوتو كما يؤيده البلجيك والاوروبيون الذي يسيطرون سيطرة فعلية على الجهاز الاداري ، اما لومومبا فقد أصبح وضعه في ليوبولدفيل غريبا هو وحكومته بعد ان فقد كل الخيوط التي يستطيع بها تصريف الامور داخل عاصمته ولكنه كان في نفس الوقت يتمتع بنفوذ قوى في استانلي فيل التي انتقلت اليها اعداد كبيرة من انصاره وكان هذا النفوذ هو مصدر قوته الذي يعتمد عليه أساسا .

وانقسمت السفارات في ليوبولدفيل ، بعضها يعترف بكازافوبو والبعض الاخر يعترف بلومومبا ، ومن بين هذه المجموعة الاخيرة دول الدار البيضاء بطبيعة الحال ، والتي كان سفراءها على صلة مستمرة ببعضهم البعض ويقومون بتقديم المشورة والعون للومومبا وحكومته .

وكان لومومبا قد طلب من القاهرة مستشارين عسكريين ، فبعثنا اليه اثنين من الضباط الاركان حرب هما العميد احمد اسماعيل (المشير ووزير الحربية بعد ذلك) والمقدم ممدوح جبه (السفير بعد ذلك) ولكنهما الحقا على السفارة المصرية في ليوبولدفيل .

وكانت الاوامر لدى القوة المصرية التابعة للامم المتحدة في الكونغو هي تنفيذ تعليمات القيادة العسكرية للامم المتحدة الا فيما يضر بموقف لومومبا حيث كانت مصر على أستعداد لسحب قواتها فورا اذا شعرت بأن قواتها ستستخدم ضد لومومبا بأي شكل . وكان وجود المستشارين العسكريين في ليوبولدفيل وعلى صلة بلومومبا وبقواتنا في الكونغو في نفس الوقت هو الضمان لتنفيذ هذه التعليمات . ولم يحدث ان كلفت قواتنا بأي شيء يثير

الشكوك ، ولكن الامم المتحدة أيضا كانت حريصة على ان تضع القوات المصرية في اماكن وتكليفها بمهام لا تستطيع من خلالها تقديم اي عون مباشر للومومبا .

اما موقف الامم المتحدة بصفة عامة فقد استمر معاديا للومومبا ومتعاطفا مع كازافوبو . فعلى سبيل المثال احتلت الامم المتحدة الاذاعة الكونغولية (بواسطة قوات اوروبية) وحرمت كلا الطرفين لومومبا وكازافوبو واعوانهما من استخدام هذه الاذاعة . حدث ذلك في الوقت الذي كانت الامم المتحدة تعلم جيدا أن كازافوبو يستخدم اذاعة برازافيل التي لا يفصلها عن ليوبولدفيل سوى نهر الكونغو . وعلى ذلك فقد كان هذا الاجراء موجها ضد لومومبا وحده الذي حرمته الامم المتحدة من وسيلة الاتصال السريع بالجماهير من خلال الاذاعة في الوقت الذي لم تتأثر فيه مصالح كازافوبو . وحدث ايضا ان احتلت قوات الامم المتحدة المطارات ومداخل ومخارج المدينة وقطعت الاتصال بين العاصمة والاقاليم فعزلت لومومبا عن منطقة نفوذه وعن اعوانه الموجود غالبيتهم خارج العاصمة فتركت لومومبا وحيدا في العاصمة في الوقت الذي بقي فيه كازافوبو بين مؤيديه في داخل العاصمة .

وأخيرا وجد لومومبا ان بقاءه في ليوبولدفيل اصبح مستحيلا فأراد الانتقال الى استانلي فيل حيث يوجد انصاره وحيث يستطيع ان يجد حرية العمل . وكان عليه ان يخترق الحصار الذي فرضته عليه قوات كازافوبو ، ولكن كازافوبو تمكن من القبض على لومومبا في ١٧ يناير سنة ١٩٦١ وهو يحاول الهرب الى استانلي فيل وكان ذلك بواسطة قوات موبوتو . ثم امر كازافوبو بتسليم الزعيم لومومبا الى اعدائه مويس تشومبي قائد الانفصال في كاتنجا . وقام تشومبي بقتل لومومبا على الفور ثم ادعى انه هرب من سجنه .

وبعد فترة قصيرة اصدر تشومبي بيانا سخيفا لم يصدقه احد . فقد اعلن ان القرويين الغاضبين على لومومبا قد هاجموه واردوه قتيلا . وتصور كازافوبو وتصور تشومبى معه انهما بذلك قد تخلصا من مشكلة الشرعية التي كان ـ يستند اليها لومومبا وأن الامر قد استتب لهما ان هما اتفقا .

ولكن الامر سار على غير هواهما ، فقد تمكن عدد من وزراء لومومبا ومعاونيه من الوصول الى ستانلي فيل . وبدأ جيزنجا نائب رئيس الوزراء وأحد المخلصين للومومبا في تنظيم اللومومبيين وتنظيم المقاومة في انحاء كثيرة من الكونغو . وظهرت الميليشيا التابعة للثورة واشتعلت المشاعر الوطنية في الكونغو وقامت ثورة حقيقية كرد فعل لمقتل لومومبا . واعتبر الثوار الكونغوليين ان الشرعية انتقلت من لومومبا الى نائبه جيزنجا وهي وان لم تكن شرعية دستورية فهي بكل تأكيد شرعية ثورية .

رد عبد الناصر على مقتل لومومبا :

اصبح لومومبا بعد مقتله رمزا للثورة والوحدة الوطنية ، ليس في الكونغو فقط ، ولكن في افريقيا كلها بعد ان هز هذا الحدث وجدان الشعوب الافريقية كلها وعمق فيها الاحساس بالتمرد والكراهية ضد الاستعمار والامبريالية .

وما زلت اذكر - كما يذكر الكثيرون غيري بكل تأكيد - منظر لومومبا وهو يساق الى حتفه ، وكانت شاشات التليفزيون قد عرضت فيلما استطاع احد المصورين التقاطه للومومبا بعد القبض عليه ، كان مقيد اليدين يدفعه حراسه ويضربونه بكعوب بنادقهم فيسقط على الارض ثم يجذبونه من شعر راسه ليقف فيلاقي الضرب والركل من جديد . ولكن نظرات لومومبا وملامح وجهه كانت تعكس كل معاني التحدي والشموخ والكبرياء ، وان كان قد بدا على شاشات التليفزيون صامتا مستسلما لمصيره . وفي هذه اللحظات التي كنت اشاهد فيها هذه المأساة ، كنت اشعر اكثر من اي وقت مضى بالاعجاب والتقدير لهذا الرجل العظيم الذي استطاع ان يجسد معنى الاصرار والتضحية من اجل تحقيق الاهداف السامية التي يؤمن بها الانسان . وكان هدف لومومبا هو الاستقلال الكامل لبلاده وانهاء السيطرة الاجنبية والاحتفاظ بوحدة الاراضي الكونغولية .

ان مقتل لومومبا الذي اعتبر في ذلك الوقت انتصارا كبيرا لتشومبي وكازافوبو والقوى التي كانت تحركهما ، لم يكن الا انتصارا مؤقتا فقط . فقد كان مقتل لومومبا في حقيقة الامر وقودا للحركة الوطنية في الكونغو ومبررا لكثير من الدول - ومنها مصر - لكن تعلن عن وقوفها مع حكومة جيزنجا وتأييدها لها وللحركة اللومومبية وان تقدم لها كل المساعدات الممكنة بدلا من المساعدات المحدودة التي كانت تقدم للومومبا على استحياء حتى لا تتجاوز هذه المساعدات الحدود الى ما يمكن اعتباره تدخلا في الشئون الداخلية للكونغو . فمهما كانت النظرة السابقة لشرعية وضع لومومبا قبل مقتله ، فقد كان من الصعب تجاهل شرعية كازافوبو .

وكرد فعل لمقتل لومومبا سحبت دول كثيرة - ومنها مصر - اعترافها بحكومة ليوبولدفيل واعترفت بحكومة ستانلي فيل باعتبارها الحكومة الشرعية . اما رد الفعل الشعبي فقد كان عنيفا في معظم عواصم العالم . فقد هوجمت السفارات البلجيكية في باريس ولندن وبلغراد وطوكيو وموسكو، كما هوجمت في القاهرة حيث زحفت الجماهير الغاضبة معتدية على مبنى السفارة وادى ذلك الى قطع بلجيكا لعلاقاتها مع مصر .

وفور مقتل لومومبا قرر جمال عبد الناصر سحب القوات المصرية

التابعة للامم المتحدة في الكونغو . كما عين سفيرا لمصر في استانلي فيل هو السيد ممدوح جبه الذي كان عليه ان يقوم هو وطاقم سفارته بمغامرة مثيرة للوصول الى مقر عمله . فلم يكن امامه الا اتخاذ الطريق البري من جنوب السودان والمرور بمناطق لم يكن معروفا وقتها مدى سيطرة حكومة جيزنجا عليها . وهكذا كانت السفارة المصرية من اول السفارات التي تواجدت في استانلي فيل واستطاعت هذه السفارة ان تقوم بدور هام في مساعدة الحركة الوطنية هناك بقيادة جيزنجا . واقامت السفارة اتصالا لاسلكيا بين استانلي فيل والقاهرة بمجرد وصول السفير ، وكانت بذلك — ولفترة طويلة — وسيلة حكومة الثورة في الاتصال بالخارج .

ووصل الى القاهرة بعد مقتل لومومبا مباشرة احد الزعماء الكونغوليين البارزين وهو بيير موليلي الذي كان وزيرا للتربية والتعليم في حكومة لومومبا. وكان موليلي مع لومومبا عندما قبض عليه وهو يحاول مغادرة ليوبولدفيل ولكن موليلي استطاع ان يفلت من الاعتقال كما استطاع الوصول الى استانلي فيل . وحضر موليلي الى القاهرة على راس لجنة ثورية كلفت بالاقامة في العاصمة المصرية لتكون حلقة الاتصال بين حكومة الثورة في استانلي فيل والعالم الخارجي كما كانت هذه البعثة مكلفة باعداد كل ما يلزم الثورة من الخارج . وكان موليلي يستقبل الوفود الاجنبية والسفراء الذين لم يكن من السهل عليهم القيام بهذا الاتصال في استانلي فيل نفسها .

واصبحت القاهرة القاعدة الاساسية التي ترتكز عليها الثورة الكونغولية سواء في تدريب الكوادر العسكرية والامداد بالسلاح او التحرك الدبلوماسي او الاعلامي ، وخصصت اذاعة موجهة من القاهرة الى الكونغو كانت تذيع باللغات الرسمية للبلاد ، وكان لهذه الاذاعة دورا هاما في تعبئة الشعور الوطني في الكونغو .

وكان طبيعيا ان تختار الثورة الكونغولية القاهرة لتجعل منها قاعدة ارتكازها حيث كانت مصر في ذلك الوقت اهم قاعدة للنضال الثوري في افريقيا وتساند جميع حركات التحرير الافريقية وفي مقدمتها الثورة الجزائرية ، وفي ذلك الوقت ايضا لم تكن العواصم المحيطة بالكونغو بقادرة على تقديم العون للثورة ، فتنجانيقا واوغندا لم يكونا قد حصلا على استقلالهما بعد . اما برازافيل القريبة من ليوبولدفيل فكان بها حكم شديد الرجعية برئاسة الاب بولو . وهذا يجعلنا ندرك اهمية الدور الذي لعبته القاهرة في مساندة الثورة الكونغولية .

ولم يكن هذا هو رد الفعل الوحيد الذي قام به عبد الناصر بعد مقتل لومومبا . فقد اعلن عبد الناصر عن تأميم المصالح والاموال البلجيكية في مصر. وقد جاء هذا القرار ردا بليغا من جانب عبد الناصر باعتبار ان المسئولية

الاولى عن احداث الكونغو ترجع الى الاحتكارات الراسمالية هناك . والتي هي اوربية امريكية وان كانت بلجيكية في معظمها . وهي ايضا التي لعبت دورا خطيرا في نهب الكونغو وتخريب اقتصاده وتوصيل هذه البلاد الغنية الى حافة الهاوية .

وقد ظهر هذا الدور التخريبي بوضوح قبل وعقب الاستقلال مباشرة ، فقد كانت الادارة البلجيكية في الكونغو قبل الاستقلال تمتلك جزءا كبيرا من راس مال الشركات والمشروعات الخاصة، وهو وضع ورثته الادارة البلجيكية منذ كان الكونغو ملكا خاصا للملك ليوبولد الثاني . كما كان هناك كثير من الاجهزة ذات الطابع الشبه حكومي تستطيع عن طريقها الحكومة ان تؤثر في الاقتصاد الكونغولي وتوجهه . كما كانت الحكومة تتمتع ببعض الحقوق التي تزيد من قدرتها في توجيه الاقتصاد مثل حق ترشيح مجالس الادارات وحق التصويت عند اختيارهم وذلك حتى في المشروعات التي لم تكن الادارة البلجيكية تساهم في رؤوس اموالها .

ورغم هذه السلطات الواسعة التي كانت تتمتع بها الادارة في الكونغو فقد كانت الشركات الكبرى بدورها تسيطر على الادارة البلجيكية نفسها سيطرة شاملة بعد ان تمكنت هذه الشركات من ان تخصص مزايا مادية ضخمة لممثلي الدولة من البلجيك فأصبحوا بذلك تحت أمرتها .

وقبل استقلال الكونغو مباشرة خشيت الشركات ان تنتقل تلك السلطات الى الحكومة الافريقية الجديدة والتي قد يصعب السيطرة عليها بنفس الطريقة ، فعجلت هذه الشركات بمناورتها حتى تمنع الشعبالكونغولي من ان يسيطر على ثرواته وامكن هذه الشركات الموجودة ان تحمل الحكومة البلجيكية على اتخاذ العديد من الاجراءات بقصد حرمان الحكومة الوطنية الجديدة من ادوات السيطرة القوية على اقتصاديات الكونغو .

ولايضاح هذه الصورة نذكر على سبيل المثال شركة C. N. K. I. وكان يطلق عليها اسم « اللجنة الوطنية لكيفو » وكانت مؤسسة شبه حكومية تمتلك الكثير من العقارات والمناجم والاراضي الواسعة . وفي ٣٠ مايو ١٩٦٠ اي قبل الاستقلال بشهر واحد صدر مرسوم تم بمقتضاه انهاء وضع حكومة الكونغو البلجيكي كشريكة في الامتياز بانسحابها وتنازلها عن حقها في المؤسسة .

وهكذا بجرة قلم فقدت الشركة وضعها كمؤسسة شبه حكومية ، وقرر حملة اسهمها تحويلها الى شركة مساهمة عامة بأسم « شركة كيفو البلجيكية الافريقية » .

وقد حدث نفس الشيء بالنسبة لشركة C. S. K. التي كانت ايضا مؤسسة شبه حكومية تمتلك غالبية اسهم اتحاد المناجم الشهير . وكان من

حق هذه الشركة التي تسيطر عليها الحكومة تعيين المجلس الاداري لاتحاد المناجم وتعيين عدد من المديرين ، وفي ٢٧ يونيو ١٩٦٠ – اى قبل اعلان الاستقلال بثلاثة ايام – صدر مرسوم يقضي بحل هذه الشركة وتقسيم اصولها بين شركتين من بينهما شركة كاتنجا . ومنح نفس المرسوم شركة كاتنجا فوائد ومزايا اضافية ضخمة ، واستولت هذه الشركة بناء على ذلك على ثلث الاراضي التي استصلحتها شركة C. N. K. I. كما استولت على عقاراتها واموالها في المصارف ، كما استولت ايضا على حق حصولها على ثلث الايجارات التي كان ينتظر ان تحصل عليها شركة C. S. K. من امتيازات التعدين في المستقبل .

وهكذا تمكن البلجيكيون بالاعيب بهلوانية ومناورات وتحايل ، يدخل في عداد النصب ، من حل الشركات شبه الحكومية وحرمان الحكومة الوطنية من الكثير من الامتيازات التي كانت ستمكنها على الاقل من الاشتراك فى توجيه الاقتصاد القومي للكونغو .

لقد ارادت بلجيكا ان تكون السلطة الحقيقية والسيطرة الكاملة لراس المال والشركات ، وبذلك تستمر سيطرتها الفعلية على البلاد وان تغير وجه الحكومة بعد رفع اعلام الاستقلال .

ويلاحظ ان بلجيكا والشركات الاجنبية في الكونغو عملت على جذب المزيد من رؤوس الاموال الامريكية للمساهمة في الاستثمارات الكونغولية وذلك قبل الاستقلال مباشرة .

فقد حصل بنك امريكا منذ عام ١٩٦٠ على ٢٠ ٪ من مجموعة بنك لامبرت (سوكوبانك) ، وقام فورد بتأسيس شركة فورد موتورز بالكونغو وقام عام ١٩٦٠ ايضا باستغلال منجم الكلور الحراري . وقد قام روكفلر بجولة في الكونغو عام ١٩٥٩ قامت جماعته بعدها مباشرة بشراء ١٠٣٠ سهما من اسهم شركة البحوث والتنقيب عن البوكسيت في الكونغو (بوكسيكونجو) وفي يونيو ١٩٦٠ اعلن على عزمه شراء ٨ ٪ من راس المال البالغ ٦٥ مليون دولار الخاص بشركة الكونغو للتجارة الصناعية . هذا علاوة على نشاط شركة « يور افريكان الامريكية » وشركات استثمار امريكية اخرى بدا نشاطها في الشهور القليلة قبل استقلال الكونغو .

وهكذا وجد التشابك في المصالح الراسمالية البلجيكية والامريكية علاوة على المصالح الاوربية الاخرى الموجودة من الاصل وخاصة في اتحاد المناجم الذي توجد فيه نسبة كبيرة لراس المال البريطاني . وهذا بالاضافة الى الشبكة المعقدة التي تربط بين المصالح المصرفية في اوربا وامريكا وبين المشروعات الصناعية في افريقيا . وبذلك اصبح للولايات المتحدة الامريكية هي الاخرى مصلحة ذاتية في حماية واستمرار سيطرة هذه الاحتكارات

والشركات على مقدرات الكونغو .

ولم تكتف السلطات البلجيكية بذلك وانما اتخذت عدة اجراءات من شأنها ان تجعل الكونغو غير قادرة على الاستغناء عن معونة بلجيكا المالية . ومن هذه الاجراءات سحب مبالغ ضخمة من رؤوس الاموال الموجودة في الكونغو . وقد تعرض الرئيس كوامي نكروما في كتابه « الاستعمار الجديد آخر مراحل الامبريالية » الى الكثير من هذه الاجراءات التي ادت الى تخريب الاقتصاد الكونغولي قبل الاستقلال مباشرة . فعندما تسلم لومومبا الحكم كانت خزينة البلاد خاوية ومثقلة بالتزامات كثيرة ، والاسواق المحلية خالية من كثير من السلع والاحتياجات الضرورية كما كانت الشركات والمؤسسات الاجنبية تمتلك ثروة البلاد وتتحكم فيها .

لذلك كله جاء تأميم عبد الناصر للمصالح البلجيكية في مصر بأعتبارها رمزا للاحتكارات الرأسمالية في الكونغو . وكان ذلك يعني ادانة هذه الاحتكارات وتحميلها مسئولية ما حدث في الكونغو . وقد اراد عبد الناصر ايضا ان يلفت انظار العالم والدول الافريقية على وجه الخصوص الى خطورة الاحتكارات الرأسمالية ودورها في خدمة الاستعمار . وجاء هذا التأميم دعوة في نفس الوقت الى ضرب هذه الاحتكارات باعتبارها اداة من أدوات الاستعمار .

عودة الحكم المركزي وانهاء الانفصال في كاتنجا :

في فبراير سنة ١٩٦١ تقدمت مصر التي كانت تشترك وقتئذ في عضوية مجلس الامن مع كل من سيلان وليبيريا ، بمشروع قرار الى المجلس يخول قيادة الامم المتحدة في الكونغو .. استخدام القوة اذا كان هذا ضروريا كملاذ أخير ... « وذلك بقصد تحقيق وحدة الكونغو » . وقد وافق مجلس الامن على هذا القرار بعد جهد شاق ونشاط واسع قامت به الدول الافريقية الثورية والدول التقدمية في الامم المتحدة . وقد ساعد ايضا على استصدار هذا القرار ان كينيدي كان قد استقر في البيت الابيض وبدأت الولايات المتحدة تراجع سياستها الافريقية لتكون اكثر واقعية .

ورغم صدور هذا القرار الا انه مضت فترة دون ان تبدو اي بادرة من الامم المتحدة لتنفيذه . وفي نفس الوقت كانت هناك محاولات تؤيدها بلجيكا والمؤسسات الرأسمالية في الكونغو للتقريب بين تشومبي وكازافوبو على

حساب استانلي فيل بطبيعة الحال .

ففي مارس ١٩٦١ عقد مؤتمر مائدة مستديرة في تناناريف (عاصمة مدغشقر) حضره كل من كازافوبو وتشومبي والرئيس سيرانانا رئيس جمهورية مدغشقر بدعوة من الاخير . واعلن عقب هذا الاجتماع عن الموافقة على قيام اتحاد كونفيدرالي في الكونغو . وكان معنى ذلك تأكيدا لانفصال كاتنجا والتسليم لتشومبي بذلك .

وقد اثارت هذه المناورات هجوما عنيفا على السكرتير العام للامم المتحدة لتقاعسه عن استخدام القوة في انهاء انفصال كاتنجا . ففي نفس الشهر عندما اجتمع المؤتمر الثالث لكل الشعوب الافريقية في القاهرة (المدة من ٢١ ـ ٢٥ مارس ١٩٦١) والذي اشتركت فيه جميع التنظيمات والاحزاب الثورية في افريقيا ، كما حضرته جميع حركات التحرير الافريقية ، كان موضوع الكونغو وموقف الامم المتحدة في مقدمة الموضوعات التي بحثها المؤتمرون . وصدر بيان يدين السكرتير العام للامم المتحدة داج همرشولد ويعتبره مسئولا عن مقتل لومومبا بجانب كازافوبو وتشومبي وبوتو .

وفي مقابل هذا التيار الثوري المؤيد للثورة الكونغولية ظهر تكتل آخر يخشى هذا المد الثوري ويعمل على وقفه . فقد اجتمعت عشرون دولة افريقية في منروفيا (مايو ١٩٦١) وكان اهم الموضوعات التي بحثت في هذا الاجتماع موضوع التدخل في الشئون الداخلية للدول الاعضاء وذلك بقصد وقف المساعدات التي تقدم لحكومة الثورة في استانلي فيل واعتبار هذه المساعدات تدخلا في شئون الكونغو الداخلية .

وكان حماس كثير من الرؤساء المشتركين في مؤتمر منروفيا لهذا الموضوع راجعا الى وجود معارضة قوية داخل دولهم ، وخوفهم من اندلاع الثورة على غرار ما حدث في الكونغو ، خاصة ان بعض هذه الدول مثل النيجر والكاميرون كانت المقاومة فيها منظمة وعلى صلة بالقوى التقدمية الثورية في العالم باعتبارها التنظيمات الرئيسية التي كانت تقف في وجه الاستعمار الفرنسي قبل الاستقلال والتي كانت في تقدير الكثيرين ما زالت تتمتع بتأييد الاغلبية في بلادها .

وهكذا جاء مولد تكتل جديد في افريقيا وهو ما اطلق عليه مجموعة منروفيا ، تؤيد كازافوبو وتقف في مواجهة مجموعة الدار البيضاء التي تؤيد ثوار استانلي فيل . المجموعة الاولى تضم الحكومات المحافظة التي تهادن الاستعمار والثانية تضم الحكومات التي تقود الثورة الافريقية ضد الاستعمار الامبريالي .

ورغم الانقسام الذي حدث بين دول افريقيا بالنسبة لقضية الكونغو الا ان احدا منها لم يؤيد تشومبي حتى ذلك الوقت . فلم يكن هناك من

يستطيع ان يقف علنا بجانب فكرة الانفصال ، فهو أمر يهدد الكثير من الدول الافريقية الحديثة الاستقلال ، والتي ما زالت مجتمعانها قبلية ، كما ان تشومبي كان قد اصبح مدفوعا بالخيانة ووجها كريها امام الشعوب الافريقية كلها .. وحتى اتفاق المائدة المستديرة الذي تم بين كازافوبو وتشومبي بحضور رئيس جمهورية مدغشقر كان قد نسفه اجتماع آخر لاحق بعد شهرين اثنين .

وقد ازداد موقف الامم المتحدة حرجا في الكونغو بعد صدور قرار مجلس الامن بتخويل المنظمة الدولية حق استخدام القوة خاصة وانه كان قد مضى على وجود قواتها هناك وقت طويل دون ان تتمكن من تحقيق الاهداف التي ذهبت من اجلها بل ان الموقف ازداد سوءا . فبعد ان كان الانقسام في كاتنجا فقط — عندما ذهبت قوات الامم المتحدة الى الكونغو — اصبح هناك ثلاث حكومات في استانلي فيل وليوبولدفيل والكيزابث فيل (عاصمة كاتنجا) ثم ان اصابع الانهام بدأت نتجه الى همرشولد السكرتير العام باعتباره متقاعسا ان لم يكن متواطئا .

وبأزدياد ضغط الدول التقدمية على الامم المتحدة لتنفيذ قرار مجلس الامن اصبح من غير المكن تجاهل هذا القرار . ومن هنا ظهرت فكرة التوفيق بين انصار لومومبا في استانلي فيل بقيادة جيزنجا وبين كازافوبو على حساب تشومبى بأعتبار ان ذلك امر ضروري للتمهيد لاستخدام القوة لانهاء الانفصال في كاتنجا . وكان ذلك تحولا هاما في سياسة الامم المتحدة . شجعتا الدول الافريقية بمجموعتيها بل وأشتركت دول أفريقية في هذه الوساطة وبذلت جهودها من أجل التقريب بين الاطراف .

وفي ٢ اغسطس سنة ١٩٦١ اجتمع البرلمان الكونغولي بعد توحيده وانتخب سيول أدولا رئيسا لحكومة الكونغو المركزية ، كما انتخب جيزنجا زعيم الثوار في استانلي فيل نائبا لرئيس الوزراء .

وأنتهت بذلك الازدواجية بين ليوبولدفيل واستانلي فيل . واصبح هناك حكومة مركزية يؤيدها اللومومبيون ولكنهم لا يرأسونها وبقى تشومبى وحده داعية الانفصال في كاتنجا والعميل الاول لبلجيكا والاحتكارات الاجنبية .

وجدت حكومة ليوبولدفيل المركزية ترحيبا من جميع الدول الافريقية وعملت دول الدار البيضاء على دعوة الحكومة الجديدة لحضور مؤتمر عدم الانحياز الاول الذي عقد في بلغراد على مستوى الرؤساء في المدة من ١ — ٦ سبتمبر سنة ١٩٦١ كدليل على ثقتها في هذه الحكومة . وذهب الى بلغراد كل من سيرل ادبولا رئيس الوزراء وانطوان جيزنجا نائب رئيس الوزراء . والقى كل منهما خطابا امام المؤتمر والتقى عبد الناصر بالزعيمين في بلغراد كل

على أنفراد . وكانت أحاديثهما توحي بكثير من التفاؤل كما أبدى كل منهمـــا ارتياحه للمصالحة الوطنية .

بعد قيام الحكومة المركزية في ليوبولدفيل باشتراك جيزنجا وترحيـــب اللومومبيون بالمصالحة ، قامت مصر باغلاق سفارتها في استانلي فيل ونقلها الى ليوبولدفيل وأصبح تعاملنا مع الحكومة المركزية وفي نطاق العلاقـــات العادية .

واسرعت حكومة الكونغو من جانبها باقامة تمثيل لها في القاهرة . وقمنا بتصفية جميع العلاقات العسكرية التي كانت قائمة مع التنظيمات الثوريـــة في الكونغو . واوقفنا كل نشاط اخر يمكن ان يثير شكوك الحكومة الجديدة في ليوبولدفيل وذلك لرغبتنا في اتاحة الفرصة كاملة لنجاح المصالحة الوطنية.

وكانت حكومة الثوار في استانلي فيل قد نقلت كمية كبيرة من الذهب الى القاهرة لمواجهة المصروفات المتزايدة لتوفير احتياجاتهما من الخارج .. وقد تم ايداع هذه الكمية من الذهب في البنك المركزي المصري في القاهرة باسم حكومة الكونغو . وفتح حساب بضمان جزء من هذا الذهب بأسم البعثـــة الكونغولية في القاهرة برئاسة موليلى وذلك للانفاق منه حسب متطلبـــات حكومة الثورة .

وبعد المصالحة الوطنية تم تسليم كمية الذهب المودعة في القاهـــرة للحكومة الجديدة في ليوبولدفيل عدا الجزء المحتجز مقابـــل المسحوبات . وأبدت القاهرة في نفس الوقت استعدادها لتسليم هذا الجزء المحتجز ، اذا قامت حكومة الكونغو بسداد المبالغ المسحوبة وفوائدها او بيع هذا الجزء — اذا رغبت حكومة الكونغو في ذلك على ان يعاد أي فائض الى حكومـــة الكونغو بعد تسداد استحقاقا البنك .

وقد أعترض موليلى في بادىء الامر وطلب ان يبقى الذهب كله فـــي القاهرة لحساب الثوار احتياطا لما قد تتطور اليه الامور ، ولكن جمال عبـــد الناصر رفض باعتبار ان هذا الذهب هو ملك لشعب الكونغو جاء بأســـم الحكومة التي كنا نعترف بها ، اما وقد اصبح في الكونغو حكومة واحـــدة يعترف بها الثوار انفسهم فيجب أن يعود الذهب فورا الى هذه الحكومـــة التي نعترف نحن ايضا بها .

وسويت الحسابات بالفعل بعد فترة من الزمن ولكن بعد أن كانـــت الفوائد قد اوصلت الدين الى الحد الذي غطى فيه قيمة الجزء من الذهب المحتجز كله، وكان قد زاد عنه بمبلغ بسيط. وكانت التسوية بأن تنازلت حكومة الكونغو عن هذا الجزء من الذهب للبنك المركزي المصري مقابل الديـــن ، وتنازل البنك عن الفرق بين ثمن الذهب والدين بعد تراكم الفوائد ومـــا زال البنك المركزي في القاهرة يحتفظ بكل الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع .

وبعد أن تدعم موقف الحكومة المركزية اصبحت الامور مهيأة لتقـــوم الامم المتحدة باستخدام القوة لتعيد سيطرة هذه الحكومة على اقليم كاتنجا . وفي ديسمبر ١٩٦٢ قامت قوات الامم المتحدة باحتلال الاقليم وانتهت بذلـك قصة الانفصال في اقليم كاتنجا وعادت الى الكونغو وحدته ولكن بعد ان كان همرشولد قد فقد حياته اثناء عمليات الامم المتحدة وذلك في حـادث طائـرة اكتنفه كثير من الغموض . وهكذا شاء القدر للسكرتير العام الذي كاد ان يفقد سمعته بسبب عدم استخدامه القوة في اقليم كاتنجا ، ان يفقد حياتـه عندما استخدم هذه القوة وحقق المهمة التي كلفه بها المجتمع الدولي .

وبأنتهاء الانفصال في كاتنجا وعودة الوحدة الى الاراضي الكونغولية ، زالت أهم الاسباب التي قسمت افريقيا الى مجموعتين ، مجموعة منروفيـا ومجموعة الدار البيضاء . وكانت الجزائر قد حصلت على استقلالها وبذلك اصبح من الممكن عقد مؤتمر قمة يضم جميع الدول الافريقية المستقلة .

واجتمع ثلاثون رئيس دولة افريقية في أديس ابابا حيث وقعوا ميثـاق الوحدة الافريقية التي قامت بمقتضاه منظمة الوحدة الافريقية في ٢٥ مايـو سنة ١٩٦٣ . ولم يثر موضوع الكونغو في هذا الاجتماع فقد تحقق لمجموعة الدار البيضاء ما ارادته بالنسبة لانهاء الانفصال في كاتنجا وعودة الوحـدة للاراضي الكونغولية . كما أن مجموعة منروفيا كانت راضية هي الاخـرى لوقف تدفق الاسلحة والمساعدات للثوار في الكونغو وأيضا لبقاء كازافوبـو رئيسا لجمهورية الكونغو الموحدة .

اشتعال الثورة الكونغولية من جديد :

بعد انتهاء الانفصال في كاتنجا ، كان هناك اعتقاد بأن ازمة الكونغـو قد انتهت كمشكلة افريقية ، وان ما تبقى من خلاف او صراع بين الزعمـاء الكونغوليين انما هو من شؤون الكونغو الداخلية .

وفي غمرة الابتهاج بعودة الوحدة للاراضي الكونغولية والترحيـب الكبير الذي استقبلت به في جميع انحاء القارة الافريقية ، قام ادولا بأخراج جميع انصار لومومبا من حكومته .

ومرت فعلة أدولا هذه دون رد فعل يذكر سواء داخليا أو خارجيا لان سقوط تشومبى وخروجه الى منفاه الاختياري في أوروبا قلل من اهميـة هذه الخطوة رغم انها كانت في واقع الامر نقضا صارخا لروح اتفاق المصالحة الوطنية بين اللومومبيين وكازافوبو الذي تم في أغسطس سنة ١٩٦١ والذي

أتى بأدولا الى الحكم .

ولكن الامور لم تقف عند هذا الحد ، ففي سبتمبر عام ١٩٦٣ قام كازافوبو رئيس الجمهورية بحل البرلمان الكونغولي وفي اليوم التالي اجتمعت الاحزاب اللومومبية في ليوبولدفيل وأدانت حل البرلمان ، وشكلت تنظيما جديدا يضم هذه الاحزاب اطلق عليه اسم « المجلس الوطني للتحرير » Conseil National de Libération وانتقل قادة هذا التنظيم الجديد الى برازافيل التي لا يفصلها عن ليوبولدفيل سوى نهر الكونغو .

واشتعلت الثورة من جديد في الكونغو ، وظهرت حرب العصابات . وكانت البداية في اقليم « كويلو » بقيادة الزعيم « بيير موليلى » الذي سبق له الاقامة في القاهرة على رأس بعثة ثورية في الفترة التي اعقبت مقتل لومومبا وطوال بقاء حكومة جيزنجا في استانلى فيل وكان قد غادر القاهرة عائدا الى بلاده بعد قيام حكومة أدولا المركزية .

وبنهاية عام ١٩٦٣ كانت حرب العصابات قد انتشر في اماكن كثيرة من الكونغو . واستطاع الثوار الكونغوليين تحقيق أنتصارات كثيرة في الشهور الاولى من عام ١٩٦٤ وامكن لهم السيطرة على اجزاء كبيرة من الكونغو . وكانت قاعدة ارتكازهم هذه المرة وحتى ذلك الوقت هي برازافيل حيث كان الحكم قد تغير هناك بقيام الثورة على حكم الاب يولو وقيام حكم وطنى بزعامة ماسيمباديبا وكان من السهل تدفق الامدادات والمساعدات المطلوبة للثورة عبر نهر الكونغو .

وفي الوقت الذي كانت فيه الثورة تحقق نجاحا مستمرا وتسيطر كل يوم على أراضي ومناطق جديدة ، بدأ تالحكومة البلجيكية بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية في سلسلة من المناورات السياسية التي كانت تبشر باستعدادها للتدخل من جديد في شؤون الكونغو بقصد عرقلة تقدم الثوار وفرض الاوضاع التي تلائم مصلحة هذه الدول . وظهر ذلك جليا عندما استطاعت الولايات المتحدة ان تؤخر تاريخ انسحاب القوات التابعة للامم المتحدة في الكونغو — والتي كانت قد انتهت مهمتها هناك — ولمدة ستة شهور تنتهي في ٣٠ يونيو ١٩٦٤ وذلك عن طريق نفوذها وضغطها المستمر داخل المنظمة الدولية .

وفي فبراير سنة ١٩٦٤ قامت طائرات الامم المتحدة بمساعدة الجيش الكونغولي الذي يحارب الثوار وذلك بالمساهمة في أعمال الامداد والتموين .

وبحلول شهر يونيو سنة ١٩٦٤ كان البلجيك قد تعهدوا لحكومة الكونغو ان يحلوا محل الامم المتحدة في امداد الكونغو بالطيارين البلجيك وكذلك الافراد اللازمين لاعمال صيانة الطائرات .

ثم بدأت الصحافة ووسائل الاعلام البلجيكية والامريكية تهتم فجأة بتشومبى الذي كان قد نسى تماما وهو في منفاه الاختياري بأوروبا . وحاولت هذه الاجهزة تبرئته من دماء لومومبا ، كما استغلت رحلة فجائية قام بها تشومبى الى مالي في يونيو سنة ١٩٦٤ بناء على دعوة الحزب الحاكم هناك، لاقناع الرأي العام في افريقيا بعودة الوجه الافريقي لتشومبى .. والذي سبق ان دمغته الشعوب الافريقية بالعمالة المطلقة للاستعمار .. حيث كانت مالي احدى الدول الثورية في القارة .

والحق اننا فوجئنا في القاهرة بهذه الزيارة وأرسلنا الى باماكو نستفهم عن هذه الزيارة وننبه الى ما قد تسفر عنه من تعزيز لمركز احد عملاء الاستعمار وقبل ان يصلنا الرد اعلن الماليون في باماكو ان تشومبي حاول خداعهم وخداع العالم بهذه الزيارة وهاجمته أجهزة الاعلام المالية باعتباره عميلا وعدوا لشعب الكونغو والشعوب الافريقية كلها .

وفي يوليو ١٩٦٤ فوجئنا في القاهرة ، كما فوجىء الافارقة بتعيين تشومبي رئيسا لوزراء الكونغو . وكان من الواضح أن أصابع بلجيكا وامريكا وراء هذا التعيين . وقد أوضح كازافوبو أمام البرلمان الكونغولي بعد ذلك أن سبب تعيين تشومبي هو خوفه من عودة انفصال كاتنجا .وقال ان المرتزقة من الاوروبيين الذين حاربوا مع تشومبي من أجل انفصال كاتنجا ما زالوا قابعين في أقليم مجاور هو انجولا ، وأنهم يحملون سلاحهم ويتحينون الفرصة لمعاودة محاولاتهم لفصل اقليم كاتنجا من جديد . وانه يرى أن تشومبي هو الرجل الوحيد القادر على اعادة هذه القوات الى صفوف الجيش الكونغولي .

والذي لم يقله كازافوبو ان هذه كانت رغبة بلجيكا وامريكا وانه بهذه الاستجابة كان يضمن مساعدة هاتين الدولتين له ولتشومبي في وقف تقدم الثوار الكونغوليين الذي اصبح يشكل خطرا حقيقيا على حكمه .

لقد كان تعيين تشومبي رئيسا للوزراء في هذا الوقت وبهذا الشكل تسليم كازافوبو لبلجيكا والولايات المتحدة الامريكية بالتحكم من جديد في مقدرات الكونغو ، كما جاء ذلك تحديا للمشاعر الافريقية وخاصة للدول التي وقفت بجانب لومومبا وبجانب انصاره من بعد الى أن تحققت للكونغو وحدته . لقد اثارت عودة تشومبي الكثير من الشكوك لما عرف به من عمالة مكشوفة للاستعمار البلجيكي والاحتكارات الاستعمارية التي كانت وراء كل مشاكل الكونغو .

ويجدر الاشارة هنا الى أن مصر — حتى ذلك الوقت ومنذ قيام حكومة ادولا ... ابتعدت عن اي تدخل في شؤون الكونغو ، ودعمت علاقتها بالحكومة المركزية . ولكن تعيين تشومبي جاء قبل انعقاد مؤتمر القمة

الافريقي الثاني في القاهرة والذي كان قد حدد موعده في يوليو سنة ١٩٦٤ . وكان معنى ذلك أن يحضر تشومبي الى القاهرة اذا عين في وفد بلاده وهو ما لا يمكن ان يقبل به عبد الناصر الذي كان يرى في حضور تشومبي مؤتمر القمة الافريقي المنعقد في القاهرة نيلا من كرامة مصر التي سبق أن أرسلت قواتها تحت علم الامم المتحدة لمقاومة حركة تشومبي الانفصالية ، كما انه لم يكن يتصور ان يجلس تشومبي معه ومع الرؤساء الافارقة الاخرين لان معنى ذلك اذا حدث أن تقبل افريقيا سياسة الامر الواقع التي يعمل الاستعمار على فرضها . لقد رأى عبد الناصر أن حضور تشومبي الى القاهرة فيه تحد للشعور الافريقي وينسف كل ما يريد عبد الناصر أن يحققه من وراء هذا المؤتمر .

وبناء على ذلك قام الوفد المصري في مؤتمر وزراء الخارجية الذي عقد في القاهرة قبل مؤتمر القمة الافريقي مباشرة ، باقناع الوفود الاخرى بأن ترسل برقية باسم المؤتمر الى الرئيس كازافوبو تطلب منه عدم اشتراك تشومبي في وفد بلاده ، وقد وافقت جميع الدول الافريقية على هذا الاقتراح عدا وفد الكونغو الذي انسحب وحده من المؤتمر احتجاجا على هذا القرار.

وامكن بذلك تجنب الجرح ، فلم يحضر تشومبي المؤتمر كما لم يحضر كازافوبو . غير ان بعض الرؤساء الافريقيين في مؤتمر القمة ابدوا عدم ارتياحهم للبرقية التي ارسلت الى كازافوبو باسم المؤتمر لمنع رئيس وزرائه من الحضور معتبرين ذلك تدخلا في شؤون الكونغو .

وكان الرئيس سيرانانا رئيس مدغشقر هو الرئيس الوحيد الذي حاول الدفاع عن تشومبي . فجاء دفاعه بعيدا عن المنطق ومثيرا للضحك اذ قال : «لقد استنكرنا جميعا مقتل لومومبا ولكن هذا لا يعطينا الحق في التدخل في شؤون الكونغو وطالما نحن بهذا الصدد فلنسأل ضمائرنا ، من منا لم يوقع على وثيقة باعدام احد مواطنيه ؟ لسنا جميعا ملائكة . فاذا كان تشومبي سيذهب الى الجحيم فمن المؤكد انه لن يكون وحده ، فالبعض سوف يكونون معه » وانتهى الامر عند هذا الحد ومنع بذلك تشومبي من الاشتراك في مجلس رؤساء منظمة الوحدة الافريقية .

ولا شك ان هذا الامر الذي حدث كان صفعة شديدة تلقاها تشومبي في الايام الاولى من توليه رئاسة الحكومة .. وكان لذلك أيضا تأثيره على نظرة الشعب الكونغولي لتشومبي الذي رفض الرؤساء الافارقة اجلاسه معهم .

وفي الوقت الذي كان فيه الثوار الكونغوليون يحققون انتصارات متوالية وصلت ذروتها في اغسطس سنة ١٩٦٤ ، بدأ تشومبي في تجنيد اعداد كبيرة من المرتزقة الاوروبيين معظمهم من جنوب أفريقيا ، وتدفقت

وراءهم المساعدات العسكرية من الولايات المتحدة الامريكية .

وقد اثار تجنيد المرتزقة الاوروبيين ثائرة الكثير من الدول الافريقية وخاصة الدول المجاورة مثل الكونغو برازافيل وبوروندي التي رأت في ذلك تهديدا لامنها وسلامتها . وقد أسقط هذا العمل القناع الافريقي الذي حاول تشومبي أن يضعه بعد تعيينه رئيسا للوزراء في الحكومة المركزية ، فها هو يعود الى نفس الاسلوب الذي سبق اتباعه عندما قام بحركته الانفصالية في كاتنجا الا وهو استخدام المرتزقة . ثم انه فضح بذلك عمالته من جديد وكشف المخطط الاستعماري الامبريالي للابقاء على سيطرة الاستعمار والاحتكارات والرأسمالية على مقدرات الكونغو كله بعد ان فشلت فكرة الانفصال في كاتنجا الغنية .

لقد كان تجنيد المرتزقة وخاصة من جنوب أفريقيا يعني في نظر الكثيرين : استجلاب العنصريين اعداء الشعوب الافريقية ثم تسليحها لقتل الافارقة الكونغوليين ، كما كان في نظرهم عملا يدخل ضمن اعادة ابادة الجنس الامر الذي تحرمه المواثيق والقوانين الدولية . وبناء على ذلك طلبت بعض الدول الافريقية ومنها مصر ، عقد اجتماع استثنائي لمجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية . وعقد المؤتمر في أديس ابابا في ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ رغم محاولات حكومة الكونغو اليائسة لتأجيل الاجتماع .

وصدر قرار عن المؤتمر ايدته الاغلبية الساحقة يقضي « بوقف تجنيد المرتزقة فورا وطرد الموجود منهم في الكونغو مهما كانت جنسياتهم في أسرع وقت ممكن » كما طالب القرار بالمصالحة الوطنية وانشأ لجنة من عشرة دول برئاسة الرئيس جومو كينياتا تكون مهمتها اولا العمل على عودة العلاقات العادية بين الكونغو ليوبولدفيل والدولتين المجاورتين له وهما بوروندي والكونغو برازافيل وثانيا : مساعدة وتشجيع حكومة الكونغو في تحقيق المصالحة الوطنية .

ورغم ان هذا القرار اغضب الحكومة الكونغولية لما جاء فيه عن المصالحة الوطنية وتشكيل لجنة العشرة التي اصبحت بعد ذلك سيفا مسلطا على رقبة تشومبي ، الا ان الاجتماع في حد ذاته اعطى تشومبي شرعية التواجد في المجتمع الافريقي حيث حضر هذا الاجتماع بصفته وزير الخارجية الكونغولية ولم يعترض احد على حضوره . ووجد تشومبي في ذلك ردا لاعتباره بعد ان كان قد منع من حضور مؤتمر القاهرة .

وفي نفس الوقت الذي اجتمع فيه مؤتمر وزراء الخارجية للدول الافريقية اعلن المجلس الوطني للتحرير C. N. L. دستور جمهورية الكونغو الشعبية واعلن حكومتها المؤقتة في استانلي فيل . ولكن لم تسحب اية دولة اعترافها من ليوبولدفيل لتعترف باستانليفيل ، كما سبق ان حدث عندما قامت حكومة

استانلي فيل في اعقاب مقتل لومومبا .

اجتمعت اللجنة الخاصة بالكونغو والسابق ذكرها برئاسة جومو كيناتا في ١٨ سبتمبر وكانت مصر بين اعضاء هذه اللجنة ، واعلنت اللجنة انها لا تستطيع ان تجد الجو المناسب لتحقيق المصالحة الوطنية الا بعد وقف كل تدخل عسكري اجنبي ، وبناء على ذلك قررت اللجنة ارسال وفد من خمس مندوبين من الدول العشر اعضاء اللجنة لمقابلة الرئيس جونسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية لحثه على وقف المساعدات الامريكية لحكومة تشومبي . وكان معنى ذلك ان اللجنة تتهم امريكا بأنها العقبة الرئيسية التي تقف دون تحقيق المصالحة الوطنية .

وقد اجتمعت حكومة الكونغو على هذا الاجراء كما رفض الرئيس جونسون ان يستقبل الوفد باعتبار انه لا يمكن بحث موضوع المساعدات الامريكية للكونغو وفي غياب ممثلي حكومة الكونغو التي طلبت هذه المساعدات . وهكذا عادت مشكلة الكونغو لتصبح مشكلة افريقية ومشكلة دولية من جديد رغم انتهاء الانفصال في كاتنجا . وعاد الانقسام الى افريقيا من جديد بسبب هذه المشكلة التي كادت ان تعصف بالمنظمة الافريقية الوليدة.

تشومبي في القاهرة :

في اكتوبر سنة ١٩٦٤ وقبل انعقاد مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز بالقاهرة واجهت مصر نفس المشكلة التي سبق ان واجهتها في اجتماع مؤتمر القمة الافريقي في يوليو من نفس العام الا وهي حضور تشومبي ، فقد وجهت الدعوة لجميع الدول الافريقية اعضاء منظمة الوحدة الافريقية ومنها الكونغو بطبيعة الحال لحضور هذا المؤتمر من ٥ ـ ١٠ اكتوبر وكان عبد الناصر مصرا على الا يحضر تشومبي هذا الاجتماع ايضا .

وتكرر الاجراء السابق اتخاذه قبل مؤتمر القمة الافريقي ، فقد ارسل وزراء الخارجية الافارقة برقية بأسمهم الى الرئيس كازافوبو رئيس جمهورية الكونغو يطلبون فيها عدم تعيين تشومبي في الوفد الكونغولي .

وكان من الصعب على تشومبي ان يقبل صفعة جديدة بالاستسلام لهذا الطلب ، خاصة وانه سبق له حضور احد الاجتماعات الافريقية فكيف يسمح بضياع النصر الذي كان قد حققه من قبل . واعلن في ليوبولدفيل تشكيل الوفد الكونغولي في مؤتمر عدم الانحياز برئاسة تشومبي .

أرسل تشومبي يطلب تأشيرة دخول الى القاهرة من السفارة المصرية في ليوبولدفيل ، واعتذرت السفارة محتجة بأنها تنتظر رد القاهرة . وقد اثار هذا الموقف من السفارة غضب تشومبي الذي قرر السفر الى القاهـرة دون ان ينتظر الاذن . واخطرتنا سفارتنا في ليوبولدفيل بقيام طائرة تشومبي متجهة الى القاهرة بالفعل .

وفي المساء حلقت طائرة تشومبي في اجواء القاهرة ولكن لم يؤذن لها بالهبوط فاتجه تشومبي بطائرته الى اثينا . وفي فجر اليوم التالي وصـل تشومبي والوفد المرافق له على متن احدى طائرات الخطوط العادية دون سابق اخطار وكان هذا التصرف متوقعا من تشومبي واعد له مسبقا الترتيب اللازم .

توجه السيد عبد المجيد فريد سكرتير عام رئاسة الجمهورية الى المطار لاستقبال تشومبي واصطحبه والوفد المرافق له بموكب عربات الرئاسـة المعد لاستقبال الرؤساء واتجه به الى قصر العُروبة الذي كان قد اعد لاقامته على خلاف جميع رؤساء الوفود الاخرى الذين كانوا يقيمون في فندق الهليتون.

وفي الصباح وبناء على تكليف من الرئيس جمال عبد الناصر اتجهت الى قصر العروبة لمقابلة مويس تشومبي الذي استقبلني بحرارة رغم انها كانت المرة الاولى التي التقي فيها به . وكان تشومبي شديد المرح ، او هكذا أراد ان يبدو ، كما كانت خطواته وحركاته تعكس زهوا بالنفس ربما كان سببه نجاحه في الوصول الى القاهرة رغم المحاولات التي بذلت للحيلولـة دون ذلك . ولكنه في نفس الوقت حاول ان يكون ودودا للغاية .

ولم تمضي دقيقة واحدة على هذا الجو المرح المفتعل حتى ابلغتـه الرسالة التي جئت من اجلها والتي طالبته فيها باسم الحكومة الا يغادر هذا القصر الى ان يقرر الرؤساء الافريقيون الموجودون في المؤتمر ما اذا كـان سيشترك هو في اعمال هذا المؤتمر .

وضاعت الابتسامة من وجه تشومبي وتبدد جو المرح المفتعل وتغيرت ملامح وجهه لتكون اكثر جدية . وتساءل تشومبي بصوت خافت متداعي بعد ان صدمته كلماتي .. عما اذا كان يفهم من ذلك انه معتقل .

فأخبرته بأنه ليس معتقلا لانه يستطيع في اي وقت يشاء ان يتجه الى المطار ويغادر القاهرة .. وان اجراء منعه من الخروج الى اي مكان اخـر يتعلق بأمنه وللمحافظة على حياته حيث اننا لا نضمن سلامته وسط جماهير القاهرة التي ما زالت تذكر ما حدث للومومبا .

وهنا حاول تشومبي ان يستجمع قواه من جديد وعلا صوته محتجـا على هذا التصرف فوقفت على الفور معلنا انه ليس لدي ما اريد اضافته الى ما سبق ابلاغه به . وكنت على وشك الانصراف عندما عاد تشومبي الـى

لهجته الودية مرة اخرى ورجا ان انتظر لان لديه هو ما يريد ان يقوله هذه المرة .

وقال تشومبي انه لم يحضر الى القاهرة لحضور المؤتمر فقط ، ولكنه جاء أيضا برغبة صادقة تدعيم العلاقات مع مصر وخاصة العلاقات الاقتصادية وانه جاء وهو مستعد وجاهز لعقد صفقات ستكون في صالح مصر كثيرا .

واخرج بعض الاوراق واخذ يقرأ منها قائمة السلع التي يريد استيرادها من مصر ، كما قال انه يريد ان يجعل لمصر وضعا خاصا في الكونغو وانه مستعد لاعطاء مكاتبنا التجارية في ليوبولدفيل امتيازات لم تأخذها دولة اخرى وانه جاهز لتوقيع ما يضمن لنا هذه المزايا وهو في القاهرة ، ثم ختم حديثه بطلب مقابلة جمال عبد الناصر والح في هذا الطلب .

وقلت لتشومبي ان مصر ترحب وتسعى دائما لتدعيم علاقاتها بالكونغو حكومة وشعبا ولكن ليس هذا هو الوقت المناسب للحديث عن العلاقات المصرية الكونغولية فهناك امور يجب تسويتها اولا . اما مقابلة عبد الناصر فهو أمر يصعب تحقيقه في الوقت الحالي لانه قد كرس وقته كله للمؤتمر ، واضفت قائلا انني مع ذلك سوف انقل لعبد الناصر كل ما دار في هذا الحديث تفصيلا .

وخرجت وانا اعجب لهذا الرجل الذي تصور انه بهذه الطريقة يستطيع شراء سكوت عبد الناصر ! ! ولكن هكذا كان تشومبي .

كان تشومبي داخل قصر العروبة يعامل معاملة رئيس حكومة ، ولكن وضعت حراسة مشددة على القصر لا تسمح له بمغادرته واحتشد القصر بعدد كبير من السكرتيرات البلجيكيات اللاتي اصطحبهن تشومبي معه ضمن الوفد المرافق ، وكانت هذه هي عادته اينما ذهب ، كما كان من بين اعضاء وفده عدد من الخبراء البلجيك .

وقد احضر تشومبي معه كميات كبيرة من المأكولات المعلبة ، وكان لا يأكل شيئا يقدم له من غير ما استجلبه معه حرصا على حياته ، ورغم ذلك كانت تعد له مائدة الطعام بانتظام وفي كل وجبة ولكنه كان يعتمد فقط على معلباته حتى مياه الشرب احضرها معه معلبة .

وفي المساء استطاع عبد الناصر ان يحصل على موافقة اجماعية من جميع رؤساء الدول الافريقية التي حضرت المؤتمر ، بأن تشومبي ليس له الحق في حضور المؤتمر طالما ان اللجنة الخاصة بالكونغو التي يراسها جومو كينياتا بتكليف من منظمة الوحدة الافريقية لم تنتهي من مهمتها ، وكلفني عبد الناصر مرة اخرى بأن اذهب لابلاغ تشومبي بهذا القرار وذلك بصحبة ديالوتيلي سكرتير منظمة الوحدة الافريقية .

وكانت صدمة جديدة لتشومبي وخاصة عندما عرف ان هذا القرار اتخذ بالاجماع ، وحاول دياللوتيلي ان يقنع تشومبي بمغادرة القاهرة حتى لا تتعقد الامور اكثر من ذلك ، ولكن تشومبي كان غاضبا واتهم دياللوتيلي بأنه يعمل لحساب دول الدار البيضاء وانه يساعد مصر على تحقيق اهدافها . وحاول ديالوتيلي ان يهدىء من روعه ولكن دون جدوى ، وانصرفنا تاركين تشومبي وقد خرجنا بانطباع انه لم يستسلم بعد قرار المنع من حضور المؤتمر .

لم تمضي بضعة ساعات على اعلان قرار منع تشومبي من حضور مؤتمر القمة لعدم الانحياز حتى وصلتنا برقية من سفارتنا في ليوبولدفيل تفيد بأن القوات الكونغولية تحاصر السفارة وتمنع الدخول والخروج . وان بعض افراد العائلات المصرية حاولوا احضار بعض الاطعمة والاحتياجات الضرورية اللازمة لهم ولاولادهم ولكنهم منعوا من ذلك .. وكانت السفارة تحتل مبنى كبيرا في ليوبولدفيل يضم مكاتب السفارة وبعض ملحقاتها وكذلك يسكن فيه عدد من اعضاء السفارة وعائلاتهم .

بعد دقائق من وصول هذه البرقية كنت في طريقي الى تشومبي مرة ثالثة بناء على تكليف جمال عبد الناصر . وعندما دخلت على تشومبي هذه المرة رفضت الجلوس وتحدثت واقفا وظل تشومبي واقفا ايضا يستمع الى ما اقول وقد بدا على ملامح وجهه علامات التعجب وكأنه لا يصدق ما يسمع .

فقد ابلغت تشومبي بخبر الحصار الذي فرض على سفارتنا في ليوبولدفيل واضفت قائلا انني ابلغه باسم الحكومة المصرية انه لن يخرج من هذا المكان الا اذا خرج جميع اعضاء سفارتنا في ليوبولدفيل وعائلاتهم وتواجدوا جميعا في برازافيل سالمين .

بعد فترة صمت قصيرة تكلم تشومبي متساءلا عما يمكن ان ننتظره منه في ذلك الوقت واي شيء يستطيع ان يفعله وهو في هذا المكان . فقلت له هذا شأنك فأنت رئيس الحكومة التي اصدرت تعليماتها بمحاصرة السفارة وان كل ما استطيع ان افعله من جانبي هو ان ادبر له اتصالا تليفونيا بليوبولدفيل اذا رغب في ذلك .

وبعد دقائق من مغادرة قصر العروبة استدعاني جمال عبد الناصر ، وعندما ذهبت لمقابلته كان معي الرئيس الجزائري السابق احمد بن بللا الذي علمت منه ان سفارة الجزائر في ليوبولدفيل هي الاخرى اصبحت محاصرة تماما كما حدث بالنسبة لسفارتنا هناك . وكلفني عبد الناصر بالذهاب مرة رابعة لمقابلة تشومبي لاخبره بأن ما سبق قوله عن اعضاء السفارة المصرية وعائلاتهم ينطبق على اعضاء السفارة الجزائرية وعائلاتهم ، بمعنى ان تشومبي لن يخرج من قصر العروبة الا اذا تواجد هؤلاء جميعا في برازافيل .

وكان بن بللا ثائرا على تشومبي وتصرفاته وطلب بحماسه المعروف

من جمال عبد الناصر ان يسلمه تشومبي ليقوم بمحاكمته في الجزائر على جرائمه العديدة ومنها مقتل لومومبا ويخلص افريقيا من مشاكله ولكن عبد الناصر لم يكن ليقبل بطبيعة الحال ان يقوم بمثل هذا العمل .

بعد ابلاغ تشومبي بهذه الرسالة الجديدة طلب التحدث تليفونيا الى مساعديه في ليوبولدفيل وتم له ذلك مباشرة . وفي هذا الحديث قال تشومبي انه يعتقد ان القاهرة تدبر خطة لقتله — ويبدو أنه كان مقتنعا بذلك وأعطى محدثه التعليمات لفك حصار السفارتين فورا ونقل جميع أفرادها وعائلاتهم الى برازافيل وان تراعى كل الاحتياطات لوصولهم جميعا سالمين . كما طلب منه أن يستدعي عددا من الدبلوماسيين الاجانب المقيمين في ليوبولدفيل ليكونوا شهودا على نقل أعضاء السفارتين وعائلاتهم ، لانه كما قال يخشى أن يدعى المصريون باختفاء واحد من هؤلاء ويتخذون من هذا الادعاء ذريعة لقتله هو .

كان هذا هو ما يفكر فيه تشومبي ولكن ذلك كان بعيدا عن تفكير أي أحد في القاهرة . فكل ما كان يهم عبد الناصر في ذلك الوقت هو سلامة أعضاء السفارتين المصرية والجزائرية . وقد استمر عبد الناصر يتابع بنفسه ساعة بساعة الموقف الى ان أبلغتنا سفارتنا في برازافيل بوصول الجميع سالمين .

بعد ذلك أطلق سراح تشومبي ليعود الى ليوبولدفيل بعد أن مني بهزيمة سياسية جديدة بمنعه من حضور مؤتمر القمة لعدم الانحياز رغم مغامرته الجريئة ووصوله الى القاهرة دون اذن مسبق .

موقف مصر من الغزو البلجيكي الامريكي لستانلي فيل :

خلال شهر اكتوبر ١٩٦٤ كان المرتزقة الذين جندهم تشومبي يحرزون تقدما على الثوار الكونغوليين . وكان عدد هؤلاء المرتزقة يتزايد يوميا وتتدفق عليهم الاسلحة الامريكية الامر الذي دفع حكومة الثورة في ستانلي فيل الى اعتقال جميع الرعايا البلجيك والامريكان الموجودين في استانلي فيل وأعلنت الحكومة عن طريق اذاعتها في استانلي فيل انها سوف تحتفظ بهؤلاء الرعايا كرهائن الى ان يقف العدوان الاجنبي على الكونغو قاصدة بذلك العمليات التي يقوم بها المرتزقة وتدفق الاسلحة الامريكية على الكونغو .

حتى ذلك الوقت ومنذ المصالحة الوطنية التي تمت في أغسطس سنة ١٩٦١ كانت القاهرة قد أوقفت مساعداتها المادية للثوار باعتبار أن ما كان يحدث خلال هذه الفترة في الكونغو من صراع وقتال انما كان من شؤونه

الداخلية ، كما كانت القاهرة تريد بذلك أيضا أن تعطي الفرصة كاملة لانجاح المصالحة الوطنية . واكتفت مصر في هذه المرحلة بتحركها الدبلوماسي في نطاق منظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة محاولة ابعاد أي تدخل أجنبي في الكونغو .

وبعد ما حدث لتشومبي في القاهرة وقفل سفارتنا في وليوبولد فيل وجه جبيني رئيس حكومة ستانلي فيل الثورية نداءا من خلال اذاعة ستانلي فيل يوم ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٦٤ طالبا من القاهرة أن تعترف بحكومته ولكن مصر لم تستجب لهذا النداء الذي وجه في نفس الوقت الى كل من الجزائر وغانا وغينيا ومالي . ولم تعترف مصر بحكومة جبيني حتى ذلك الوقت التزاما منها بسياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للكونغو .

ولكن اعتقال الرعايا البلجيك والامريكيين في ستانلي فيل كان بداية لتطورات خطيرة في الكونغو ، فقد تدخل الرئيس غوموكيناتا على الفور لتهدئة الموقف المتأزم والناجم عن هذه الاعتقالات فأصدر كيناتا نداءا للاطراف المعنية يناشدها وقف العدوان فورا وطالب حكومة ستانلي فيل بتأكيد سلامة المدنيين من الاجانب المعتقلين .

وفي ٢٣ نوفمبر جرت مباحثات في نيروبي عاصمة كينيا بين سفير الولايات المتحدة الامريكية وبين وزير الخارجية في حكومة ستانلي فيل « توماس كانزا » تمت تحت رعاية الرئيس كيناتا شخصيا وديالوتيلي سكرتير منظمة الوحدة الافريقية ، وفي اليوم التالي كانت المباحثات قد قطعت شوطا لا بأس به وصدرت تأكيدات من ستانلي فيل بتأمين سلامة الرعايا الاجانب الامر الذي أعطى الكثير من الامل في انفراج الازمة .

وفي نفس هذا اليوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦٤ ووسط هذا الجو الجديد من التفاؤل فوجيء العالم بعملية غزو مسلح لستانلي فيل قامت بها بلجيكا والولايات المتحدة الامريكية . فقد قامت قوات المظلات البلجيكية محملة بطائرات أمريكية بغزو المدينة واحتلال المطار والمرافق الهامة .

والعجيب انه أزهقت في هذه المعلية أرواح كثيرة من المدنيين البلجيك والامريكيين المحتجزين كرهائن كانت قد تأمنت سلامتهم بعد تدخل كينياتا وتعهدات حكومة ستانلي فيل لولا هذا الغزو الذي ادعت بلجيكا والولايات المتحدة الامريكية أن الغرض منه كان أنقاذ حياة الرعايا المحتجزين .

اعتبرت القاهرة هذا العمل عملا عدوانيا سافرا من جانب الاستعمار البلجيكي وأمريكا على شعب الكونغو . كما اعتبرته سابقة خطيرة يمكن ان يتعرض لها اي شعب اخر يريد الاستقلال الكامل ويرفض السيطرة الاجنبية. وكانت هذه هي المرة الاولى التي تشهد فيها أفريقيا غزوا استعماريا مسلحا بعد أن ارتفعت اعلام الاستقلال الكثيرة في القارة الافريقية وما صاحب ذلك

من اعتقاد بأن عصر الغزو قد انتهى الى الابد باعتباره لونا من الوان الاستعمار التقليدي القديم الذي انتهى عصره . كما فضح هذا العمل مرة أخرى السياسة الامريكية في أفريقيا وفي الكونغو على وجه الخصوص .

وتغير الموقف في الكونغو من وجهة نظر عبد الناصر بعد هذا الغزو . فلم تعد صرخة الثوار الكونغوليين واستغاثاتهم بسبب حكم رجعي فاسد أو حتى بسبب عملاء تشومبي من المرتزقة العنصريين ، وانما أصبح الثوار يواجهون غزوا اجنبيا مباشرا لا يمكن السكوت عليه والا كان اهدارا للكثير من القيم والمبادىء التي لم يمض على اعلانها من القاهرة الا أياما عندما عقد مؤتمر عدم الانحياز الثاني وقبله مجلس رؤساء منظمة الوحدة الافريقية .

ومن أجل هذه الاعتبارات هاجم جمال عبد الناصر الولايات المتحدة الامريكية وبلجيكا هجوما عنيفا لقيامها بهذا الغزو ، وأعلن في خطاب شهير على العالم أجمع أن مصر تقف مع الثورة الكونغولية ضد هذا الغزو وانها ستقدم العون لشعب الكونغو ممثلا في قيادته الثورية التي تقف في وجه الاستعمار البلجيكي والعدوان الآمريكي .

بدات مرحلة جديدة في علاقة مصر بالثورة الكونغولية بعد الغزو الامريكي البلجيكي . ففتحت القاهرة أبوابها من جديد للثوار الكونغوليين ليتخذوا منها مرة أخرى قاعدة لهم . وقد ساعد على ذلك قيام ثورة اكتوبر سنة ١٩٦٤ في السودان التي كانت قد أطاحت بحكم اللواء عبود وشكلت حكومة سر الختم من تحالف القوى الوطنية السودانية التي كانت تشتمل على عناصر تقدمية عديدة . وأعلن النظام الجديد في السودان وقوفه بجانب القوى التقدمية في أفريقيا ومساعدة حركات التحرير فيها .

وأمكن للقاهرة باتفاق مع حكومة السودان تأمين طريق اتصال بري من جوبا في جنوب السودان الى المناطق التي كان يسيطر عليها اللومومبيون في الاقليم الشمالي لشرقي الكونغو المتاخم لحدود السودان . وقمنا بعمل مركز أمامي للاتصال والامداد في جوبا وبدأت حركة مستمرة لطائرات النقل التابعة للسلاح الجوي المصري بين القاهرة وجوبا . فتدفقت الاسلحة للحكومة السودانية التي كانت تخشى تسرب كميات من الاسلحة والذخيرة الكثير التي تمر عبر الجنوب الى ايدي المتمردين السودانيين لان ذلك كان يسبب مخاوف للحكومة السودانية . ولكن عبد الناصر كان يتدخل شخصيا كلما حاولت السلطات السودانية وقف هذا الطريق ، بعد التزامنا بوضع كل الضمانات التي تطمئن اليها الحكومة السودانية لتضمن أمنها وسلامتها دون أن تتوقف عملية امداد الثوار الكونغوليين باحتياجاتهم .

واستؤنفت في القاهرة عمليات تدريب الكوادر العسكرية للثوار ووضعت الاذاعة الموجهة من القاهرة الى الكونغو باللغات المحلية مرة ثانية في خدمة

الثوار وعادت جميع المساعدات والتسهيلات التي كانت تقدمها القاهرة لهم من قبل .

وفي هذه المرة لم تكن القاهرة هي القاعدة الوحيدة التي ترتكز عليها الثورة في الامداد والمساعدة ، فقد كانت هناك برازافيل ودار السلام . وأصبح بالكونغو ثلاث جبهات يقاوم فيها الثوار . الجبهة الاولى في وسط الكونغو وترتكز على برازافيل والثانية في الشرق وقاعدتها في دار السلام عاصمة تنزانيا والثالثة في الاقليم الشمالي الشرقي الذي أصبحت قاعدته القاهرة من خلال السودان .

وكانت هذه الجبهات الثلاث معزولة عن بعضها ، كما أن صفوف الثوار كان قد اصابها التفكك وظهرت بين قادتها الخلافات وذلك بعد النصر السريع الذي كانت قد احرزته قوات تشومبي من المرتزقة العنصريين وكذلك لغياب القيادة القادرة على تكتيل كل العناصر الثورية وخاصة العسكرية حولها . وفي اعتقادي ان الشخصية الوحيدة التي كانت تستطيع ذلك حينئذ هو بيير موليلي ، ولكنه كان معزولا في وسط الكونغو حيث كانت هذه اصعب الجبهات الثلاث في الاتصال بالخارج وتلقي الامداد ، لان تشومبي سرعان ما سيطر بقوات المرتزقة على المناطق المتاخمة لنهر الكونغو على حدود الكونغو برازافيل وأصبح الاعتماد في الامداد والاتصال فقط على التسلل . ورغم ذلك كانت منطقة موليلي هي اول من اشعل الثورة بعد انهيار المصالحة الوطنية وكان ذلك في اقليم كويلو (Kuilu) كما كانت هذه المنطقة هي اخر المناطق التي القت السلاح في الكونغو بعد ذلك .

كان عبد الناصر يعلم أن الموقف العسكري في الكونغو ليس في صالح الثوار ، ورغم ذلك قرر الوقوف بجانب الثورة ومساعدتها . وأعلن عبد الناصر موقفه هذا على العالم كله لايمانه بأنه لا يجوز أن يقف شعب الكونغو وحده طالما هو مستمر في المقاومة وحمل السلاح ضد غزو أجنبي مسلح بغض النظر عن النتيجة العاجلة . فهذا هو ما يفرضه التضامن بين القوى الثورية . ومهما يكن الامر فان الشعوب تجني دائما ثمار نضالها في النهاية وان طال الانتظار. هذا بالاضافة الى أن عبد الناصر كان لا يريد ان تمضي بلجيكا والولايات المتحدة الامريكية بفعلتها الشنعاء دون أن تجد رد الفعل الذي يتناسب مع هذه الفعلة داخل الكونغو وخارجه بغض النظر أيضا عن النتيجة المباشرة . فالمعركة اصبحت شاملة بين الاستعمار والامبريالية في جانب وجميع الشعوب التي تقاوم السيطرة الاجنبية في الجانب الاخر .

اما على الصعيد الدبلوماسي فقد احدثت عملية الغزو الامريكي البلجيكي اصداءا واسعة . ففي الامم المتحدة تقدمت ثمانية عشر دولة افريقية منها مصر بمشروع قرار لمجلس الامن تدين فيه التدخل الامريكي البلجيكي . وهنا حدث

الانقسام مرة أخرى بين الدول الافريقية .

ففي الوقت الذي ظهر فيه حماس هذه الدول الثمانية عشر ضد الغزو الاجنبي للكونغو ، كانت هناك حكومات أفريقية أخرى قد ارتبطت باتفاقيات عسكرية مع الدولة التي كانت تستعمر بلادها قبل الاستقلال . ومعنى ذلك أن هذه الدول كانت على استعداد لدعوة قوات الدولة الاستعمارية في حالة حدوث اضطرابات داخلية لا تستطيع قمعها . وهي لذلك لا تريد الاعتراض على هذا الذي تسميه تدخلا أجنبيا في الكونغو باعتباره قد تم بموافقة تشومبي رئيس الحكومة .

وازاء هذا الانقسام بين الدول الافريقية عقد اجتماع لمجلس وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية في نيويورك في المدة من ١٦ — ٢١ ديسمبر . وبعد مناقشات حامية تم التوصل الى صيغة تطالب مجلس الامن بادانة التدخل الاجنبي والتوصية بحل أفريقي لمشكلة الكونغو .

واخيرا تمخضت هذه الجهود الافريقية عن صدور قرار من الامم المتحدة في ٣٠ ديسمبر ولكنه جاء قرارا هزيلا اكتفى « .. بالاسف للاحداث الاخيرة في الكونغو ، ويشجع منظمة الوحدة الافريقية لبذل جهودها من أجل تحقيق المصالحة الوطنية » .

وعملت الدول الافريقية الثورية ومنها مصر على احياء اللجنة الخاصة بالكونغو والتابعة لمنظمة الوحدة الافريقية حيث كانت هذه اللجنة بمثابة السيف المسلط على رقبة تشومبي . فهي مكلفة بالمصالحة الوطنية وعليها تقديم تقريرها الى مجلس رؤساء الدول الافريقية في دورته التي كان قد تقرر عقدها في أكرا (اكتوبر سنة ١٩٦٥) وكان معنى ذلك بحث مشكلة الكونغو في اجتماع رؤساء الدول الافريقية وهو ما لا يريده تشومبي بطبيعة الحال .

وقد حاول تشومبي عن طريق بعض مؤيديه في مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية الذي عقد في نيروبي (٢٢ فبراير سنة ١٩٦٥ — ٩ مارس) ان يستصدر قرارا بالغاء هذه اللجنة الخاصة . ولكنه فشل في الحصول على الاغلبية اللازمة لذلك .

ورغم أن هذه اللجنة كانت قد توقفت عن مباشرة اي عمل ، الا ان مجرد وجودها كان يزعج تشومبي . فعندما اتخذ الرؤساء الافريقيين قرارهم في القاهرة بمنع تشومبي من حضور مؤتمر عدم الانحياز ، تحججوا بأن هذه اللجنة الخاصة لم تنته بعد من مهمتها . ومعنى ذلك ان تشومبي قد يواجه نفس الموقف في اجتماع اكرا .

لم يستطع تشومبي ان يحقق نصرا دبلوماسيا داخل المنظمة الافريقية رغم أن قواته كانت تتقدم داخل الكونغو وتحقق انتصارات سريعة ، وأصبح

وا... ان مجموعة دول الدار البيضاء هي الاقدر على الحركة داخل المنظمة وهي القادرة على جذبها في الاتجاه الذي تريده بعد ان انضمت اليها دول جديدة دخلت في عداد الدول الثورية مثل الكونغو برازافيل وبوروندى ثم معظم دول شرق افريقيا . وكانت دول هذه المجموعة تتشاور فيما بينها اثناء اجتماعات المنظمة ويجتمع مندوبوها بطريقة غير رسمية لتنسيق مواقفهم وخاصة بالنسبة للكونغو .

وقد بدأ هذا التقليد — الخاص بالتشاور — في القاهرة في اكتوبر سنة ١٩٦٤ اثناء انعقاد مؤتمر القمة لعدم الانحياز . اذ دعا جمال عبد الناصر رؤساء وفود الدول الافريقية الثورية التي لها مواقف متشابهة تجاه مشكلة الكونغو للاجتماع بشكل غير رسمي للتشاور . وتم الاجتماع الاول في الجناح الذي كان يقيم فيه عبد الناصر بفندق الهيلتون حيث كان ينزل جميع الرؤساء . وكان الغرض من هذا الاجتماع تأكيد تضامن هذه الدول وهي تواجه التحديات المختلفة نتيجة تأييدها للثورة الكونغولية ، وهو أمر كانت تحتاج اليه الدول المتاخمة للكونغو والتي كانت ترى في استخدام تشومبي للمرتزقة العنصريين تهديدا لامنها وسلامتها .

نهاية الازمة الكونغولية ونتائجها :

كان من نتيجة الانقسام في مواقف الدول الافريقية حيال مشكلة الكونغو داخل منظمة الوحدة الافريقية ان عادت دول المجموعة الفرنسية الى التكتل من جديد مكونة المنظمة المشتركة الافريقية الملجاشية .

(O. C. A. M.) Organization Commune Africaine et Malagache

ولا شك ان تكتل هذه المجموعة من جديد وبالشكل الذي تم به كان على حساب الوحدة الافريقية الشاملة واضعف من تماسك المنظمة الافريقية.

وقد أعلن عن قيام المنظمة المشتركة الافريقية الملجاشية في ١٢ فبراير سنة ١٩٦٥ في نواكشوت (عاصمة موريتانيا) حيث اجتمع رؤساء هذه الدول وكان موضوع الكونغو هو أهم موضوعات بحثهم . وفي اجتماعهم الثاني في ٢٦ مايو سنة ١٩٦٥ الذي عقد في ابيدجان تمت الموافقة على ضم الكونغو ليوبولدفيل الى عضوية المنظمة ، وحضر تشومبي الجلسة الختامية لهذا الاجتماع . وتعهد المجتمعون بتقديم كل المساعدات الممكنة للكونغو ليوبولدفيل .

وقد اعتبر تشومبي دخوله هذه المجموعة انتصارا دبلوماسيا كبيرا .

فقد حصل بذلك على اعتراف وتأييد جزء من أفريقيا وهو أمر يعزز انتصاراته العسكريـــة التي كان يحرزها ضد الثوار .

ومرة أخرى وبسبب الكونغو اصبحت افريقيا منقسمة على نفسهـا انقساما خطيرا هدد منظمة الوحدة الافريقية وامكانية استمرارها عندمـــا اعلنت مجموعة دول المنظمة المشتركة الافريقية الملجاشية منذ اجتماعهـا الاول انها ستقاطع اجتماع الرؤساء لمنظمة الوحدة الافريقية والذي كـان قد تقرر عقده في اكرا متحججين بأن غانا تقوم بنشاط هدام في بعض دول هــذه المجموعـــة .

ورغم أن تشومبي كان قد نجح في السيطرة على أهم المدن في الكونغو الا أنه كان غير قادر على القضاء نهائيا على الثورة .فالثوار يدخلون حدود الدول المجاورة في تنزانيا وبرازافيل والسودان واوغندا ويتخذون منهـا قواعد لهجومهم ومنها ايضا تتسرب الاسلحة الى ايدي الثوار . واصبـح التسلل الى اي مكان في الكونغو ، امرا عاديا يحدث كل يوم .

وادرك كازافوبو رئيس الجمهورية أن مشكلة الكونغو لن يكون لها حل طالما هو يتحدى المشاعر الافريقية باستخدام المرتزقة الاوروبيين وبوجود تشومبي رئيسا للوزراء . كما أدرك انه غير قادر على اخماد الثورة طالمـا بقيت مساعدة الدول المجاورة وان عليه ان ينهي مشاكله مع هذه الدول اذا اراد استقرار الاوضاع في الكونغو .

وقبل انعقاد مجلس رؤساء منظمة الوحدة الافريقية في أكرا (اكتوبر ١٩٦٥) بأيام قليلة قام كازافوبو بعزل تشومبي تمهيدا للتخلص من المرتزقة الاوروبيين وأصبح بذلك قادرا على حضور اجتماع اكرا دون ان يواجه المتاعب التي كانت تنتظره .

وحضر كازافوبو بالفعل اجتماع الرؤساء الافريقيين في اكرا بعد أن اشترط حذف موضوع الكونغو . وقد فسر الرؤساء الافريقيون موقـــف كازافوبو الجديد من عزل تشومبي والاعلان عن نيته في التخلص من المرتزقة الاوروبيين ، على انه تحول من ناحيته نحو سياسة وطنية افريقية.. وهكذا استقبل الرئيس الكونغولي في الاجتماع استقبالا حسنا واصبح مقبولا على المستوى الافريقي كلــه . وانتهت بذلك مشكلة الكونغو داخل منظمة الوحدة الافريقيـــة كما انتهت كمشكلة افريقية قسمت القارة فترة من الزمن .

واستطاع كازافوبو بهذا التحول في سياسته ان يعيد علاقته بكثير من الدول الثورية في أفريقيا — وخاصة الدول المجاورة للكونغو — الـــى حالتها الطبيعية وخصوصا بعد أن بدأ في الاستعانة بكثـــير من العناصر اللومومبية في أجهزة الدولة .

وكانت القيادات اللومومبية نفسها قد تبعثرت ، بعضها تعاون مـع

كازافوبو واعتبر انه بذلك يعود الى وضع المصالحة الوطنية التي سبق التوصل اليها عام ١٩٦١ . والبعض الاخر تواجد خارج الكونغو رافضا كل الحلول الوسط ولكن بعد ان كان قد فقد فاعليته في الداخل ، والقليل مثل بييرموليلي الذي بقي في داخل البلاد يقاوم حكم كازافوبو .

ولكن الثورة الكونغولية كانت قد فقدت الدوافع الاساسية التي كانت تحرك بواسطتها جماهير الشعب الكونغولي . فوحدة الكونغو لم تعد مهددة وتشومبي اختفى من المسرح السياسي وأصبح يعيش في منفاه في أوروبا . كما أن وجود المرتزقة الاوروبيين لم يعد مشكلة بعد ان وعد كازافوبو بالتخلص منهم جميعا .

ولكن الاحوال لم تستقر كما اراد لها كازافوبو ، ففي ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦٥ قام الجنرال موبوتو قائد الجيش بعزل كازافوبو ونصب نفسه رئيسا للجمهورية . واعتبرت معظم الدول الافريقية ومنها مصر ان هذا الحدث من شؤون الكونغو الداخلية ، وخاصة أن موبوتو حاول منذ البداية التأكيد على الوجه الافريقي للكونغو ، كما انه لم يكن هناك في افريقيا من يتباكى على اختفاء كازافوبو .

وفي نهاية الحديث عن الكونغو لنا ان نتساءل عما اذا كانت الاهداف التي من أجلها تدخل عبد الناصر في مشكلة الكونغو قد تحققت . فالمعروف ان لومومبا الذي ذهبنا لنجدته قد قتل ، كما ان القوى الثورية في الكونغو لم تحقق نصرا حاسما .

والحقيقة ان لومومبا وان كان قد قتل فقد انتصرت مبادئه دون شك ، وبقيت هذه المبادىء انشودة تتغنى بها افريقيا الى يومنا هذا ، وأصبح لومومبا اسطورة تتحدث عنها افريقيا كلها وكرم الزعيم الكونغولي بعد مماته في كل انحاء الدنيا كما لم يكرم زعيم افريقي قبله .

أما على صعيد الكونغو فقد تحققت له وحدة الارض وانتهت فكرة الانفصال او البلقنة وهي أخطر ما واجهه لومومبا . ولولا وقفته الشجاعة منذ البداية وتضحياته التي توجها استشهاده لكان انفصال كاتنجا حقيقة قائمة الان .

أما الاستقلال الذي أراده لومومبا للكونغو بعيدا عن اي سيطرة أجنبية فانه وان لم يكن قد تحقق حتى الان ، الا أن شعب الكونغو ما زال يناضل في سبيل تحقيق هذه الغاية ، وهو في ذلك شأنه شأن الكثير من الشعوب التي تقاوم الاستعمار الجديد وتقاوم السيطرة الاجنبية في جميع اشكالها وصورها من اجل أن تعود ثروة البلاد الى الشعب مالكها الاصلي. ولا شك ان ثورة لومومبا ستبقى دائما وقودا ومحركا لكل الثوار في الكونغو وفي كل مكان اخر .

والغريب ان موبوتو نفسه — وكان هو قائد الجيش الذي قبض على لومومبا وسلمه الى تشومبي — قد بالغ في تكريم ذكرى لومومبا بعد أن أصبح هو نفسه رئيسا للجمهورية ، فأقام له تمثالا ضخما لتخليد ذكراه . وقد حضرت بنفسي الاحتفال بوضع أساس هذا التمثال ، وحضره عدد كبير من رؤساء الدول الافريقية حيث كان ذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة الافريقي في كينشاسا في سبتمبر سنة ١٩٦٧ .

وقد تكلم موبوتو في هذه المناسبة عن لومومبا وبطولته فوضعه في صف الانبياء والقديسين واعتبره أعظم زعيم أنجبته الكونغو وأفريقيا كلها ، وكان ذلك أمرا مثيرا للدهشة ، الا أن موبوتو كان له تفسيره الذي كان يردده دائما، فهو عندما قبض على لومومبا كان مجرد رجل عسكري ينفذ تعليمات رئيس الجمهورية (كازافوبو في ذلك الوقت) وهذا ما كان يحتمه عليه — كما يدعي — واجبه العسكري . أما وقد أصبح رئيسا يتحمل المسؤولية كاملة يجب حسب قوله — أن تفتح له صفحة جديدة .

وقد بالغ موبوتو عقب توليه الرئاسة في التأكيد على الملامح الافريقية الخالصة لبلاده ، بعكس ما كان يسعى اليه تشومبي الذي كان يريد أن يسود كل ما هو أوروبي . ولكن موبوتو اهتم في ذلك بالشكل دون أن يهتم بالجوهر . فقد غير موبوتو اسم الكونغو ليأخذ اسما أفريقيا خالصا هو زائير كما غير اسم العاصمة ليوبولدفيل لتأخذ اسما افريقيا هو كينشاسا وامتدت الافرقة الى أسماء كثيرة اخرى من بينها اسمه هو شخصيا . فقد تخلص من اسمه المسيحي الاوروبي « جوزيف » ليصبح اسما أفريقيا هو « سيس سيكو » Sese Seko وتصور انه يرضي القوى الوطنية في الداخل بهذه التغيرات الشكلية كما أرضى المجتمع الافريقي الذي ادان تشومبي من قبل ورفض سياسته .

ونحن وان كنا نرى في ذلك شيئا من السذاجة او الاستخفاف بعقول الاخرين ، الا انه دون شك يوضح اتجاه الشعور الوطني في الكونغو وفي افريقيا ، ذلك الشعور الذي كان يرفض السيطرة الاوروبية ويتطلع الى تأكيد ذاته الافريقية وهو ما ناضل من اجله لومومبا ومات في سبيله ، ولا شك ان الشعب الذي رحب يوما من الايام بالتغيير الذي اصاب الشكل ، ما زال ينتظر التغيير الحقيقي الذي يمتد الى جوهر الامور .

لقد مات لومومبا ولكنه دخل عالم الخلود واصبح رمزا للنضال والثورة وحقق لبلاده وحدة الارض ، اما تشومبي الذي اصبح رمزا للخيانة والعمالة فقد ظلت فعلته الشنعاء تطارده الى ان لقي حتفه في معتقله بالجزائر ، فقد ضلت طائرته الطريق ودخلت خطأ في الاجواء الجزائرية فأجبرت على الهبوط وتم القبض عليه .

واحتارت حكومة الجزائر في كيفية التصرف معه فهي ان تركته ادانتها الشعوب الافريقية الساخطة على تشومبي وفي مقدمتها شعب الجزائر نفسه. وان سلمته لحكومة الكونغو التي كانت تلح في طلبه تكون قد خالفت العرف والاصول الدولية ، لان معنى ذلك انها كانت ستسلمه لجلاديه وهي تعرف ان مصيره الاعدام حيث كان موبوتو يريد ذلك . فقد كان تشومبي يعمل من اجل الاطاحة بحكم موبوتو وينفق في سبيل ذلك بسخاء من ملايينه التي هربها الى الخارج .

وانتهت حكومة الجزائر الى الابقاء على تشومبي محددة اقامته في احد المنازل الى ان مرض ومات دون ان تشفع له ملايينه التي حاول دون جدوى ان يدفعها مقابل حريته .

ومما لا شك فيه ان موقف جمال عبد الناصر من مشكلة الكونغو ومساندته الصريحة المخلصة لقوى الثورة هناك ، كان له الاثر الكبير في ايجاد علاقات وروابط قوية بيننا وبين عدد من الدول الافريقية الاخرى التي كانت قد بدات ثورتها على السيطرة الاجنبية بكل اشكالها واجبرت على خوض معارك ضارية مع الاستعمار مثل غينيا ومالي وغانا . وقد كان تعاون مصر مع هذه الدول في مساعدة الثورة الكونغولية هو البداية الحقيقية لايجاد مقاومة جماعية فعالة ضد الاستعمار في افريقيا ، الامر الذي اقرته منظمة الوحدة الافريقية بعد ذلك في اجتماعها الاول عندما اقرت تشكيل لجنة التنسيق او لجنة تحرير افريقيا ، تسعة دول تعمل على تقديم العون المادي والمعنوي لحركات التحرير الافريقية باسم افريقيا كلها ومساهمة جميع دولها . وقد جاءت فكرة انشاء هذه اللجنة اساسا من الدول التي عملت متعاونة في تأييد ثورة الكونغو ومنها مصر كما جاء تشكلها في معظمه من هذه الدول وكان ذلك بطبيعة الحال انتصارا لقوى التحرر والثورة في افريقيا .

كان ايضا من النتائج المباشرة لما حدث في الكونغو ، انتقال الثورة الى انجولا . فقد بدأت الشرارة الاولى لحرب التحرير الانجولية في ٤ فبراير سنة ١٩٦١ اي بعد مقتل لومومبا بأقل من شهر واحد ، وقد قامت بها الحركة الشعبية لتحرير انجولا M. P. L. A. وهي الحركة التي تسلمت الحكم بعد الاستقلال وكان ذلك في لواندا العاصمة . ثم امتدت الثورة في اول مارس ١٩٦١ لتشمل مناطق انجولية جديدة وكانت هذه المرة بواسطة حركة اخرى برئاسة روبرتو هولدن الذي قاد حملة ناجحة من حرب العصابات متخذا من الكونغو نفسه قاعدة للهجوم والامداد بالسلاح مستفيدا بصلة القربى التي كانت تربطه بموبوتو قائد الجيش الكونغولي في ذلك الوقت .

وهكذا اراد الاستعمار ان يكون لومومبا امثولة لمن تحدثه نفسه بالتمرد على الاستعمار والقوى التي يؤيدها ولكن الامر جاء على عكس ذلك

فقد اصبح لومومبا مثلا يقتدى به وشجعت مواقفه البطولية على اسراع خطى التحرير في افريقيا .

ولقد احست النظم العنصرية في افريقيا بخطورة الموقف بعد احداث الكونغو لاقتراب الثورة من حدودها وفشل قوى الاستعمار التقليدي في احتواء هذا التطور السريع للثورة الافريقية ، كما فشلت في مواجهته بالعنف. فقام تحالف خطير بين الانظمة العنصرية الثلاثة في جنوب افريقيا والمستعمرات البرتغالية وروديسيا لمقاومة هذا التيار التحرري الجامح في القارة . ولكن ذلك كله لم يمنع امتداد المقاومة الى داخل هذه المناطق نفسها . وانتهى امر التحالف تماما بسقوط النظام الدكتاتوري في البرتغال وتحرر المستعمرات البرتغالية . ولقد لعبت المقاومة الافريقية في هذه المستعمرات دورا هاما في تقويض دعائم النظام البرتغالي نفسه .

وهكذا كان الدور الذي قامت به مصر وموقف جمال عبد الناصر من مشكلة الكونغو دورا وموقفا ايجابيا ساهم في دفع حركة التحرر الوطني في افريقيا نحو التخلص من السيطرة الاجنبية ومقاومة سياسة البلقنة التي يتبعها الاستعمار ضد الدول حديثة الاستقلال .

الفصل السادس

جمال عبد الناصر والوحدة الافريقية :

★ مفهوم الوحدة الافريقية .
★ مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة .
★ ميثاق الدار البيضاء ومرحلة التكتلات السياسية في افريقيا .
★ قيام منظمة الوحدة الافريقيـــة .
★ أين تقع الوحدة الافريقية من الوحدة العربية ؟ !

كانت الوحدة الافريقية من أهم الموضوعات التي شغلت افريقية في اواخر الخمسينات واوائل الستينات ، وملأت عقول الشعوب والحكام على حد سواء ، والهبت مشاعر الجميع في افريقيا كلها ، وتركت اثرها العميق في تطور الاحداث خلال هذه الفترة .

وقد كان لمصر بزعامة جمال عبد الناصر دور تاريخي بارز في بلورة مفهوم الوحدة الافريقية والطريق اليها . فعندما وقفت مصر بعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ مع حركات التحرير وساعدت الثورات الافريقية وفتحت القاهرة ابوابها لتكون قاعدة للنضال الثوري في القارة كلها ، كانت هذه هي اولى الخطوات الايجابية والعملية نحو وحدة القارة والاساس الذي قام عليه بعد ذلك بناء الوحدة الافريقية ، هذا البناء الذي ارتفع عام ١٩٦٣ ليصبح منظمة للوحدة الافريقية تضم جميع دول القارة . فقد كان موقف مصر هذا هو في واقع الامر تجسيدا لوحدة العمل الثوري في افريقيا .

مفهوم الوحدة الافريقية :

تكلمنا من قبل عن منبت هذه الظاهرة ـ ظاهرة الوحدة الافريقية ـ عندما كانت مجرد افكار في عقول المثقفين من الافارقة والزنوج الذين عاشوا في امريكا وانجلترا وفرنسا ، واقصد بذلك حركة « البان افركانزم » او الجامعة الافريقية كما اصطلح على تسميتها ، وسلسلة المؤتمرات التي

عقدت بأسمها في عواصم هذه الدول .

وظلت هذه مجرد حركة فكرية الى ان استقلت غانا عام ١٩٥٧ ثم استقلت بعدها اعداد كبيرة من الدول الافريقية عام ١٩٦٠ . فأصبحت هذه الحركة الفكرية حركة افريقية جماهيرية لها أبعادها السياسية والاجتماعية وانطلقت في جميع انحاء القارة الافريقية في شكل ثورة عارمة .

ورغم هذه الثورة من أجل الوحدة الافريقية ، والتي تعلقت بها جميع شعوب القارة ، فقد بقي مفهوم الوحدة غير محدد . وتعددت الاراء بالنسبة لها وبالنسبة للطريق اليها .

فظهرت كلمات واصطلاحات جديدة مثل « القومية الافريقية » و « الوطنية الافريقية » و « الشخصية الافريقية » عرفت بأنها مرادفات أو مشتقات لهذه الوحدة الافريقية ، ولكنها كلها لم تكن اقل غموضا من المدلول الذي كانت تتركه عبارة الوحدة الافريقية في الاذهان .

فلا يمكن ان تكون هناك قومية قارية تشمل افريقيا كلها بطبيعة الحال، فاللغات واللهجات الموجودة في القارة يتراوح عددها من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ لغة ولهجة أي اكثر من نصف اللغات التي عرفت في العالم كله .

واذا كان من المعروف ان القوميات هي المحرك الاول لقيام الوحدات السياسية واقامة الاوطان ، فالعكس كان هو الصحيح بالنسبة لافريقيا ، فالاوطان والدول الافريقية رسم حدودها الاستعمار دون اعتبار للتوزيع البشري او مصلحة السكان . فأصبح الوطن الواحد يضم العديد من القبائل التي تختلف في لغاتها وعادتها ودياناتها واحيانا التكوين الانثرولوجي نفسه . وفي نفس الوقت نجد ايضا الكثير من الحدود السياسية التي اقامها الاستعمار وقد قسمت بين ابناء القبيلة الواحدة ليعيشوا في دولتين مختلفتين أو أكثر . لذلك اصبحت الاوطان الجديدة واللغات الجديدة التي ادخلها الاستعمار هي الوعاء الاساسي لخلق الوطنية والقومية الجديدة في هذه القارة .

والعجيب ان المشاكل الناتجة عن هذه الاوضاع — واقصد بها تعدد الدول واختلاف القوميات وحالة البلقنة التي فرضها الاستعمار على القارة — لم تكن عبئا على الوحدة الافريقية بمفهومها القاري ، بل على العكس من ذلك فقد كانت هذه نفسها من اسباب تعلق الافارقة بالوحدة الافريقية الشاملة وتطلعهم اليها باعتبار ان في وحدة القارة حل لجميع هذه المشاكل بل ولمشاكلهم الاخرى كما يتصورون .

ففي وحدة القارة حل للمشاكل القبلية والمشاكل الناتجة عن بلقنة القارة وحدودها المصطنعة ، كما يجدون فيها حلا لمشاكل التفرقة العنصرية، وقبل كل شيء يجدون فيها القوة التي تجعل افريقيا قادرة على مواجهة

الاستعمار والتخلص من سيطرة الرجل الابيض .

ورغم ان بعض الزعماء الافارقة من أمثال انكروما وسيكوتوري كانوا ينظرون الى الوحدة الافريقية منذ البداية باعتبارها حركة تدخل في صميم الثورة الافريقية ووضعوا تصوراتهم للوحدة في شكل مشروعات محددة كما فعل انكروما حين طالب بمشروع الحكومة الواحدة لكل افريقيا ، فقد ظل البعض الاخر وهو لا يرى من الوحدة الافريقية الا ذلك الجانب الرومانسي والذي يجعله يردد تفسير أو تحديد شعار « الاتحاد قوة » . ومن هؤلاء الرئيس نوبمان الرئيس الراحل لجمهورية ليبريا والذي عبر عن هذا المعنى عندما وقف في جلسة افتتاح مؤتمر الدول الافريقية المستقلة في اكرا عام ١٩٥٨ ليقص علينا قصة قديمة عبر بها عن مفهومه للوحدة الافريقية .

ويتلخص مضمون هذه القصة انه حدث ان جلس احد زعماء القبائل الافريقية مع حكماء القبيلة فاقتحم مجلسهم ثعبان كبير الحجم ، فقاموا جميعا وتعاونوا على قتله ، وما ان فرغوا من هذه المعركة حتى تساءل الزعيم الافريقي اذا كان احدهم يستطيع ان ينبئه عن السبب الذي ادى الى مقتل الثعبان .

وبعد ان فشل جميع الحاضرين في اعطاءه الاجابة التي ترضيه قال متساءلا عما كان يحدث لو ان الثعبان دخل عليهم ومعه عدة ثعابين اخرى .

فقالوا جميعا انه لو كان ذلك حدث لكانوا تركوا المكان فارين . وهنا قال الزعيم الافريقي : « اذن قتل الثعبان كونه وحيدا وبمفرده » .

وكان هذا المفهوم البسيط بجوانبه الرومانسية هو في حقيقة الامر الذي حرك الافارقة جميعا واثار حماسهم للوحدة الافريقية — واقصد مفهوم الوحدة التي تعطي القوة لمواجهة جميع متاعبنا والتغلب عليها .

ولكن الامر لم يكن بهذه البساطة عندما تعدت الامور مجرد الاماني ، وعقدت المؤتمرات الافريقية وبدأ المسؤولون من الزعماء الافريقيين والحكومات الافريقية يضعون تصوراتهم ومشروعاتهم لهذه الوحدة ، فتصارعت الافكار وتضاربت الاراء نحو تحديد مفهوم هذه الوحدة الافريقية وطريقة تحقيقها وممارستها .

وكانت التساؤلات كثيرة وتعكس هذا التضارب . فهل تكون وحدة العمل الثوري هي المحرك الاول للوحدة الافريقية ؟ وبالتالي هل تكون الوحدة هي وحدة الدول الثورية القادرة على تدعيم الثورة في افريقيا حتى تتحرر القارة من جميع الوان السيطرة الاجنبية ؟ واذا كان الامر كذلك الا يؤدي ذلك الى الصدام مع الحكومات الافريقية التي لا تستطيع ان تسير في ركب الثورة ؟ وما هو الموقف بالنسبة للحركات الثورية في مثل هذه الدول ؟ وما هي حدود التدخل في شؤون الغير ؟

أم ان الوحدة الافريقية تعني مجرد تجمع الدول المستقلة في القارة والتحالف فيما بينها فقط في حدود ما يمكن ان تتفق عليه جميع الدول الافريقية ؟ واذا كانت هذه هي الوحدة ، الا يكون ذلك تفريغا للوحدة من مضمونها الثوري في سبيل التمسك بالشكل فقط ؟ !

وما هو الموقف بالنسبة للوحدات الاقليمية ؟ اهي معاكسة للوحدة الشاملة ام انها خطوة نحوها ؟ ثم ما هي الوحدة التي نريدها لدول افريقيا أهي وحدة دستورية ؟ وهل توجد المقومات الكافية بين الشعوب الافريقية لقيام مثل هذه الوحدة وضمان استمرارها ؟ ومئات الاسئلة الاخرى التي لم يكن من السهل ان نجد لها الاجابة التي يقبلها جميع الافارقة .

واستمرت هذه التساؤلات والتناقضات والصراعات حول الوحدة الافريقية ومفهومها الى ان استطاع الافارقة في مايو سنة ١٩٦٣ ان يتوصلوا الى صيغة قبلها الجميع واصبحت هذه الصيغة دستورا للوحدة الافريقية الا وهي ميثاق منظمة الوحدة الافريقية .

والى ان تم ذلك شهدت القارة العديد من الاجتماعات والمؤتمرات بعضها على المستوى الرسمي وبعضها على المستوى الشعبي كما شهدت قيام التكتلات والتنظيمات السياسية التي تكونت كلها باسم الوحدة ومن أجلها .

ورغم ان هذه الحركة الواسعة من المؤتمرات والتكتلات اظهرت الكثير من التناقضات والصراعات الموجودة في افريقيا ، الا انها كانت ضرورية لبلورة الصيغة النهائية للوحدة ، كما كانت ضرورية لتحطيم الكثير من الحواجز التي اقامتها الانظمة الاستعمارية المتباينة بين شعوب القارة .

وقد شاركت مصر وشارك عبد الناصر مشاركة ايجابية وفعالة في الجهود التي بذلت من أجل بلورة الوحدة الافريقية وكان دور مصر دورا بارزا ومؤثرا في جميع المراحل التي ادت في نهاية الامر الى قيام منظمة الوحدة الافريقية .

مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة :

كانت مرحلة هامة في تاريخ الوحدة الافريقية تلك المرحلة التي تمت فيها عدة لقاءات عرفت « بمؤتمرات الدول الافريقية المستقلة C. I. A. S. » وكان اهمها اول هذه المؤتمرات الذي دعي اليه كوامي انكروما وعقد في اكرا في ابريل سنة ١٩٥٨ .

وجاء هذا الاجتماع ايذانا بنقل الحركة الافريقية او حركة « البان افريكانزم » من عواصم اوروبا وامريكا الى قلب القارة الافريقية نفسها . كما كان اول دعوة عملية لفكرة الوحدة الافريقية ارتفع في اعقابها شعار هذه الوحد ةالتي خفقت لها قلوب الافارقة في كل مكان .

ورغم ان هذا المؤتمر شأنه في ذلك شأن الاجتماعات المنبثقة عنه ، لم يحدد المفهوم الكامل او العملي للوحدة الافريقية ، الا انه نجح في تأكيد معاني معينة ربطت بصفة نهائية بمفهوم هذه الوحدة .

فقد جاء هذا المؤتمر بمثابة الضربة القاضية لفكرة الفصل بين افريقيا العربية وافريقيا السوداء . وسقطت الصحراء كعازل اريد له ان يفصل بين شمال القارة وجنوبها . وأخذت الوحدة الافريقية المفهوم القاري ، اي وحدة القارة بجميع اجزائها ، وذلك عندما اجتمعت الثمان دول الافريقية المستقلة في ذلك الوقت وكان بينها خمس دول عربية . وانقذت بذلك الحركة الافريقية والوحدة الافريقية وبصفة نهائية من ان تكون مجرد رد فعل لما يلاقيه الافارقة من مرارة التفرقة والاضطهاد العنصري .

وقد ذهب انكروما الى حد بعيد في محاولة ابعاد شبهة التعصب العنصري عن الحركة الافريقية عندما وجه الدعوة ايضا الى حكومة اتحاد جنوب افريقيا لحضور هذا المؤتمر . الا ان جنوب افريقيا اشترطت دعوة الدول الاستعمارية ايضا باعتبارها « قوى مسؤولة في افريقيا » فأسقط انكروما دعوته التي لم تتكرر بعد ذلك .

والمعنى الاخر الذي تأكد منذ المؤتمر الاول للدول الافريقية المستقلة والتصق بصفة نهائية بمعنى الوحدة الافريقية هو العمل الافريقي المشترك من اجل انهاء الاستعمار وتحميل الدول الافريقية المستقلة مسؤولية خاصة نحو المساعدة في تحرير الشعوب الافريقية التي ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار، سواء كان ذلك عن طريق الامم المتحدة او عن طريق تقديم المساعدة المباشرة . وكان هذا المفهوم هو أبرز الجوانب الايجابية الملموسة في مفهوم الوحدة الافريقية . واعطى هذا المفهوم الدول الافريقية المستقلة الحق والشرعية في المطالبة باستقلال هذه الدول وتبني قضاياها في المحافل الدولية وخاصة في الامم المتحدة .

واذا كان لنا ان نرجع الكثير من الفضل في تحقيق هذه المفاهيم لرئيس غانا الراحل كوامي انكروما الذي وجه الدعوة للدول العربية لحضور اول مؤتمر يأخذ الصفة الرسمية في افريقيا باعتباره اجتماع حكومة ، فلا بد لنا ان نذكر ان الجهود التي كانت قد بذلتها مصر لتأكيد وجهها الافريقي وحركة عبد الناصر الواسعة في المجال الافريقي هي التي جعلت دعوة انكروما على هذا النحو امرا ممكنا . ولذلك فقد جاءت نتائج هذا المؤتمر نجاحا لسياسة عبد

الناصر الافريقية وتتويجا لجهوده المستمرة في مساعدة حركات التحرير الافريقية .

ولم يكن هذا هو المكسب الوحيد الذي خرجت به مصر والدول العربية من هذا المؤتمر وانما كان اعظم ما حققته العرب هو الاهتمام البالغ والتأييد الذي حظيت به الثورة الجزائرية وتبني الافارقة لها باعتبارها ثورة افريقية .

فقد اتيح لممثلي جبهة التحرير الجزائرية فرصة عرض قضيتهم على المؤتمر . فقدموا ثورتهم باعتبارها ثورة افريقية بجانب كونها ثورة عربية . وكان هذا خطأ ذكيا في استراتيجية الثورة الجزائرية استفادت منه الجزائر التي حصلت على تأييد الافارقة كما افاد ذلك كثيرا في تدعيم الصلة بين العرب وبقية الافارقة .

وقد اعترف المؤتمر بجبهة التحرير الجزائرية باعتبارها الممثل الشرعي للجزائر ، كما أكد المؤتمر تصميم الدول الاعضاء على تقديم كل مساعدة ممكنة لشعب الجزائر لتحقيق استقلاله. وقرر المؤتمر ان تقوم ثلاث بعثات دبلوماسية مشتركة تتكون كل بعثة من ممثلي ثلاث دول من دول المؤتمر ، تطوف الدول الاسكندنافية ودول وسط امريكا وامريكا الجنوبية تدعوا للقضية الجزائرية في محاولة للحصول على اصوات هذه الدول لتأييد القرار الخاص بالجزائر في دورة الجمعية العامة للامم المتحدة .

وكان من نتيجة هذا التحرك ان اشار قرار الامم المتحدة الخاص بالجزائر في هذه الدورة (عام ١٩٥٨) ولاول مرة الى وجود الحرب الجزائرية ولم تعد الامم المتحدة تنظر لما يحدث في الجزائر باعتباره من شؤون فرنسا الداخلية كما كان الوضع قبل ذلك .

وقد نجحت الحكومة المؤقتة للجزائر بعد ذلك في حمل وزراء خارجية الدول الافريقية المستقلة على الاجتماع اجتماعا طارئا لبحث المزيد من سبل التأييد والمساعدة للثورة الجزائرية وذلك في صيف عام ١٩٥٩ في منروفيا . واعترفت غينيا التي كانت قد استقلت بالحكومة الجزائرية المؤقتة اثناء انعقاد هذا المؤتمر كما اعترفت ايضا من دول افريقيا الغير عربية ، غانا ولكن قبل المؤتمر مباشرة .

وهكذا اصبحت الثورة الجزائرية في حركتها العالمية تعتمد اعتمادا كبيرا على تأييد الافارقة بجانب التأييد العربي ، مستفيدة بذلك القدر من التضامن الافريقي الذي كان قد حققه مؤتمر الدول الافريقية المستقلة .

وكان من نتائج مؤتمر اكرا ايضا — فيما يتعلق بالوحدة — ظهور الوجود الافريقي على المستوى الدولي ، اي اعتراف المجتمع الدولي بوجود كيان افريقي يضم الدول الافريقية المستقلة .. ولا شك ان ذلك كان في اتجاه تأكيد الشخصية الافريقية في المجال الدولي . فقد اتفقت الدول التي اشتركت في

مؤتمر اكرا على ان تتكون « سكرتارية دائمة غير رسمية » من مندوبيهـــا في الامم المتحدة تكون مهمتهم التنسيق بالنسبة للمسائل ذات الاهتمام المشتــرك لدولهم ، والتحضير لاجتماعات الدول الافريقية المستقلة والعمل علـــى تنفيذ قراراتها . وكان هذا هو بداية تكوين المجموعة الافريقية في الامم المتحـــدة والتي استطاعت افريقيا من خلالها ان تكون قوة لها تأثيرها في المجتمــــع الدولي .

واصبحت الامم المتحدة تعترف بأفريقيا كوحدة اقليمية واحدة فبعد ان كانت تتجه دائما الى ادخال شمال افريقيا في منطقة الشرق الاوسط ــ وهو أمر كانت ترفضه الدول العربية حتى لا تشترك مع اسرائيل في منظمة اقليميـــــة واحدة ــ نجن الامم المتحدة في شهر مايو سنة ١٩٥٨ تنشىء اللجنة الاقتصادية الافريقية التابعة لها « E. C. P. » وتضم جميع دول القارة بما فيهـــا دول شمال افريقيا واتخذت اديس ابابا مقرا لهذه اللجنة .

وجاء المؤتمر الثاني للدول الافريقية المستقلة في اديس ابابا (يونيــــو ١٩٦٠) وفي هذا المؤتمر ظهرت التناقضات والصراعات لاول مرة حول مفهوم الوحدة الافريقية . فقد كان السؤال الذي فرض نفسه على كل مناقشـــات المؤتمر ثم بقي مطروحا بعد انتهاءه يثير كثيرا من الجدل والنقاش في افريقيا ، هو ما اذا كانت الوحدة التي ينشدها الافريقيون ستكون وحدة العمل الثوري، أم ان الافارقة سوف يكتفون بأن تكون هذه الوحدة مجرد تجمع لجميع الدول الافريقية المستقلة بقصد تنمية التعاون فيما بينها فحسب .

وقد كانت دول جديدة قد استقلت وتحضر المؤتمر لاول مرة ، ومنها غينيا التي كانت بحكم ظروف استقلالها ومعركتها مع فرنسا من اكثر الدول الثورية راديكالية واكثرها حماسا لوحدة العمل الثوري في افريقيا . ومنها ايضـــا الكاميرون التي كانت قد قبلت الارتباط مع فرنسا . وحضرت نيجيريا باعتبار انه قد تحدد تاريخ استقلالها في نفس العام وكانت قد قررت هي الاخـــرى الارتباط مع الملكة المتحدة باتفاقات عسكرية وروابط اقتصادية وسياسيـــة أخرى .

كان التباين الصارخ في سياسة هذه الدول مدعاة لظهـــور التناقض والصراع على مفهوم الوحدة الافريقية عند بحث موضوعات معينة . وكـــان اهم هذه الموضوعات هو طلب اتحاد شعب الكاميرون (حزب الـ « V.P.C » حضور المؤتمر بصفة مراقب او على الاقل عرض قضية بلاده على المؤتمر وهو اجراء سبق ان اتخذ في اجتماع الدول الافريقية المستقلة الاول في اكرا .

وتحمس وفد غينيا لهذا الطلب ، فقد كان سيكوتوري قد فتـــح بلاده لحركات التحرير والتنظيمات المعارضة في الاقاليم الفرنسية ومنها حزب اتحاد شعب الكاميرون الذي كان يقود الثورة في بلاده منذ اشتعالها عام ١٩٥٦ .

ولكن بعد ان استقلت الكاميرون واصبحت عضوا في هذا المؤتمر اصبح من غير المعقول ان يجلس وزير خارجيتها ليستمع لمن تعتبرهم بلاده خارجين على القانون .

وطرحت غينيا القضية على انها اختيار امام المؤتمر لنوع الوحدة التي يريدها الافارقة . فأما ان تكون وحدة تكتفي بالشكل فقط فيأخذون بوجهة نظر حكومة الكاميرون في استبعاد ممثلي الثورة ، ويكون المؤتمر بذلك — على حد تعبير وفد غينيا — قد افرغ الوحدة الافريقية من مضمونها الثوري ، او ان يكون اهتمام المؤتمر بجوهر الوحدة ومضمونها فيستمر تأييد المؤتمر للثورة الكاميرونية كما يريد حزب اتحاد شعب الكاميرون ويريد وفد غينيا .

ولكن المؤتمر لم يأخذ بوجهة نظر غينيا واستبعد ممثلي الثورة الكاميرونية ورغم ان هذا القرار من المؤتمر كان يوحي بانحسار وتراجع فكرة وحدة العمل الثوري ، الا ان السبب الحقيقي كان يكمن في رغبة الدول الثورية الاخرى وعلى راسها مصر ان يكون العمل الجماعي الثوري في افريقيا موجها في هذه الحقبة ضد الاستعمار مباشرة وليس ضد حكومات افريقية مهما كان اتجاهها . وهي بذلك تتجنب اثارة مخاوف بعض الدول الافريقية حديثة الاستقلال من الوحدة الافريقية ، وتشجع هذه الدول وتفتح لها الطريق للانتقال الى معسكر الدول الثورية وهي لذلك ترى انه من الضروري اعطاء الدول حديثة الاستقلال الوقت والفرصة لتستجمع قواها وتصبح اكثر قدرة على مواجهة الاستعمار .

وقد هاجم ثوار الكاميرون المؤتمر بسبب هذا القرار في المجلة التي كان يصدرونها قائلين : « سوف تشهد الشهور والسنوات القادمة مولد حكومات مستقلة اسما ولكنها ستبقى خاضعة لنفوذ الامبريالية من الناحية الفعلية . وان التضامن الافريقي سوف يصبح مجرد عاطفة في خدمة الامبريالية اذا كانت الدول الافريقية المستقلة استقلالا حقيقيا ستظل تنشد الوحدة — كما حدث في اديس ابابا — بأي ثمن » .

ولكن المؤتمر نفسه استطاع ان يصدر قرارا اخر ثوريا وهاما في صالح وحدة العمل الثوري الا وهو قبول الحكومة المؤقتة للجزائر كعضو كامل في مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة والاجتماعات المنبثقة عنها . وقد حدث ذلك وسط المعارضة الشديدة لوفد الكاميرون . فقد كان هذا القرار خطيرا بالنسبة للدول التي ارتبطت مع فرنسا داخل ما سمي بالمجتمع الفرنسي ، وكان عدد كبير منها قد تقرر استقلاله في نفس العام .

ومنذ هذا التاريخ والى ان استقلت الجزائر عام ١٩٦٣ اصبحت مواقف الدول الافريقية المختلفة من ثورة الجزائر احد العوامل التي وقفت عقبة امام تحقيق الوحدة الافريقية الشاملة .

وكان اخر اجتماعات الدول الافريقية المستقلة هو اجتماع ليوبولدفيل عندما دعا لومومبا الى اجتماع طارىء عقد في ٢٥ اغسطس سنة ١٩٦٠ عقب احداث الكونغو الشهيرة ومحاولة انفصال اقليم كاتنجا . وقد امتنعت عن حضور هذا المؤتمر الدول التي استقلت عن فرنسا منذ مؤتمر اديس ابابا .

وكان واضحا ان هذه الدول كما سبق ان اوضحنا عند الحديث عن الكونغو لا تريد او بالاحرى لا تستطيع ان تساند لومومبا وثورته لارتباطها بفرنسا التي كان لها الفضل في مساعدة حكامها في الوصول الى الحكم . كما انها كانت تعرف ان مساندة الثورة الكونغولية قد يجر عليها الكثير من المشاكل ، بل انه قد ينقل المعركة الى داخل هذه البلدان نفسها . علاوة على ان هذه الدول لم تكن تنظر بعين الارتياح الى مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة بعد ان اصبحت الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر تتمتع بعضويتها الكاملة ، الامر الذي تحدد معه وبصفة قاطعة موقف هذه المؤتمرات ليكون معاديا لفرنسا .

ثم تصاعدت الازمة في الكونغو وتطورت الاحداث بسرعة حتى اصبحت الدول الافريقية الثورية وفي مقدمتها مصر طرفا في هذا الصراع وخاصة بعد ان ارسلت قواتها لتعمل هناك تحت علم الامم المتحدة وتلبية لرغبة لومومبا ونضامنا معه .

وقد دفع هذا التطور للاحداث دول المجموعة الفرنسية الى الاجتماع في ابيدجان في اكتوبر سنة ١٩٦٠ بناء على دعوة الرئيس هوخويه بوانييه لبحث موضوعات ثلاث بقصد اتخاذ موقف موحد منها في دورة الامم المتحدة . وكانت هذه الموضوعات هي الكونغو والجزائر وقبول موريتانيا في عضوية الامم المتحدة (وهو موقف كانت تعارضه دول الجامعة العربية) .

وبالنسبة لموضوع الكونغو فقد قرر المؤتمر مساندة كازافوبو ضد لومومبا . اما بالنسبة للجزائر فقد تقرر اتخاذ موقف متحفظ في الامم المتحدة من هذه القضية وكان ذلك بطبيعة الحال في صالح فرنسا . واخيرا بالنسبة لموريتانيا تقرر تأييد انضمامها الى عضوية الامم المتحدة .

وكان نتيجة هذه القرارات ان حدث انقسام خطير بين المجموعة الافريقية في الامم المتحدة ترتب عليه اعتراف المنظمة الدولية بوفد كازافوبو ممثلا شرعيا للكونغو ضد رغبة الدول الافريقية الثورية التي كانت تريد ان يكون الاعتراف بوفد لومومبا . كما ترتب على هذه القرارات ايضا اضعاف تأييد الامم المتحدة للقضية الجزائرية في تلك الدورة . وقد اعتبرت هذه النتائج نجاحا المجموعة الفرنسية التي اثبتت قدرتها وفاعليتها في الامم المتحدة .

ورغم ان موريتانيا لم تحصل على عضوية الامم المتحدة في تلك الدورة الا ان ذلك كان نتيجة استخدام الروس لحق الفيتو في مجلس الامن تأييدا لموقف

الدول العربية من هذه القضية .

وقد ادى انقسام المجموعة الافريقية في الامم المتحدة الى انقسام خطير في افريقيا نفسها وبدء ظهور التكتلات الافريقية المتصارعة .

ففي ديسمبر من نفس العام (١٩٦٠) اجتمع رؤساء دول المجموعة الفرنسية في برازافيل — ولا بد انهم كانوا يشعرون بنوع من الزهو لما حققوه من نتائج في الدورة الاخيرة للامم المتحدة — وادى هذا الاجتماع الى تكوين ما سمي « بمجموعة برازافيل » واعلان هذا التكتل الجديد بصفة رسمية وهو ما اصبح يعرف بعد ذلك بالاتحاد الافريقي الملجاشي . U. A. M.

واعتبر هذا التكتل نكسة كبيرة للوحدة الافريقية ، فهو تكتل قائم على وحدة اللغة ووحدة الانتماء لاستعمار واحد قبل الاستقلال . وهذا مفهوم يؤدي انتشاره دون شك الى قيام تكتلات اخرى متنافرة ، وهو تكتل يرفض تماما وحدة العمل الثوري .

وكان من الطبيعي ان يقوم في مواجهة هذا التكتل تكتل اخر من الدول الافريقية التي تؤمن بوحدة العمل الثوري . فقد اعلن بالفعل ميثاق الدار البيضاء في يناير سنة ١٩٦١ بين خمس دول هي مصر وغانا وغينيا ومالي والمغرب بالاضافة الى حكومة الجزائر المؤقتة . وكانت هذه هي الدول التي قادت الثورة في افريقيا — وجميعها كانت تؤيد الثورة في الكونغو بزعامة لومومبا وتؤيد بطبيعة الحال الثورة الجزائرية .

وبظهور هذه التكتلات انتهت بصفة نهائية مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة التي كان اولها في اكرا عام ١٩٥٨ واخرها في ليوبولدفيل في اغسطس سنة ١٩٦٠ .

وقد جاء مكملا لهذه المؤتمرات التي قامت على المستوى الرسمي ، سلسلة اخرى من المؤتمرات ولكن على المستوى الشعبي عرفت بأسم « مؤتمر كل الشعوب الافريقية » A. A. P. C. عقد اولها في اكرا في ديسمبر سنة ١٩٥٨ . واريد لها ان تكون التنظيم الشعبي لمؤتمرات الدول الافريقية المستقلة وقاعدتها العريضة التي تشمل كل اتحاد القارة لاقتصار الاولى على الدول الافريقية المستقلة فقط .

وقد حضر المؤتمر الاول وفود عن ٢٨ اقليم ودولة افريقية ممثلين للاحزاب السياسية وحركات التحرير ونقابات العمال . وتقرر عمل سكرتارية دائمة لهذا المؤتمر مقرها اكرا .

وعن الوحدة الافريقية ذكر المؤتمر ولاول مرة فكرة اقامة « كومنولث للدول الافريقية » كهدف نهائي يجب العمل على تحقيقه . كما شجع قيام الاتحادات الفيدرالية الاقليمية بشرط الا تتعارض مع الفكرة النهائية لاقامة الكومنولث الافريقي ، واعتبر مثل هذه الاتحادات الاقليمية خطوة اولى نحو

تحقيق الهدف النهائـي .

وقد جاء هذا المؤتمر الاول لكل الشعوب الافريقية اشبه ما يكـــون بمظاهرة سياسية شعبية على مستوى القارة كلها لتأكيـد حـق الشعـوب الافريقية في الاستقلال واعلان تصميمها على نيل حريتها واعتبار ذلك امـــرا ضروريا لتحقيق الوحدة الافريقية . وقد كان هذا المؤتمر فرصة عظيمة التقـى فيها زعماء حركات التحرير بعضهم ببعض كما التقوا بزعمـــاء ومسؤولـين سياسيين من الدول الافريقية المستقلة . فقد كانت هذه هي المرة الاولى التي التقى فيها بباتريس لومومبا الزعيم الكونغولي الذي كان يخرج من بلاده للمرة الاولى وكانت هذه بداية علاقة متينة بين مصر والحركة الوطنية في الكونغو .

وقد جاء هذا المؤتمر ايضا فرصة لانتقال الافكار الثورية الى داخـــل القارة تشجيعا لزعماء حركات التحرير الذين اكتشفوا انهـــم لم يعـودوا يناضلون بمفردهم . وقد ذكرنا من قبل كيف تطورت الحركة الوطنيـــة في الكونغو بعد عودة لومومبا من هذا المؤتمر واعلانه تأييد الشعب الكونغـولي لقرارات مؤتمر اكرا التي تطالب بالاستقلال الفوري لكل افريقيا ، فكانت هذه هي البداية التي ادت الى احداث يناير سنة ١٩٥٩ وتطورت بعدها الحركـة الوطنية تطورا سريعا ادى الى استقلال الكونغو بطريقة مفاجئة اذهلت العالم كما سبق ان اوضحنـــا من قبـــل .

وعقد المؤتمر الثاني لكل الشعوب الافريقية في تونس في يناير سنة ١٩٦٠ وكان هذا المؤتمر اقل في اهميته من المؤتمر الاول ، كما جاءت قراراتـــه اقـــل منه ثورية . فبالنسبة للكاميرون على سبيل المثال اتخذ قرارا مائعا مراعـــاة لحكومة الكاميرون التي كانت قد استقلت . ولم يستثنى من ذلك سوى قرار عن الجزائر جاء غاية في الثورية اذ اشتمل على توصية بتكويـــن فرقـــة مـــن المتطوعين الافارقة لحرب التحرير الجزائرية وناشد المؤتمر الدول الافريقيـــة المستقلة ان تقدم التسهيلات اللازمة لتحقيق هذه التوصيـــة . الا ان الحبيب بورقيبة عاد وافسد هذا القرار عندما اعلن عن استنكاره له واعتبره مجرد دعاية ، واعلن ان تونس لن تسمح بتواجد مثل هذه الفرقة على ارضها .

وقد كان هذا المؤتمر هو الاخير في سلسلة مؤتمرات الشعوب الافريقية التي عقدت تحت مظلة مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة . ولكن عقد مؤتمر ثالث واخير جاء بعد انتهاء مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة وظهور التكتلات السياسية في القـــارة .

ميثاق الدار البيضاء ومرحلة التكتلات السياسية في افريقيا :

جاء اعلان ميثاق الدار البيضاء من خمس دول افريقية هي مصر والمغرب وغانا وغينيا ومالي والحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر ، علامة بارز في تاريخ الوحدة الافريقية فقد جسد هذا الميثاق الفكري الثوري الوحدوي في افريقيا دون ان تفسده تنازلات تمليها الرغبة في الحفاظ على الشكل العام لوحدة الدول الافريقية بجميع اتجاهاتها وذلك بعد ان كان قد تحطم هذا الشكل بالفعل منذ قيام تكتل برازافيل ومقاطعة دوله من قبل لاجتماعات الدول الافريقية المستقلة .

فقد جاء هذا اللقاء في الدار البيضاء بين دول سبق ان التقت ارادتها بالفعل من خلال مواقف ثورية واحدة في ازمة الكونغو التي اعتبرتها هذه الدول معركة بين القوى الوطنية الثورية في افريقيا من جانب قوى الاستعمار والامبريالية والاحتكارات الاستعمارية من جانب اخر . كما انها جميعها عندما هبت لمساندة القوى الوطنية في الكونغو ممثلة في لومومبا ، فعلت ذلك باسم الوحدة الافريقية وتأصيلا للمفهوم الثوري لهذه الوحدة .

وعندما اجتمع رؤساء هذه الدول في الدار البيضاء في يناير سنة ١٩٦١ بناء على دعوة الملك محمد الخامس ملك المغرب ، كان ذلك بقصد بحث موقف بلادهم من ازمة الكونغو ومن تواجد قواتهم تحت قيادة الامم المتحدة في الكونغو . وكانت هذه الدول نفسها ترى ضرورة اتخاذ موقف موحد لوقف المد الرجعي في افريقيا الذي كانت قد ظهرت بوادره في دورة الامم المتحدة الاخيرة بتواجد تكتل دول المجموعة الفرنسية ثم قيام مجموعة برازافيل بعد ذلك بصفة رسمية . وكان هذا هو السبب الرئيسي الذي وقع الرؤساء من اجله ميثاق الدار البيضاء وقامت بسببه منظمة سياسية تضم دولهم لتتولى قيادة العمل الثوري في افريقيا وتدعم الوحدة الافريقية بمفهومها الثوري .

وقد نص ميثاق الدار البيضاء على قيام لجنة سياسية من رؤساء الدول المشتركة ولجنة اقتصادية من وزراء الاقتصاد ، واخرى ثقافية من وزراء التعليم . كما نص على انشاء قيادة افريقية مشتركة عليا من رؤساء الاركان في جيوش هذه الدول بقصد : « .. الدفاع المشترك عن افريقيا في حالة العدوان على اي جزء من القارة وكذلك حماية استقلال الدول الافريقية » .

وكان اهم ما تميزت به منظمة الدار البيضاء فيما يتعلق بالوحدة الافريقية:

أولا : انها تشتمل على دول ناطقة بالفرنسية مثل غينيا ومالي ، واخرى ناطقة بالانجليزية مثل غانا ، علاوة على دول عربية . وكان في ذلك تأكيد على استمرار التمسك بالوحدة القارية بعكس مجموعة برازافيل التي جعلت من

اللغة اساسا لوحدتها (وحدة الفرانكوفون) .

وقد نص البروتوكول المنفذ لميثاق الدار البيضاء الذي وقع في القاهرة في مايو سنة ١٩٦١ على فتح باب العضوية لجميع الدول الافريقية التي تقبل احكام الميثاق والبروتوكول الخاص به . وبذلك اعتبرت هذه الدول ان تنظيمها هذا هو النواة الحقيقية لتحقيق الوحدة الافريقية الشاملة . وقد نص ميثاق الدار البيضاء على « تأكيد دولة لثقتها في مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة ومناشدتها لجميع الدول الافريقية المستقلة مشاركتها جهودها من اجل تحرير افريقيا وبناء وحدتها » .

ثانيا : اعلن ميثاق الدار البيضاء — بكل وضوح — التزام دوله الكامل بالخط الثوري وتعهد دوله متضامنة بتصفية الاستعمار . فقد نص الميثاق على : « التصميم على تحرير الاراضي الافريقية التي ما زالت تحت السيطرة الاجنبية وذلك باعطائها العون والمساعدة لانهاء الاستعمار والاستعمار الجديد في جميع اشكاله . . » ثم نص كذلك على « . . الاعلان عن ضرورة توجيه الدول الافريقية المستقلة لسياستها الاقتصادية والاجتماعية بالشكل الذي يضمن استغلال ثرواتها الوطنية من أجل صالح شعوبها وضمان توزيع هذه الثروات توزيعا عادلا بين رعاياها » .

وكان معنى ذلك ان الوحدة التي اختارتها هذه الدول هي وحدة قائمة على الثورة بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا شك ان الدعوى لاضافة البعد الاجتماعي للثورة الافريقية والوحدة الافريقية كان امرا له جاذبيته وتأثيره لصدور هذه الدعوة من دول في معظمها كانت قد خطت بالفعل خطوات واسعة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية وكان ذلك واضحا في حالة مصر وغانا وغينيا .

ثالثا : اعلن الميثاق التزام دوله بسياسة عدم الانحياز كما اعلن عن « معارضة دوله لتواجد القوات الاجنبية واقامة القواعد التي تعتبر خطرا على تحرير افريقيا » .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي ينص فيها على سياسة عدم الانحياز باعتبارها سياسة تدخل في صميم الحركة الافريقية واعتبارها اساسا من الاسس اللازمة لتحرير افريقيا والحفاظ على استقلال دولها وتخليصها من الاستعمار والاستعمار الجديد . وكانت منظمة الدار البيضاء بذلك هي اول تنظيم يقوم في افريقيا يتبنى هذه السياسة .

ومنذ هذا التاريخ اعتبرت هذه الدول — اعضاء الميثاق — سياسة عدم الانحياز احدى الدعائم الاساسية للوحدة الافريقية وناضلت من اجل تأكيد هذا المفهوم بأعتباره امرا ضروريا لتأكيد الشخصية الافريقية المستقلة .

وقد كان هذا نجاحا كبيرا لعبد الناصر شخصيا وتعزيزا لمكانته الدولية

باعتباره احد الاقطاب الثلاثة في العالم لهذه السياسة وخاصة وان المؤتمر الاول لرؤساء دول عدم الانحياز لم يكن قد عقد بعد « وكانت سياسة عدم الانحياز ما زالت فكرة يتبناها ويتولى مسؤولية الدعوة لها الزعماء الثلاثة نهرو وتيتو وعبد الناصر .

وهكذا نجد ان الاعلان عن ميثاق الدار البيضاء جاء بمثابة تكوين قيادة جديدة في افريقيا من زعماء الثورات الوطنية الاساسية في القارة ، عبد الناصر ونكروما وسيكوتوري ومديبو كيتا وقيادة الثورة الجزائرية ، وهي زعامات استحوذت على اعجاب الشعوب الافريقية كلها لمقاومتها للاستعمار والسيطرة الاجنبية ، ولما حققته داخل بلادها من انتصارات في هذا المجال .

وكانت الجماهير الافريقية مهيئة للسير وراء هذه القيادة التي اعلنت اهتمامها بالثورة في افريقيا كلها وعزمها على تحرير القارة من السيطرة الاجنبية . وقد كان ميثاق الدار البيضاء في حقيقة الامر يخاطب الشعوب الافريقية قبل مخاطبته لحكوماتها ، وكان يستحثها على الثورة ضد كل الوان السيطرة الاجنبية بجميع اشكالها بأعتبار ان ذلك هو السبيل الى تحقيق وحدة افريقيا .

ولتأكيد هذا المعنى الشعبي والثوري عقد في القاهرة في مارس سنة ١٩٦١ المؤتمر الثالث لكل الشعوب الافريقية ، حضره حوالي ٢٠٠ وفد ممثلين لجميع حركات التحرير الافريقية والتنظيمات الوطنية في المناطق الغير مستقلة والتنظيمات السياسية في الدول الثورية . كما حضرته تنظيمات معارضة من الدول الافريقية التي عرفت بالحكومات بالتحفظ ، وكان من بينها تنظيمات ثورية وطنية راديكالية لا تعترف بالحكومات الجديدة في بلادها وتعتبرها حكومات عميلة للاستعمار . من امثال هذه حركة SWABA بزعامة جيبو بكارى في النيجر وحزب اتحاد شعب الكاميرون .U. P. C الذي كان يقود الثورة في الكاميرون حتى ذلك الوقت .

وقد جاءت قرارات هذه المؤتمر متطرفة وقاطعة في ثوريتها ، ولم يؤخذ بأي حلول وسط مراعاة للحكومات الرجعية او المعتدلة على غرار ما حدث في مؤتمر الشعوب الافريقية الثاني في تونس (يناير سنة ١٩٦٠) .

واتخذ المؤتمر قرارا قويا بالنسبة للكونغو ايد فيه الثورة ، وذهب الى حد تحميل السكرتير العام للامم المتحدة « داج همرشولد » مسؤولية مقتل لومومبا واعتبر باتريس لومومبا بطل افريقيا . وجاءت جميع القرارات عاكسة لحقيقة الثورة الافريقية في كل مكان من القارة .

وقد كان أهم قرارات هذا المؤتمر على الاطلاق ذلك القرار المتعلق « بالاستعمار الجديد » الذي عرفه المؤتمر تعريفا ما زال يوصف بأنه أهم وادق تعريف للاستعمار الجديد الذي ارتبط — حسب هذا التعريف — بدول

الاستعمار الغربي بالاضافة الى الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل وجنوب افريقيــا .

وكان واضحا ان مؤتمر كل الشعوب الافريقية قد اصبح التنظيم الشعبي لمنظمة الدار البيضاء ، بعد ان كان يعتبر من قبل امتدادا لمؤتمرات الـــدول الافريقية المستقلة او التنظيم الشعبي لها .

وترتب على ميثاق الدار البيضاء ان اطلقت كل من غانا وغينيا يدها في مساعدة الحركات المعارضة الراديكالية في دول غرب افريقيا وخاصة في الدول الناطقة باللغة الفرنسية .

اما مصر فقد ركزت على مساعدة الحركات الوطنية والتحريرية فـي المناطق الغير مستقلة ومساعدة الثورة في الكونغو ، وزادت من مساعداتهـا هذه . كما وضعت القاهرة الكثير من امكانياتها في خدمة الثورة الافريقيـة ، وقدمت المساعدات الاقتصادية للدول الافريقية التي كانت تعمل على تحريـر اقتصادها — وقد افردنا فصلا خاصا بهذا الموضوع .

ولا شك ان قيام منظمة الدار البيضاء قد اعطى الثورة الافريقية دفعـة قوية اوقفت المد الرجعي الذي كان يخشى منه بعد ظهور مجموعة برازافيل — واصبحت مجموعة دول الدار البيضـاء هي التجسيد الحي لضمير الشعـوب الافريقية المعبرة عن أمانيها . هذا في الوقت الذي اصبح من الواضح فيه ان مجموعة برازافيل ما هي الا تكتل لبعض الدول التي لم يكتمل استقلالها ، وان كل ما بينها ما هو الا مجرد اتفاق بين حكومات تخشى ثورة شعوبها اكثر مـن اي شيء اخر ، وكانت معظم هذه الحكومات مـا زالت تعتمـد على القوات الفرنسية لحماية وجودها واستمرارها في السلطة .

وبقيام منظمة الدار البيضاء اشتعل الحماس من جديد للوحدة الافريقيـة وظهرت جهود كثيرة لاعادة توحيد دول القارة بعضها كان مخلصا لفكرة الوحدة كتلك الجهـود التي كان يقوم بهـا سيلفانوس اوليمبيو رئيس التوجو ، وهيلاسيلاسي امبراطور اثيوبيا ، وبعضها كان يريد بها اصحابها القضاء على تكتل الدار البيضاء بأي شكل . فقد اراد تفاوا باليو رئيس وزراء نيجيريا على سبيل المثال ان يدعو لمؤتمر تحضره جميع الدول الافريقية المستقلة جنـوب الصحراء ، وكان يقصد بذلك ابعاد الدول العربية والعودة الى فكر وحـدة افريقيا السوداء . ولكنها كانت دعوة قد سبق لها ان هزمت ولم يعد من الممكن بعثها من جديد .

وكانت هناك مبادرات ومحاولات اخرى اقل أهمية قام بها آخرون مـن امثال هوفويبه بواتييه رئيس جمهورية ساحل العـاج والرئيس السنغالي ليوبولد سنغور .

واخيرا وجهت الدعوة لمؤتمر منروفيا الذي عقد في ٨ مايو سنة ١٩٦١ . وجهت هذه الدعوة باسم رؤساء دول ليبيريا وتوجو ونيجيريا وساحل العاج والكاميرون ودعيت جميع الدول الافريقية وكان عددها وقتئذ ٢٧ دولة — فيما عدا الكونغو وحضر المؤتمر عشرون دولة افريقيـــة ، وامتنعت ست دول هي دول الدار البيضاء الخمس بالاضافة الى السودان الذي اعلنت حكومته انهـا قاطعت المؤتمر تضامنا مع المغرب احتجاجا على دعوة موريتانيا . أمـا دول الدار البيضاء الخمس فلم تكن ترغب في تمييع موقفها من جديد مـن اجـل وحدة شكلية تكون الدول الثورية فيها قلة . وعندما اجتمعت دول منروفيـا للمرة الثانية في لاجوس (في ٢٥ يناير سنة ١٩٦٢) امتنعت ايضا دول الدار البيضاء عن الحضور محتجة هذه المرة بعدم دعوة الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائـر .

وهكذا نشأ تكتل جديد في افريقيا هو ما عرف بمجموعة منروفيا وهو تكتل قام في واقع الامر في مواجهة مجموعة الدار البيضاء .

وكان من أوجه الخلاف الرئيسية بين المجموعتين هو مفهوم الوحـــدة الافريقية او التضامن الافريقي . فمجموعة منروفيا اهتمت بالشكل العام للوحدة وكان تركيزها الاساسي كما وضح في اعلان منروفيا (١٢ مايو ١٩٦١) على مبدأ عدم تدخل الدول الافريقية في شؤون بعضها الداخلية . ووضع الاعلان ست مبادىء تحكم علاقة الدول الافريقية ببعضها هي :

١ — المساواة التامة بين جميع الدول الافريقية .
٢ — عدم التدخل في شؤون الدول الداخلية .
٣ — احترام سيادة كل دولة .
٤ — ادانة اي اعمال تخريبية خارجية تتم بواسطة دول مجاورة .
٥ — تنمية التعاون بين الدول الافريقية على ان يكون هذا التعـاون مبنيا على اساس التسامح والتضامن وحسن الجوار وتبادل الاراء وعدم قبول زعامة اي دولة .
٦ — ان الوحدة المنشودة حاليا ليست الوحدة السياسية الاندماجيـة بين الدول الافريقية ذات السيادة .

كما نص الاعلان كذلك على تعهد دولة بالامتناع عن تشجيع الجماعـات والافراد المنشقة وعدم السماح لهم باستخدام اراضيها كقاعـــدة لنشاطهم التخريبي والامتناع ايضا عن تمويل هؤلاء المنشقين او تقديم اي مساعدة لهم .

ويلاحظ من هذه المبادىء التي اعلنها المؤتمر ان تجربة الكونغو كانت ماثلة دائما امام هذه الدول وهي تتخذ قراراتها . فهي بهذه المقاييس التي اعلنتهـا تدين المساعدات الافريقية التي قدمت لثورة الكونغو وكذلك المساعدات التي كانت تقدم لثوار الكاميرون وللمعارضة في النيجر واماكن اخرى . كان تركيز

هذه الدول الاساسي على أمن وسيادة الحكومات القائمة .

اما مجموعة الدار البيضاء فقد كان اهتمامها اساسا بمضمون الوحدة وليس بشكلها وهي لم تعد تعتبر الوحدة الافريقية في حد ذاتها هدفا ، وانما اصبحت تعتبرها وسيلة لتحقيق الثورة الافريقية بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ولذلك جاء تركيزها الاساسي على تحرير القارة من الاستعمار ومقاومة الاستعمار الجديد وكل انواع السيطرة الاجنبية .

وكان اهم ما تميز به تجمع الدار البيضاء هو التجانس بين دوله ، فهناك تطابق في سياساتها الخارجية وتشابه في ظروفها الاقتصادية والاجتماعية وتجمعها قبل كل شيء روح التحدي للاستعمار والقوى الاجنبية التي تريد استمرار سيطرتها على مقدرات افريقيا . وقد جعل هذا التجانس من منظمة الدار البيضاء بناء متماسكا قادرا على تنفيذ الاهداف التي قامت من أجلها ، كما جعلها صالحة لان تكون نواة لوحدة افريقية قائمة على اساس ثوري .

ورغم تفوق مجموعة منروفيا من ناحية عدد الدول المشتركة ، الا ان بناءها جاء مفككا ضعيفا للتباين الكبير بين دولها ولارتباط كثير من هذه الدول بقوى استعمارية واحتكارية متعددة تختلف مصالحها في كثير من الاحيان . ولم يذب تكتل برازافيل داخل مجموعة منروفيا ، ولكنه بقي متماسكا وان كان مبعث هذا التماسك في حقيقة الامر هو ارتباط جميع دوله بفرنسا واعتمادها عليها اقتصاديا وعسكريا وسياسيا . وهكذا ظهرت التكتلات السياسية في افريقيا واستمرت قائمة الى ان قامت منظمة الوحدة الافريقية .

قيام منظمة الوحدة الافريقية :

رغم الانقسامات التي كانت قائمة في افريقيا ووجود المجموعات المتعارضة الا ان الحماس للوحدة الافريقية لم يفتر ابدا . واستمرت الجهود من اجل تحقيق هذه الوحدة تتخذ اشكالا ومجالات عديدة بعضها متعارض وبعضها متجانس ، ومنها ما هو اقليمي وما هو قاري ، والبعض يرتبط بنشاط الحكومات والاخر شعبي عبرت عنه اتحادات العمال والتنظيمات الشبابية والنسائية وغيرها مما لا يتسع المجال لسرده في هذا البحث .

وقد كان هذا التفاعل او الفوران من اجل الوحدة الافريقية امرا ضروريا ومرحلة لازمة ليكسر فيها الافارقة الحواجز التي انشأها الاستعمار فيما بينهم وحتى تتبلور فيها الصيغة المناسبة والممكنة لهذه الوحدة .

وفي ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣ امكن عقد مؤتمر على مستوى القمة لجميع دول القارة في اديس أبابا بعد ان اصبح ذلك ممكنا بالانتهاء المؤقت لمشكلة الكونغو عندما انتهى الانفصال في اقليم كاتنجا وهرب تشومبي الى اوروبا . كما كانت الجزائر قد حصلت على استقلالها وبذلك زالت اهم العقبات التي حالت من قبل دون عقد هذا الاجتماع والذي كان الغرض الاساسي منه ايجاد الصيغة المناسبة لوحدة افريقيا .

وعندما وصل الوفد المصري برئاسة جمال عبد الناصر الى اديس ابابا كان المشروع الذي يحمله لتحقيق هذه الوحدة يتلخص في اقامة جامعة افريقية على غرار الجامعة العربية . وكان عبد الناصر يرى ان هذه هي الصيغة الوحيدة الممكنة في ذلك الوقت للحفاظ على الاطار القاري للوحدة . واصبح متحمسا لتحقيق هذه الفكرة حتى ولو كان ذلك على حساب منظمة الدار البيضاء وذلك للاسباب التالية :ـ

اولا : ان كثيرا من المبادىء الرئيسية التي اقرتها مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة ومنظمة الدار البيضاء ، مثل تصفية الاستعمار ، ومقاومة السيطرة الاجنبية ومحاربة العنصرية وحتى سياسة عدم الانحياز اصبحت مبادىء مستقرة في ضمير الشعوب الافريقية ولم يعد من الصعب اقرارها داخل هذا التجمع الافريقي الشامل .

ثانيا : ان هذا التجمع الشامل اذا قام فمن المؤكد ان القيادة فيه ستكون للدول الثورية فهي الاكثر قدرة على الحركة والتعبير عن اماني الشعوب الافريقية ، كما ان عدد هذه الدول الثورية كان قد زاد باستقلال دول شرق افريقيا .

ثالثا : ان قيام مثل هذه الجامعة الافريقية سيمكن افريقيا من ان تلعب دورا هاما ومؤثرا في السياسة الدولية وتحقيق السلام العالمي اللازم لتأمين سلامة دول العالم الثالث .

رابعا : كان الصراع بيننا وبين اسرائيل في افريقيا قد اصبح على اشده، ووجد عبد الناصر ان ارتباطنا بجميع دول افريقيا في منظمة سياسية واحدة من شأنه ان يعطينا ميزة هامة في التغلب على اسرائيل ويمكن استغلال هذه الميزة في مقاومة التوسع الاسرائيلي في القارة الافريقية .

وانتهى مؤتمر القمة في أديس ابابا حاويا لجميع المبادىء الاساسية التي نادت بها الدول الثورية في افريقيا ، بل ذهب الميثاق الى حد انشاء لجنة لتحرير افريقيا عرفت باسم « لجنة التنسيق » تألفت هذه اللجنة من تسع دول منها مصر بهدف تقديم كل المساعدات الممكنة لحركات التحرير الافريقية وتنسيق العمل العسكري وتنشيط حروب التحرير . وتقرر ان تساهم جميع الدول

الافريقية في تمويل هذه اللجنة ونشاطها .

وكان معنى ذلك اطلاق يد الدول الثورية والتي تألفت منها لجنة التحرير في معظمها للعمل على تصفية الاستعمار وذلك بأسم دول افريقيا كلها بـــل ومساهمتها ومشاركتها . واتخذت دار السلام مقرا لهذه اللجنة . ولا شك في ان هذه كانت خطوة كبيرة نحو تعزيز الثورة الافريقية فقد فتحت تنزانيا ابوابها لحركات التحرير واقامت المعسكرات باسم لجنـــــة التحريـــر لتدريب الاف الافريقيـــين .

واقر ميثاق المنظمة سياسة عدم الانحياز وجعلها ركنــــا من اركـــان السياسة الخارجية للدول الافريقية . وصحيح ان بعض الـــدول الافريقيـــة وقتئذ لم تكن مستوفية للشروط الواجب توافرها في دولـــــة عـــدم الانحيـــاز بالمقاييس التي وضعتها مؤتمرات عدم الانحياز من قبل ، الا ان اقرار هـــــذه السياسة في ميثاق المنظمة وبموافقة هذه الدول نفسها كان يعني تعهدا منهـــا بالعمل على التخلص من اي ارتباطات تجعلها في عداد الدول المنحازة .

ولا شك ان دخول افريقيا كلها في هذا النطاق ، نطاق دول عدم الانحياز كان كسبا عظيما لهذه السياسة كما كان انتصارا كبـــيرا لجمال عبـــد الناصر ولمصر التي وضح مدى قدرتها على التأثير في مختلف المجالات الدولية .

وقد جاء ميثاق المنظمة مرضيا ايضا لمجموعة دول منروفيا . فقد تضمن الميثاق الكثير من المبادىء الاساسية التي كانت محورا لنشاط هذه المجموعـــة عندما اجتمعت في منروفيا ولاجوس من قبل ، واقصد بها مبادىء عدم التدخل في الشؤون الداخلية واثارة الفتن في الدول الاخرى . كما اقر الميثاق ايضا مبدأ هاما في هذا الاتجاه ، وهو احترام الحدود السياسية القائمة في افريقيا . حيث ان معظم الحدود بين الدول الافريقية قـــــد قامت على اساس المصالـــــح الاستعمارية فقط دون اعتبار حقيقي للاوضاع الجغرافية او لتوزيع السكان ، الامر الذي جعل من النادر ان ترى دولة افريقية وقد خلت من مشاكل الحدود مع جيرانها . ولذلك فقد كان اقرار هذا المبدأ ضروريا لمنع التدخل في شؤون الغير ووقف اعمال التخريب واستضافة الدول لعناصر الهدم والتخريب مـــن الدول الاخرى المجاورة . وهذا ما كانت تسعى اليه دائما دول منروفيا وخاصة دول المجموعة الفرنسية التي كانت تتهم غانا وغينيا باستضافة القوى المضادة وتشجيعها على اعمال التخريب .

وبقيام منظمة الوحدة الافريقية انتهى عمل منظمة الدار البيضاء وانتهـــى كذلك عمل مؤتمر كل الشعوب الافريقية وانتهت التكتلات السياسية من أفريقيا التي قسمت القارة الى كتلة الدار البيضاء وكتلة منروفيا .

اما المجموعة الفرنسية او اتحاد افريقيا وملجاش U. A. M. فلم يعلن حلها الا في مارس سنة ١٩٦٤ في داكار : وقامت بدلا منها منظمة غير سياسية

اطلق عليها الاتحاد الافريقي الملجاشي للتعاون الاقتصـــادي

واعلن الرئيس الموريتاني وقتئذ مختار ولد داده « .. ان المجـــال السياسي يجب ان يترك لمنظمة الوحدة الافريقية » .

واصبحت المنظمة هي الصيغة المعترف بها من جميع دول افريقيا والتي تعمل الوحدة الافريقية في اطارها . ولكن ذلك لم يعن انتهـــاء الصراع بين الدول التقدمية الثورية والدول المحافظة ، فقد انتقل هذا الصراع الى داخـــل المنظمة نفسها ، فالمجموعة الاولى تريد ان تجذب افريقيا كلها من خلال المنظمة نحو الثورة الشاملة والتحرر الكامل والمجموعة الثانية تريد ان تجعل مـــن المنظمة قيدا للحد من اندفاع الثورة . وكان هذا هو الذي دفع بعض التنظيمات المعارضة وخاصة في دول المجموعة الفرنسية الى مهاجمة فكرة إلتقاء الـــدول الثورية بالدول المحافظة خوفا من ان يكون ذلك على حساب الثورة الافريقيـــة نفسهـــا .

وقد كتب هاماني ديوري رئيس حزب سوابا Swaba (١) في النيجر مقالا بعنوان « الوحدة الثورية » نشر في جريدة الثورة الافريقية الجزائريـــة (فبراير ١٩٦٣) قال فيه : « .. واخيرا يجب الا تصبح الوحدة الافريقيـــة نوعا من الاتحاد النقابي لرجال السلطة يبتغون تأييد بعضهم البعض لمقاومـــة التيارات الشعبية » .

ولكن السنوات التالية اثبتت ان هذه التخوفات لم تكن في محلها فقـــد انتعشت الثورة الافريقية بشكل ملحوظ في اعقاب قيام منظمة الوحدة الافريقية وذلك في المناطق الغير مستقلة في انجولا وموزمبيق وغينـــا بيساو وجنـــوب افريقيـــا . كما ظهرت عدة انقلابات وثورات في افريقيا الفرنسية اختفت على اثرها بعض الحكومات الرجعية كما حدث في الكونغو برازافيل التي كانت تسمى المجموعة الفرنسية باسم عاصمتها . فقد قامت في برازافيل حكومـــة ثورية بعد الاطاحة في اغسطس سنة ١٩٦٣ بحكم الاب يولو اهم زعمـــاء المجموعة المرتبطة بفرنسا الامر الذي افقد هذه المجموعة توازنها لبعض الوقت وخاصة وان انقلابا آخر حدث في داهومي في اكتوبر من نفس العام . وحدثت محاولتا انقلاب فشلتا احدهما في ساحل العاج في اواخر اغسطس والاخرى في السنغال في ديسمبر من نفس العام ثم انقلاب عسكري في جابون احبطـــه تدخل القوات الفرنسية بناء على طلب نائب رئيس الجمهورية هناك وذلـــك في فبراير سنة ١٩٦٤ .

(١) الكلمة بلغة الهوسا معناها ارض الوطن .

اما داخل المنظمة نفسها فقد امكن اتخاذ قرارات ثورية في جميع القضايا الافريقية الخاصة بالاستعمار والاستعمار الجديد والتفرقة العنصرية . ووصل الامر الى حد اتخاذ قرار بقطع العلاقات الدبلوماسية مع المملكة المتحدة لمسؤوليتها عن اعلان النظام العنصري في روديسيا للاستقلال من جانب واحد وعدم تدخل بريطانيا عسكريا لمنع ذلك (وكان ذلك في نوفمبر سنة ١٩٦٥) . ورغم انه لم يستطع تنفيذ هذا القرار سوى عشرة دول افريقية فقط منها : (مصر ، الجزائر ، كونغو برازافيل ، غانا ، غينيا ، مالي وموريتانيا والسودان وتنزانيا علاوة على الصومال التي كانت قد قطعت علاقاتها من قبل لاسباب اخرى) ، الا ان مجرد اتخاذ هذا القرار داخل المنظمة كان يعكس المدى الذي وصلت اليه سيطرة الاتجاهات الثورية على منظمة الوحدة الافريقية وقراراتها.

وقد ازعجت سيطرة هذه الاتجاهات مجموعة الدول الفرنسية التي ارتفعت منها اصوات تتهم المنظمة بانها اصبحت خاضعة لدول الدار البيضاء ، فقال المسؤولون في ساحل العاج انهم يأسفون للعجلة التي تم بها حل منظمة اتحاد افريقيا وملجاش تحت ضغط منظمة الوحدة الافريقية وانتهى الامر باعادة هذه المجموعة لتكتلها السياسي من جديد واقامة منظمة سياسية جديدة بأسم « المنظمة المشتركة لافريقيا وملجاش » O. C. A. M. ضمت مجموعة الدول الفرنسية .

وعندما عادت ازمة الكونغو من جديد واندلعت الثورة مرة اخرى لم تتردد الدول الثورية وفي مقدمتها مصر في تأييد الثوار الكونغوليين بكل قوة . ولم تكن دول الدار البيضاء هذه المرة وحدها فقد انضم اليها — في هذا التأييد — دول جديدة مثل تنزانيا واوغندا وكينيا وموريتانيا وكونغو برازافيل والصومال وبورندي وزامبيا والسودان ووصل الامر الى حد منع تشومبي وكان رئيسا لوزراء الكونغو — من حضور اجتماعات المنظمة في القاهرة عام ١٩٦٤ تلك بموافقة اغلبية اعضاء المنظمة .

وبعد الغزو البلجيكي الامريكي للكونغو في عام ١٩٦٤ صوتت عشرون دولة افريقية (من مجموعة ٣٥ دولة مستقلة) في الامم المتحدة ضد هذا الغزو الذي تم بالاتفاق مع تشومبي رئيس الوزراء .

وكان هذا كله دليلا كافيا على ان منظمة الوحدة الافريقية لم تصبح قيدا على الثورة الافريقية . فلم يكن عبد الناصر ولا نكروما ولا سيكو توري ولا نيريري .. من القادة الذين يمكن ان يتركوا الجوهر الثوري للوحدة الافريقية من اجل الحفاظ على مجرد شكل هذه الوحدة . فعندما اصطدم الجوهر بالشكل كانوا دائما مع الجوهر ، وهذا ما حدث تماما في ازمة الكونغو التي كادت ان تعصف تماما بمنظمة الوحدة الافريقية الوليدة .

وقد حرص عبد الناصر على حضور جميع اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية على مستوى القمة منذ قيامها حتى نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ . وكانت هذه الاجتماعات دائما فرصة يلتقي فيها عبد الناصر ببقية الرؤساء الافارقة الامر الذي افاد كثيرا في اقامة علاقات ثقافية ممتازة بين مصر ومعظم دول القارة كما افاد في ايجاد التقارب بيننا وبين دول المجموعة الفرنسية التي استطاعت الدعاية الفرنسية ، طوال فترة حرب الجزائر ، ان تصور عبد الناصر لدى رؤسائها بصورة الزعيم المثير للمتاعب والمحرض على الانقلابات والذي يريد دائما ان يفرض رأيه وسياسته على الغير ، فكانت مفاجأة لهم جميعا في عام ١٩٦٣ اجتمعوا بعبد الناصر وشاهدوه في مؤتمر القمة وهو يقوم بدور بناء في المؤتمر بتفهم مشاكل الاخرين ويحترم اراءهم ويعرض اراءه دون ادنى صلف او غرور . رأوا عبد الناصر في صورة تختلف تماما عن تلك الصورة التي رسمتها لهم الدعاية الفرنسية طوال سنوات عديدة . وكان هذا ما قاله الرئيس الموريتاني مختار ولد داده لعبد الناصر نقلا عن زملائه رؤساء دول المجموعة الفرنسية في اول لقاء لهما .

وعقد اول اجتماع لمجلس رؤساء منظمة الوحدة الافريقية في القاهرة في بوليو سنة ١٩٦٤ فكان هذا تأكيدا لدور مصر الفعال والمؤثر في العمل من اجل تحقيق الوحدة الافريقية . وانتخب جمال عبد الناصر رئيسا للمنظمة في دورتها تلك . واذا كانت منظمة الوحدة الافريقية قد ولدت في اديس ابابا فانه قد تم بناء كيانها في اجتماع القاهرة حيث اتفق على تشكيل لجانها المختلفة .

وتم اختيار دياللو تيلي من غينيا سكرتيرا للمنظمة . ولم يكن الرئيس سيكوتوري نفسه متحمسا لهذا الترشيح واراد ان يسحبه في آخر لحظة بحجة ان اي مرشح من غينيا سيجد معارضة شديدة من دول المجموعة الفرنسية .. وكان عبد الناصر هو الذي اقنع سيكوتوري بالعدول عن ذلك بعد ان اوضح له ان اتصالاتنا تؤكد ان دياللو تيلي سيحصل على اغلبية كبيرة وكانت مصر قد وقفت منذ البداية وراء ترشيحه لما كان يتمتع به دياللوتيلي من كفاءة وديناميكية ولاتجاهاته الثورية التي عرف بها اثناء وجوده في الامم المتحدة مندوبا دائما لبلاده .

وبقيام الوحدة الافريقية (منظمة الوحدة الافريقية) ساد شعور عام بالرضا في كل انحاء القارة واعتبر الافارقة انهم توصلوا الى الصيغة المناسبة لتحقيق الوحدة الافريقية . وهدأت نسبيا الدعوة الى هذه الوحدة بأعتبار ان ما تحقق منها كان كافيا — على الاقل في ذلك الوقت — بل وربما اكثر مما توقعه الكثيرون . وأصبح شغل الزعماء الافريقيين المهتمين بالوحدة الافريقية هو الحفاظ على هذا الاطار الا واحدا هو الرئيس كوامي نكروما الذي لم يكتف بما تحقق باقامة المنظمة وظل يدعو لمشروعه في اقامة الوحدة الافريقية

في حماس زائد دون كلل او ملل .

فقد كان نكروما يحلم باقامة الولايات المتحدة الافريقية وكان يريد حكومة واحدة لكل افريقيا تقوم بشؤون الدفاع والخارجية كما يريد اقامة نظام نقدي واحد للقارة وبرلمانا لافريقيا كلها . واستمر نكروما في عرض مشروعه هذا للوحدة في جميع الاجتماعات الافريقية مرددا كلماته المشهورة في طلب الوحدة « هنا والان » حتى أصبح هذا المشروع من المشاكل المزمنة داخل منظمة الوحدة الافريقية .

فقد كان مشروع نكروما للوحدة يثير شكوك عدد كبير من الدول وخاصة الناطقة بالفرنسية التي كانت ترى انها ذهبت الى ابعد مما تريد بقبولها عضوية منظمة الوحدة الافريقية التي سيطرت عليها الدول التقدمية ، ولم تكن مستعدة لمجرد مناقشة فكرة الوحدة حتى لا تجر على نفسها المزيد من المشاكل .

وقبل انعقاد مجلس رؤساء الدول الافريقية في اكرا عام ١٩٦٥ اوفدني جمال عبد الناصر لمقابلة نكروما وتبادل الراي معه حول ما يمكن عمله لانجاح المؤتمر حيث كانت هناك محاولات من مجموعة الدول الفرنسية لافشاله ، وكان من بين ما نقلته الى نكروما راي عبد الناصر في مشروع غانا للوحدة .

فقد كان عبد الناصر يرى ارجاء هذا المشروع في ذلك الوقت وعدم مناقشته في مؤتمر اكرا لان الدول الافريقية لم تكن مهيئة بعد لمثل هذه الخطوة الدستورية . كما كان يرى ان الاصرار على فرض الوحدة اصبح يهدد وجود المنظمة ، فقادة افريقيا من الزعماء المعروفين بحماسهم الشديد للوحدة من امثال سيكوتوري وموديبوكيتا ونيريري هم انفسهم لا يؤيدون هذا المشروع .

وقلت لنكروما ان عبد الناصر يعتبر الوحدة الدستورية اصعب واعقد مراحل الوحدة وان الاصرار عليها او حتى تحقيقها قبل الاوان يؤدي حتما الى انتكاس هذه الوحدة وانه يرى ذلك من منطلق تجربته العملية مع الوحدة العربية . وانه من اجل هذا المفهوم يفضل تأجيل التفكير في اي وحدة دستورية عربية في الوقت الحالي الى ان تتهيأ لها الظروف الكاملة التي تضمن نجاحها واستمرارها .

وكان عبد الناصر يريد ان يجنب نكروما معركة فاشلة وان يقلل من نقاط الصدام داخل منظمة الوحدة الافريقية .

وكان عبد الناصر لا يرى غضاضة في قيام الوحدات الاقليمية التي تقوم على اساس جغرافي في افريقيا ولا يرى فيها اي تعارض مع وحدة افريقيا الشاملة اذا قامت هذه الوحدات من اجل المصلحة الحقيقية لشعوبها وليس خدمة لمصالح الاستعمار وبشرط الا يكون في قيامها ما يعارض المبادىء الاساسية لمنظمة الوحدة الافريقية .

وكان عبد الناصر لهذا السبب شديد الاعجاب بالرابطة التي قامت لفترة

طويلة بين دول اتحاد شرق افريقيا (كينيا واوغندا وتنزانيا) والتي استطاعت في وقت من الاوقات ان توجد التكامل الاقتصادي فيما بينها فكانت لها عملتها المشتركة ووحدت الكثير من الخدمات في الاقطار الثلاثة . وعندما اختـــار عبد الناصر شكلا للوحدة بين مصر وكل من ليبيا والسودان في عــام ١٩٧٠ لاقامة ما سمي « ميثاق طرابلس » كان في ذهنه هذا الاتحاد الذي قام وربـط بين دول افريقيا الشرقية الثلاث اعتقادا منه ان هذا النموذج هـــو افضل السبل لتنمية الوحدة والوصول بها الى الوحدة الشاملة .

ويجدر بنا الإشارة هنا الى ان الانهيار الذي اصاب اتحاد شرق افريقيا بعد ذلك ووصل الى حد وقف الخدمات المشتركة بين دوله في عام ٧٧ ثـــم الى حد الحرب بين دولتين من دوله هما اوغندا وتنزانيا في عام ١٩٧٩ هــو اختلاف العقيدة بين نظم الحكم في الدول الثلاث ، فالنظام في كينيـا سار في طريق راسمالي واعتمد في التنمية على القطاع الخاص وحده . وفي تنزانيـا اتجه نيريري نحو نظام اشتراكي نظم فيه ٩ مليون فلاح (من التعداد الكلـي ١٦ مليون) في وحدات جماعية تعاونية . اما اوغندا فان طرد عيدي امـين لـ ٥٠٠٠٠ اسيوي كانوا ركيزة اساسية لاقتصاد البلاد دون الاعداد الكافي لذلك ترك اوغندا في حالة من الفوضى مـن الناحيـــة الاقتصادية حتى ان ضروريات الاستهلاك لا يمكن الحصول عليها الا من السوق السوداء . وكانت هذه التناقضات هي التي قضت على هذا النموذج الذي ثبت نجاحه وفعاليته في وقت من الاوقات وقبل ان يصل التباين في العقيدة بين نظم الحكم الى مــا وصل اليـــه .

اين تقع الوحدة الافريقية من الوحدة العربية :

قد لا يكون لهذا السؤال معنى او للاجابة عليه ضرورة الان . ولكنه كان مطروحا وبشكل ملح عندما بدأ البحث عن الخطوات العملية لتحقيق الوحـدة الافريقية في اواخر الخمسينات وبداية الستينات . وقد كان هذا هو الوقت نفسه الذي توجت فيه الجهود الوحدوية في العالم العربي بأعلان الوحدة بين مصر وسوريـا .

فعندما توجه الوفد المصري لحضور اول مؤتمر للدول الافريقية المستقلة في اكرا عام ١٩٥٨ برئاسة الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية وقتئذ ، كان اعضاء الوفد يحملون اول جوازات سفر تخرج بأسم الجمهورية العربيـــة

المتحدة . واذكر انه عندما استقبل كوامي نكروما الدكتور فوزي — وكنت بصحبته — طلب منه ابلاغ عبد الناصر ان اسم مصر عزيز على الافارقة وانه يرجو الا يختفي هذا الاسم بعد ان تغير اسم الجمهورية . ثم قال انه لا يتصور افريقيا بدون مصر .

وكان حديث نكروما في حقيقة الامر يحمل هذا التساؤل : اين ستكون الوحدة الافريقية في سياسة مصر ؟ خصوصا وانه كان يحلم بحكومة واحدة لكل افريقيا .

ولم يكن الرد اللبق من الدكتور فوزي هو الذي اقنع نكروما بان مصر لم تتخل عن دورها ومسؤولياتها الافريقية رغم الوحدة العربية الجديدة وامتدادها الجديد خارج افريقيا ، وانما كانت سياسة مصر الافريقية واستمرار دورها في مساندة حركات التحرير هو الذي اقنع نكروما بعد ذلك واقنع معه الافارقة في جميع انحاء القارة بان الوحدة العربية لا تصرف مصر عن الاهتمام والسير في طريق الثورة الافريقية وطريق الوحدة الافريقية .

واذا كان نكروما قد اثار تساؤلاته هذه بحسن نية ، فقد كانت هناك محاولات اخرى خبيثة قامت بها القوى الاستعمارية في افريقيا وبعض الجهات التي تعمل لحسابها لمحاولة تشويه صورة العرب في القارة واثارة الكراهية ضدهم بعد ان فشلت فكرة تقسيم القارة بواسطة الصحراء شمالها عربي وجنوبها افريقي .

فكنا نرى في جامعة ماكيريري باوغندا على سبيل المثال لوحة وضعها الانجليز في مكان بارز تمثل الارساليات التبشيرية الاوروبية وقد جاءت الى افريقيا لتخلص الافارقة من الاغلال التي قيدهم بها العرب وقصد بها هنا تجارة الرقيق . وكنا نرى نفس الشيء في لوحة اخرى بعرض الحائط في متحف لفنجستون بزامبيا ، وهكذا في اماكن كثيرة وبوسائل عديدة منها مناهج التعليم التي وضعتها ارساليات التبشير وكلها تؤكد هذا المعنى ، فالعرب هم تجار الرقيق والاوروبيون هم المخلصون .

ولا اريد ان اترك هذه الاشارة دون ان اوضح ان العرب استخدموا الرقيق لاغراض تعتبر كمالية لا يقدر عليها سوى العدد القليل من امراء الاقطاع والاثرياء ، ولذلك كانت اسواق الرقيق في العالم العربي محدودة جدا اذا قيست بأسواق الرقيق في امريكا وبعض الموانىء الاوروبية . كما ان العرب الذين اشتغلوا بتجارة الرقيق كانوا يعملون لحسابهم كأفراد لا علاقة لهم بالحكومات العربية بعكس الدول الغربية التي كانت تتولى حكوماتها مسؤولية هذه التجارة تنظمها وتحميها لفترة طويلة من الزمن . حدث ذلك بالنسبة للبرتغال واسبانيا وانجلترا وهولندا ، وحققت هذه الحكومات ارباحا خيالية من وراء هذه التجارة .

كما ان تجارة الرقيق في العالم العربي لم تكن مقصـــورة على العنصر الاسود وانما تعدت ذلك الى الجواري والحسان من جنسيات مختلفة . فقد كانت مشكلة الرقيق في العالم العربي مشكلة اجتماعية في المقام الاول ولم تكن في يوم من الايام مشكلة عنصرية كما كان الحال بالنسبة لامريكا واوروبـــا الغربيـــة .

وبلغت هذه المحاولات التي تهدف الى اظهار التناقض بـــين العرب والافارقة مداها بعد قيام الوحدة بين سوريا ومصر مباشرة فكنا نسمع الاسئلة الخبيثة التي تحاول اظهار التناقض بين القوميتين العربية والافريقية . وكانت تظهر هذه الجهود مركزة في بلاد مثل الصومال وموريتانيا التي لم تكن قـــد حددت بعد مصيرها من القومية العربية . وحتى السودان لم يسلم من هـــذه الحملة الخبيثة ، فقد كانت هناك محاولات فاشلة تطرح فكرة القومية الافريقية دائما كبديل للقومية العربيـــــة وكأن على السودان ان يختار بـــين هاتين القوميتين . وكانت هذه محاولات لابعاده عن مصر .

ولكن هذه المحاولات كلها لم تستطع ان تبعد مصر او عرب افريقيا عن المضي في طريق الوحدة والتضامن الافريقي كما ان تأثيرها على الافارقة كان محدودا . ففي حقيقة الامر لا توجد قومية افريقية ــ كما سبق ان اوضحنا ــ حتى تتعارض مع القومية العربية . اما اذا اريد تفسير القومية الافريقية على انها قومية الرجل الاسود ، فنستطيع القول بأن الحركة الافريقية قد تجاوزت هذا التفكير الضيق منذ الخمسينات كما سبق ان اوضحنا تفصيلا من قبل .

ورغم فشل هذه الحملة في وقف مسار حركة الوحدة الشاملة في افريقيا الا انها كانت تسبب لنا احيانا كعرب بعض المشاكل العارضة وذلك في بداية تكوين منظمة الوحدة الافريقية . ولكن سرعان ما اختفت هذه المشاكل تماما بعد ان توطدت صلتنا بالافارقة داخل المنظمة وزالت كثير من الشكوك التـــي كانت قد بنيت على غير أساس الا من الدعايات المغرضة التي صورت بغير حق العرب وخاصة مصر على انها تريد اعادة امبراطوريتها القديمة فيافريقيا.

ففي عام ١٩٦٣ على سبيل المثال عندما اجتمعت الدول الافريقيـــة في اديس ابابا لوضع ميثاق المنظمة اعترضت بعض الوفود مثل اثيوبيا ونيجيريا وكثير من الدول الناطقة بالفرنسية على النص الذي يجعل من اللغة العربيـــة لغة عمل مع الانجليزية والفرنسية في اجتماعات واعمال المنظمة . وكانت معظم الوفود المعترضة هي من البلاد التي يكثر فيها المسلمون الذين يتكلمون اللغة العربية ، وربما كان ذلك يعكس مخاوف هذه الدول من تزايد الصلة بالعرب وانعكاس ذلك على اوضاعها الداخلية .

وعندما عجزنا عن ايجاد حل لهذه المشكلة في اللجان الفرعية ، عرض الموضوع في اجتماع الرؤساء حيث خفت كثيرا حدة المعارضة في وجود جمال

عبد الناصر شخصيا وامتنع عن الاعتراض كثيرون ممن عارضت وفودهم من قبل مثل هيلا سيلاسي . لكن سيكوتوري انبرى ــ بطريقته الثورية والعنيفة ــ يؤيد ويطالب بضرورة استخدام اللغة العربية وهاجم الرافضين لذلك ثم ذهب الى حد الاعتراض على النص الذي لم يكن واضحا ــ من جهة نظره ــ الوضوح الكافي وطلب من ان ينص صراحة على استخدام اللغة العربية شأنها في ذلك شأن اللغة الانجليزية والفرنسية .

ولم يعترض احد على اقتراح سيكوتوري سوى عبد الناصر الذي رجا سيكوتوري الا يصر على تغيير النص لان تلك العبارة والتي كانت تقول : « ... لغة العمل في المنظمة هي اللغات الافريقية كلما امكن والانجليزية والفرنسية » . هي النص الذي وضعته مصر وتريد الابقاء عليه كما هو . وكان المقصود هو لفت الانظار الى ان اللغة العربية ليست لغة دخيلة على افريقيا مثل الانجليزية والفرنسية وانما هي من لغات القارة الاصلية ، وهي بطبيعة الحال اللغة الافريقية الوحيدة الممكن استخدامها كلغة في المؤتمرات . واصبحت اللغة العربية منذ ذلك الوقت لغة رسمية ولغة عمل داخل منظمة الوحدة الافريقية .

وحدث ايضا في احد الاجتماعات التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية واثناء احدى المناقشات الحادة ، ان انفعل احد الاعضاء ــ مندوب السنغال ــ بعد ان اختلف مع الوفد المصري وهاجم مصر متهما اياها بأستغلال المنظمة لفرض سياستها على الافارقة ، ثم تساءل مستنكرا عما اذا كانت مصر تنتمي حقيقة الى افريقيا ام ان انتماءها هو انتماء عربي .

ورغم ان رئيس اللجنة وكان وزير خارجية مالي ــ اوقف المندوب عن الكلام بحجة ان حديثه خارج عن موضوع المناقشة كما انه ليس من حقه ان يشكك في الانتماء الافريقي لاحدى الدول الافريقية المؤسسة لمنظمة الوحدة الافريقية ، فقد وجدتها فرصة وقتئذ لاوضح امام هذا الجمع الافريقي راي مصر واجابتها على هذا السؤال الخبيث الذي كان يتردد تارة بحسن نية وتارة اخرى بسوء نية .

قلت وقتها ان انتماءنا عربي وافريقي في نفس الوقت فالعالم العربي هو العائلة التي ننتمي اليها . والولاء للعائلة لا يتعارض مع الولاء للمجتمع الاكبر سواء كان القبلية او العشيرة او الوطن ، وهذا ما نجده في افريقيا مجتمعنا الاكبر . ثم ان الدعوة للوحدة العربية شأنها في ذلك شأن الدعوة للوحدة الافريقية ليست دعوة عنصرية تتعارض مع بعضها . فاذا قرانا ميثاق الجامعة العربية لن نجد فيه ما يتعارض بأي شكل من الاشكال مع ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ، بل اننا سنجد تشابها كبيرا بين المبادىء التي يدعو لها كلا الميثاقين .

ولا شك ان وحدة مصر مع العرب تعتبر قوة لافريقيا فامتدادهـا الى العالم العربي خارج القارة الافريقية يضيف قوة جديدة الى القارة ، وقد لمسنا اهمية ذلك في تأييد العرب لجميع القضايا الافريقية داخل الامـم المتحـدة وخارجها . ونفس الشيء بطبيعة الحال بالنسبة للوحدة الافريقية التي تعتبر قوة للعالم العربي .

كما قلت اننا اذا كنا جميعا نؤمن بالتضامن الافريقي الاسيوي لاسباب عديدة وتسلم بها فان العرب هم همزة الوصل بين أفريقيا وآسيا .

وما أن فرغت من كلمتي هذه حتى تتابع معظم الحاضرين في توضيح مـا فعلت مصر من أجل افريقيا ومساهماتها في حركة التحرير ومساعدة الـدول في الحصول على استقلالها . وجاءت الكلمات وكأنها مظاهرة لتمجيد دور مصر في القارة وتأكيد افريقيتها . وفي نفس اليوم اعتذر وزير خارجية السنغـال الذي لم يكن حاضرا هذه الجلسة ـ عما قاله مندوبه ووصفه بأنه لم يعبر فيما قال عن راي حكومته .

ورغم ان مثل هذا الحادث لم يتكرر بعد ذلك داخل المنظمة الا انه كان يعكس شيئا من المحاولات التي كانت تبذل ضد مصر لاقصائها عن دورهـا الافريقي .

اما في مصر نفسها فقد كانت صورة الحياة التي يراها ويعيشها المواطن المصري ويلمسها ويحسها الوافد عليها وخاصة من الافارقة لا تعكس الهوية الافريقية بالقدر الكافي الذي يتناسب مع حقيقة ما كانت قد وصلت اليه مصر من مكانة خاصة في افريقيا .

فقد جاءت صورة هذه الحياة والتي يمكن ان تراهـا في مختلف دروب الفن والفكر والادب وتعكسها نشاطاتنا الثقافية والاعلامية ، جاءت في تعبيرها دون الواقع الافريقي لمصر ، ولا تعكس حقيقة انتمائنا للقارة الافريقية ، هذا في الوقت الذي كانت تفيض فيه دائما الشخصيـة العربيـة على الفكـر والوجدان المصري وتعكس الحياة المصريـة عروبتهـا في اصالـة وسخاء عظيمين .

ورغم ان هذا الوضع كان امرا طبيعيا لاسباب عديدة منها حداثة الدعوة للانتماء الافريقي والوحدة الافريقية ، الا ان ذلك كان امرا مقلقا لمن يهتم بأمر هذه الدعوة ويتعجل نتائجها .

وقد أبديت هذا القلق أمام جمال عبد الناصر في بداية عام ١٩٦٧ فوجدته مدركا لهذه الحقيقة وراغبا في علاجها ولكن جاءت الهزيمة العسكرية في عام ١٩٦٧ بعد ذلك مباشرة لتؤخر الكثير من مشروعاتنا في هذا الطريق .

خاتمـــــة

مصر بثقلها البشري والحضاري وبموقعها الجغرافي المتميز هي اكثـــر دول القارة الافريقية قدرة على القيام بدور قيادي فعال ومؤثر في سياســـة القارة بشرط ان يكون هذا الدور متفقا مع حركة التاريخ ومتمشيا مـــع روح العصر وفي اتجاه رياح التغيير المتعاظمة التي اجتاحت افريقيا منذ الخمسينات واحدثت في القارة هذا التحول العظيم الذي ارتفعت في اعقابه اعلام الاستقلال وانطلقت بسببه الثورات من اجل التحرر والخروج من سيطرة الاستعمار والامبريالية .

ولا شك ان مصر في عهد جمال عبد الناصر استطاعت ان تلعب ذلـك الدور وتصبح محورا للاحداث في القارة ومحركا لها . فقد وقف عبد الناصر دائما الى جانب قضايا الشعوب الافريقية ضد السيطرة الاجنبية ، وقضايا التقدم ضـــد التخلف ، وقضايا التحرر وتقرير المصير ضـــد الاستعمار والامبريالية والعنصرية الظالمة .

وكان لعبد الناصر حس مرهف في قدرته على استشفاف نبض الجماهير وتلمس احتياجاتها . فكان اعظم ما تميزت به سياسته الخارجية هو الارتباط الوثيق بحركة الشعوب في العالم العربي وفي أفريقيا وفي العالم الثالث كله ، ثم القدرة على تحويل هذه الحركة الى قوة يواجه بها خصومه .

فكانت حركة الشعب المصري والشعوب العربية هي التي اعادت عبد الناصر عندما تنحى في أعقاب هزيمة مصر العسكرية عام ١٩٦٧ وكانت هي القوة التي استند اليها ليواصل تحديه لقوى العنصرية والاستعمـــار والامبريالية .

ثم جاءت الثورة في السودان والثورة في ليبيا والثورة في الصومال ، جاء تـهذه الثورات وهي تعلن انها امتداد لثورة ٢٣ يوليو المصرية التي اعتبرتها الثورة الام . وجاء ذلك في أعقاب هزيمة ٦٧ العسكرية ليؤكد ان عبد الناصر ما زال يحتفظ بنبض الشعوب ويرتبط بحركتها الثورية .

واستمر عبد الناصر في مواجهته الجريئة للاستعمار والامبريالية فلم يتخل ــ وهو في هذه الظروف الصعبة ــ عن دوره التاريخي في افريقيا والوقوف بحزم لمساعدة الشعوب التي تتعرض لمؤامرات الاستعمار والامبريالية . فكانت وقفته الشجاعة لمساعدة نيجيريا في القضاء على مؤامرة الانفصال في بيافرا التي حركها ومولها تحالف الاحتكارات الراسمالية والاستعمار بالتعاون مع اسرائيل . كان هذا ومرارة الهزيمة العسكرية ما زالت تملأ الحلوق ، فجاء ذلك تعبيرا عن فهمه الصحيح لشمولية النضال ورؤيته الصحيحة لابعاد المعركة ضد قوى الاستعمار والامبريالية .

وكما وقف عبد الناصر بجرأة وصراحة ضد الاستعمار التقليدي في افريقيا حتى اصبحت القاهرة القاعدة الاساسية لحركات التحرير في القارة ، وقف عبد الناصر ايضا ضد الاستعمار الجديد بجميع اشكاله وصوره . فرأينا كيف وقفت مصر مع جميع الدول الافريقية التي تعرضت للضغوط الاستعمارية والامبريالية سواء في المجالات الاقتصادية او السياسية أو العسكرية . وكان هذا خطا اساسيا في سياسة عبد الناصر الافريقية وانعكاسا طبيعيا وصحيا لما كان قد تحقق على أرض مصر التي كانت قد حررت ارادتها كاملة .

وقد ساهم عبد الناصر في بناء الشخصية الافريقية باكثر مما ساهم به اي زعيم افريقي اخر . وكان ذلك بأصراره على جعل سياسة عدم الانحياز جزءا لا يتجزأ من هذه الشخصية واساسا بنيت عليه منظمة الوحدة الافريقية .

ولا شك ان سياسة عدم الانحياء كانت هي الطريق الوحيد المفتوح امام الدول الحديثة الاستقلال التي تريد ان تخرج بالفعل من دائرة نفوذ الدول المستعمرة محتفظة بأرادتها كاملة . فلم يكن في استطاعة دولة صغيرة من قبل ان تنتزع نفسها من دائرة نفوذ الدول الكبرى دون أن تقع في دائرة نفوذ جديدة حتى ظهرت سياسة عدم الانحياز فاستطاعت الدول حديثة الاستقلال ان تحمي استقلالها بالوقوف مجتمعة في مواجهة اي تدخل اجنبي ، وهذه هي الفلسفة التي قامت عليها سياسة عدم الانحياز منذ نشأتها عندما وجد فيها الزعماء الثلاثة نهرو وتيتو وعبد الناصر وسيلتهم لمقاومة سياسة الاحلاف .

وكان هذا هو الدافع الرئيسي للمساعدات التي قدمتها مصر لكل

دولة افريقية تقاوم الاستعمار والامبريالية . وهكذا استطاعت افريقيا أن تحقق ذاتها بعد أن حققت قدرا من الاستقلال وحرية الارادة كان ضروريا لبلورة الشخصية الافريقية وهو أمر لم يكن ليتحقق على هذه الصورة لولا وجود قادة من أمثال عبد الناصر وانكروما وسيكتوري وموديبو كيتا ونيريري وغيرهم من الزعماء الذين التزموا بسياسة عدم الانحياز وناضلوا من اجل دعم هذه السياسة في القارة الافريقية .

ومما لا شك فيه أن أحدى الانجازات العظيمة لعبد الناصر كانت تلك الصداقة الندية للاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي . وهي صداقة استفادت منها افريقيا كلها عندما كانت مشكلتها الاساسية هي تصفية الاستعمار وانهاء الحكم الاوروبي لافريقيا . واستمرت مصر ولفترة طويلة صلة افريقيا الى المعسكر الاشتراكي بعد أن نجحت في وضع الاسس السليمة والصحيحة لهذه الصلة والصداقة الندية ومنها تدعمت بعد ذلك العلاقة بين دول هذا المعسكر ودول أفريقية أخرى .

وقد استطاع عبد الناصر وزملاؤه من قادة عدم الانحياز في افريقيا ان يبقوا القارة بعيدا تماما عن الصراع الساخن للقوى العظمى وبعيدة عن مشاكل الحرب الباردة وذلك من خلال القدرة على التحرك الجماعي لمقاومة اي تدخل سافر من خارج القارة تقوم به قوى الاستعمار والامبريالية .

وقد كانت ازمة الكونغو في الستينات مثلا حيا لاثبات القدرة على مواجهة التدخل الاجنبي في افريقيا وذلك عندما تحركت الدول الثورية في افريقيا بأرسال قواتها الى الكونغو ثم مساعدة الثورة بكل الوسائل الممكنة ومقاومة الغزو البلجيكي الامريكي ، ثم نجاحها في خلق رأي عام افريقي لا يسمح بهذا التدخل ولا يقبل به . وعرفت الدول الاستعمارية ان مثل هذا التدخل في اي مكان اخر من افريقيا سوف يثير لها المتاعب ويخلق تيارا معاديا لها في انحاء القارة .

وعندما رحل عبد الناصر واختفى من قبله انكروما وتقوقع سيكوتوري، اختل التوازن باختفاء اهم القوى الافريقية التي كانت تشد افريقيا الى سياسة عدم الانحياز وظهر الصراع الساخن في افريقيا ، فما حدث من حروب في القرن الافريقي وفي زائير وفي تشاد لم يكن بعيدا عن صراع القوى العظمى ، واصبحت افريقيا مسرحا للحرب الباردة والساخنة معا .

وكانت البداية في انجولا . فعندما تحدد موعد استقلالها في عام ١٩٧٥ كانت الحركة الشعبية لتحرير انجولا وهي حركة ماركسية تسيطر على العاصمة وعلم معظم البلاد والموانىء الهامة . وتحركت حكومة زائير التي

يراسها موبوتو لتساعد الجبهة الوطنية لتحرير انجولا المتمركزة في المنطقة الشمالية حيث قبائل الكيكونجو الممتدة داخل زائير بزعامة روبرتو هولدن صهر موبوتو الذي كان يعيش في كينشاسا وتساعده وتؤيده الولايات المتحدة الامريكية وبلجيكا .

كانت الولايات المتحدة الامريكية بطبيعة الحال لا تريد ان ترى نظاما ماركسيا يقوم في انجولا الغنية بالمواد الاولية من ماس وفوسفات ونحاس ورنك ونيكل وبترول ، وكان موبوتو ايضا لا يريد ان يرى دولة ماركسية على حدود بلاده التي اختل فيها ميزان العدل الاجتماعي ربما اكثر من أي بلد افريقي اخر ، وحيث اصبح التفاوت بين الثراء الفاحش والفقر المدقع امرا مفزعا تحدثت عنه كثيرا الصحافة العالمية ، هذا علاوة على الرشوة والفساد الذي اصبح سمة الحكم في زائير .

وتحركت جنوب أفريقيا ايضا عبد الحدود المشتركة مع جنوب غرب افريقيا (ناميبيا) لتساعد الاتحاد الوطني لاستقلال انجولا « U. N. I. T. A. » في الجنوب حيث قبائل « الاوفيمبوندو » بزعامة جوناس سافيمبي المدعم من بلجيكا وأمريكا ودول الغرب صاحبة المصالح في المنطقة . وتم التنسيق بين الجبهتين الجنوبية والشمالية بقصد القضاء على الحركة الشعبية لتحرير انجولا ومنع قيام دولة ماركسية في انجولا .

وكما قدمت الولايات المتحدة الاسلحة الى كل من روبرتو هولدن وسافيمبي من خلال زائير وجنوب افريقيا ، كانت الاسلحة الروسية تتدفق بكميات هائلة على الحركة الشعبية لتحرير انجولا والتي تسيطر على اغلبية البلاد . ولم تبق الصين هي الاخرى خارج هذه اللعبة فأرسلت بعض الاسلحة الى الجبهة الشمالية من خلال زائير كما أرسلت اليها بعض مستشاريها العسكريين وبذلك اتسعت دائرة الصراع .

وأنتصرت الحركة الشعبية لتحرير انجولا وبسطت نفوذها على جميع اجزاء انجولا ، وقامت الدولة الماركسية في لواندا العاصمة ولكن بقي التربص بها في جنوب أفريقيا وفي زائير حيث توجد الاعداد الهائلة من اللاجئين الانجوليين . فلجأت الحكومة الجديدة الى طلب المساعدة العسكرية من كوبا ، التي ارسلت قوة كوبية ومستشارين عسكريين كوبيين لتدريب الجيش الانجولي ولحماية النظام مما اسماه الانجوليون الغزو الخارجي من زائير وجنوب أفريقيا .

ومن الصراع الموجود بين النظام في زائير والنظام في انجولا استفاد تنظيم كونغولي معاد لموبوتو وحكومته هو جبهة التحرير الوطنية الكونغولية (F. N. L. C.) الموجود بين اللاجئين الكونغوليين الذي يعيشون في شمال غرب انجولا في مواجهة اقليم شابا (وهو ما عرف قديما باقليم كاتنجا) وقد

نشأ هذا التنظيم في عام ١٩٦٨ وكانت قواته من جندرمة تشومبى الذين هربوا الى انجولا بعد تولي موبوتو السلطنة في ليوبولدفيل عام ١٩٦٥ .

اتجهت انظار هذا التنظيم الى تأييد حكومة انجولا الجديدة وتحول بولائه الى حركة المقاومة الشعبية بعد ان كان يتعاون مع البرتغاليين من قبل . ورحب الانجوليون بذلك واستفادوا بهذا التنظيم لصد رجال العصابات من الجبهة الوطنية لتحرير انجولا التي تساعدها زائير . وفي المقابل سمحوا لهم بما يشبه الحكم الذاتي داخل اقليمهم في شمال غرب انجولا . وهم يملكون في هذا الاقليم مزارع واسعة ومناجم للماس وكانت عندهم قوة مسلحة قوامها ٥٠٠٠ رجل مسلح .

وكان هؤلاء هم الذين قاموا عام ١٩٧٨ بمهاجمة مدينة كلويزي « Kolwezi » في اقليم شابا بغية اسقاط حكم موبوتو واقامة نظام راديكالي في كينشاسا .

وفي مواجهة هذا الهجوم قام موبوتو بالاستعانة بقوات فرنسيه وبلجيكية نقلتها طائرات (سي ١٤١) الامريكية واشتركت معها بعض الدول الافريقية المتحالفة مع الغرب وادعى موبوتو عندما طلب هذه القوات أنه يتعرض لغزو كوبي دبر لحساب الاتحاد السوفياتي . وأرسلت الصين بعض الاسلحة والمستشارين العسكريين وبعض المساعدات الاخرى لزائير كما وصل وزير خارجيتها في يونيو سنة ١٩٧٨ لكينشاسا لاظهار تضامنها وتأييدها للرئيس موبوتو .

وامكن لهذه القوات وقف الزحف القادم من انجولا ولكن بعد ان ترك افريقيا نهبا لصراع القوى الكبرى . بل أن الصراع بين دول الاستعمار نفسها بدا واضحا عندما حدثت ازمة بلجيكا وفرنسا بعد ان اسرعت الاخيرة بارسال قواتها الى زائير في شهر مايو سنة ١٩٧٨ ؛ فقد اعتقد البلجيك ان فرنسا تريد زيادة نفوذها الاقتصادى هناك على حساب بلجيكا وحسب قول البلجيك — المعلن في ذلك الوقت — انه تسربت اليهم معلومات تفيد ان وزارة الخارجية الفرنسية تعمل لاقناع موبوتو لشحن نحاس بلاده الى دنكرك بدلا من انتوبرب Antwerp في بلجيكا .

وفي واقع الامر فان رد فعل هذه الاحداث في أفريقيا لم يكن في حجم الكارثة التي تهدد القارة . فعودة قوات دول استعمارية الى افريقيا بحجة حماية أنظمة معينة يعني بالضرورة وقوع القارة فريسة لصراع القوى العظمى ويجعلها مسرحا للحروب المحلية بين الدول الافريقية المتنافرة وهى كثيرة في القارة .

فقد عادت فرنسا بقواتها الى افريقيا معيدة الى الاذهان صورة كريهة من صور السيطرة الاستعمارية . فتواجدت قواتها في تشاد لتحمي

نظاما هشا ضد الثورة التي تحظى بتأييد الاغلبية العظمى للبلاد ، ثم اصبح الفرنسيون في تشاد هم الذين يديرون الناحية المالية بجانب تحملهم مسؤولية الدفاع ، ولم تعد الحكومة التشادية تباشر عملها من الناحية الفعلية، كما تواجدت القوات الفرنسية في جيبوتي والسنغال وساحل العاج والجابون وتواجد مستشاروها العسكريون في بورندي والكاميرون والنيجر وفولتا العليا وتوجو وموريتانيا . فقد أصبح هناك ٢٠ دولة افريقية لها مع فرنسا اتفاقات خاصة بالمساعدة العسكرية وخمس دول افريقية تربطها بفرنسا اتفاقات دفاع مشترك .

وبطبيعة الحال فان لفرنسا مصالح اقتصادية وثقافية كثيرة في افريقيا وهي تحاول الان استعادة نفوذها والمحافظة على مورد المواد الاولية ، الا انها في تحركها الجديد هذه المرة وعندما أرسلت قواتها الى زائير كانت تمثل المعسكر الغربي واستراتيجية حلف الاطلنطي بزعامة الولايات المتحدة الامريكية والتي عبر عنها مؤتمر الدول الخمس (أمريكا ــ وبريطانيا ــ فرنسا ــ المانيا الغربية وبلجيكا) الذي عقد في باريس (يونيو سنة ١٩٧٨).

وفي مواجهة التواجد العسكري الفرنسي في أفريقيا هناك التواجد العسكري الكوبي وهو لا يقل عنه عددا وانتشارا . فعلاوة على تواجد القوات الكوبية في أنجولا فهي موجودة أيضا في أثيوبيا وموزمبيق والكونغو برازافيل وغينيا الاستوائية وغينيا بيساو وسيراليون وساوتومي وبنين .

ورغم أن هذا التواجد الكوبي يختلف في شكله وأهدافه وأسبابه كل الاختلاف عن تواجد قوات الدول الاستعمارية الا أنه في النهاية جعل من صراع القوى العظمى حقيقة في أفريقيا .

فكاسترو يشعر أن له رسالة في أفريقيا باعتبار كوبا دولة أفروأمريكية ومن أجل ذلك يرى أن عليه مساعدة الافارقة . والكوبيون يشدهم الحنين للعودة الى المنابع الاصلية للغالبية العظمى من الشعب الكوبي القادمة أصلا عبر موجات الهجرة الاجبارية من أفريقيا خلال القرون الماضية . وكما ان كاسترو ما زال يعتبر أمريكا عدوة . الاول وكان يعتقد أن خلق المشاكل لها في أماكن بعيدة قد يبعدها عن كوبا نفسها . وبالاضافة الى هذا فاننا لا يمكن أن نستبعد عاملا يتعلق بفلسفة الثورة الكوبية وهو ايمانهم بفكرة تصدير الثورة الى الشعوب الاخرى .

ولا شك ان الاتحاد السوفيتي يرتاح ويؤيد هذا التواجد الكوبي الذي يخدم استراتيجيته هو الاخر على الاقل في تهديد طريق امدادات الغرب بالبترول والمعادن سواء عن طريق البحر الاحمر او رأس الرجاء الصالح . وهو الطريق الذي يعتبر مدخلا الى مناجم اليورانيوم والمعادن ذات الصبغة

الاستراتيجية في افريقيا الجنوبية . كما يهم السوفيات ايضا مواجهة النفوذ الصيني المتصاعد في هذه القارة والذي اصبح ينمو جنبا الى جنب مع النفوذ الامريكي .

لقد كانت مصر بزعامة عبد الناصر هي احدى القوى الاساسية في افريقيا القادرة على الحركة ، المستعدة دائما لمواجهة اي تدخل اجنبي تتعرض له القارة . واستطاعت مصر ان ترجح كفة عدم الانحياز في افريقيا ، ولا شك ان سياسة عدم الانحياز هذه والتي تبنتها منظمة الوحدة الافريقية كان لها الفضل الاول في انقاذ القارة ولفترة طويلة من ان تكون مسرحا للحرب الباردة او أرضا لصراع القوى العظمى . فكانت الدول الافريقية تحت راية عدم الانحياز هي التي تتصدى للتدخل الاجنبي . راينا ذلك في ازمة الكونغو كما رأينا كيف ان الامم المتحدة نفسها عند نظر القضية الكونغولية بعد الغزو البلجيكي الامريكي اوصت بحل افريقي للازمة عندما اكتفت بالاسف للاحداث (اشارة للغزو) واحالت المشكلة الى منظمة الوحدة الافريقية لبذل جهودها مع اجل تحقيق المصالحة الوطنية .

كانت افريقيا في ذلك الوقت قادرة على احتواء المشاكل الافريقية وايجاد الحلول الافريقية لها . وصحيح ان الدول الافريقية الثورية في افريقيا كانت تستعين بتأييد الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية في المجالات الدولية كما كانت تتلقى منها المساعدة ، ولكن الصراع في افريقيا بقي في واقعه صراع بين الاستعمار والامبريالية في جانب والقوى الوطنية والثورية الافريقية في الجانب الاخر بعيدا تماما عن صراع الدول الكبرى . وكان الفضل في ذلك يرجع اساسا لمجموعة الدول والزعامات التي استطاعت ان تحتفظ بتوازنها كاملا وهي على ذلك الخيط المشدود بين المعاداة الصريحة الواضحة للاستعمار والامبريالية وبين الالتزام الكامل بسياسة عدم الانحياز . وعندما فقدت هذه الدول قدرتها في الالتزام بهذه السياسة اصبحت افريقيا مسرحا لهذا الصراع .

واعتقد ان المرحلة القادمة ستكون مرحلة تتميز بالصراع بين الانظمة المختلفة في افريقيا وذلك كنتيجة مباشرة لانتقال الصراع بين الدول العظمى الى داخل القارة ، وهذا الانتشار الواسع للقوات الفرنسية التي اصبحت تمثل استراتيجية حلف الاطلنطي والقوات الكوبية المتحالفة مع الدول التقدمية في افريقيا . وثانيا لظهور دول عديدة ذات نظم ماركسية في افريقيا يزداد عددها باستمرار ، الامر الذي لا تطيقه كثير من الانظمة الافريقية الاخرى المرتبطة بالغرب كما لا تطيقه الدول الاوروبية صاحبة الشركات والمصالح الراسمالية في مناطق الثروة .

كما اعتقد ان هذا الصراع سيكون في كثير من الاحوال من النوع الساخن وعلى غرار ما حدث في القرن الافريقي في اعقاب القضاء على حكم

هيلاسلاسي ، أو ما حدث بين انجولا وزائير في اعقاب ظهور الحكم الماركسي في انجولا ، او الحرب الخاطفة بين مصر وليبيا عام ١٩٧٨ ، والحرب بين تنزانيا واوغندا عام ٧٩ والتي اسقطت نظام ايدي امين . فقد اصبحت افريقيا مثقلة بالسلاح وسهلت لغة الحرب كوسيلة للمواجهة بين الانظمة المتنافرة .

وعندما اجتمعت الدول الخمسة (امريكا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية) في المؤتمر الذي عقد في باريس في شهر يونيو سنة ١٩٧٨ لبحث موضوع زائير بقصد تقديم المقترحات للحكومات المشتركة ، بشأن الكيفية التي تقدم بها المساعدات لتأكيد أمن زائير واصلاح اقتصادها ، اقترحت فرنسا انشاء قوة لمساعدة الدول الافريقية . والمقصود بذلك حماية الانظمة الافريقية المرتبطة بالغرب . ولكن المؤتمر لم يوافق على هذه الفكرة التي لم ترحب بها الولايات المتحدة الامريكية بحجة انها تفضل بحث كل حالة على حدة .

ويبدو ان امريكا لا تريد التورط مباشرة بارسال قواتها او حتى قوات تمثل حلف الاطلنطي الى افريقيا ، فما زالت عقدة فيتنام تلاحقها . ولكنها لا تمانع في افرقة الصراع الدائر لحسابها وخاصة بعد ان وجدت دولا افريقية قوية مستعدة للقيام بهذا الدور . واطلقت يد فرنسا في افريقيا بحجة حماية مصالحها وتحت ستار العلاقة التقليدية وارتباط المصالح بينها وبين كثير من الدول التي كانت تستعمرها .

واخطر النتائج المترتبة على صراع الانظمة في افريقيا هو تمييع المواجهة التي كانت حدودها الفاصلة واضحة بين القوى الوطنية والثورية في جانب والقوى الاستعمارية والاحتكارات الرأسمالية المتحالفة معها في الجانب الاخر . فقد اصبحت هناك جيوش افريقية تخوض معاركها في هذا الصراع متحالفة مع قوات الاستعمار القديم . فرأينا القوات المغربية وقد ذهبت الى زائير مع القوات البلجيكية والفرنسية لحماية نظام موبوتو ضد ما سمي بالزحف الماركسي القادم من انجولا وذلك في عام ١٩٧٨ ، ورأينا القوات الكوبية والاتحاد السوفيتي متورطين في اثيوبيا مع النظام الماركسي ضد حركات التحرير في ارتريا . ووقفت نظم تقدمية كثيرة في افريقيا حائرة في نظرتها لهذه المشكلة الارترية ، فهي حائرة بين اعتبارها مشكلة من مشاكل التحدي الذي يواجهه نظام ثوري تقدمي في اثيوبيا وبين اعتبارها مشكلة من مشاكل القوميات والتي يتحتم علاجها بغير اسلوب العنف الذي اتجهت اليه حكومة منجوستو العسكرية .

ان افريقيا في اشد الحاجة الى تحرك الحكماء كما سبق ان تحركوا في بداية الستينات عندما احتدم الصدام بين الدول الافريقية الثورية والدول المرتبطة بالغرب وظهرت التكتلات السياسية المتنافرة في القارة فجاءت حركة هؤلاء الحكماء من بعض الرؤساء الافريقيين لتذيب هذه التكتلات السياسية ،

وتحد من الصراع الدائر بين دولها بالتوصل الى صيغة واطار جديد للوحدة الافريقية الشاملة وذلك بقيام منظمة الوحدة الافريقية في عام ١٩٦٣ .

وبطبيعة الحال فان هذا التحرك المطلوب ليس بالامر السهل ولا اعرف على وجه التحديد من هم الحكماء القادرون على الحركة في هذا الاتجاه الان ولكنني اعتقد ان اسس هذه الحركة يجب ان تكون :

اولا : العمل الافريقي الجماعي لتخليص افريقيا من اي قوات عسكرية من خارج القارة والضغط المستمر لتحقيق ذلك .

ثانيا : التقيد من جديد بمبادىء التعايش السلمي بين انظمة الدول الافريقية وفقا لمبادىء منظمة الوحدة الافريقية .

ثالثا : تدعيم منظمة الوحدة الافريقية بالشكل الذي يجعلها قادرة على المساهمة الايجابية في حل المنازعات الافريقية واحتوائها . ولن يكون ذلك ممكنا الا اذا وقفت وراء المنظمة وآمنت بدورها قوى افريقية قادرة ومؤثرة ومستعدة لكي تتحمل مسؤولية تحقيق ذلك كما كانت تفعل كل من غانا ومصر في بداية تكوين المنظمة .

رابعا : تنشيط دعوة عدم الانحياز في القارة وربط حركة الدول الافريقية بحركة العالم الثالث .

وكانت هذه هي نفس الاسس التي قامت عليها سياسة عبد الناصر الافريقية والتي استطاع بها ــ مع قادة اخرين ــ ان يبعد عن افريقيا الحرب الباردة وان يحتفظ بالقارة خارج نطاق الصراع الساخن بين القوى العظمى . ومع ذلك استمرت الثورة الافريقية في طريقها لتحرير الانسان الافريقي من سيطرة اوروبا والرجل الاوروبي .

فهرست

عن المؤلف والكتاب



محمد فايق

مؤلف هذا الكتاب من أنجب وأخلص وأطهر وأقدر العناصر الشابة التي دفعت بها ثورة ٢٣ يوليو وقيادة عبد الناصر الى أهم مواقع المسئولية وأوكلت اليها أخطر المهام، فقد كان مستشاراً للزعيم الراحل للشئون الافريقية ورسوله الكفؤ الامين الى قادة ثورات التحرير في أفريقيا ، وعضوا دائما في وفد مصر الى كل مؤتمر دولي حضره عبد الناصر ، كما رأس وفد مصر أكثر من مرة الى مؤتمرات الوحدة الافريقية ، ثم تولى وزارة الاعلام مرتين الاولى عام ١٩٦٨ والثانية عام ١٩٧٠ حيث ظل بها الى أن أدخل السجن في ١٥ مايو ١٩٧١ ليقضي بين جدرانه عشر سنوات هي مدة الحكم الذي أصدرته بحقه محكمة سياسية استثنائية .

ويروي محمد فايق في هذا الكتاب الذي كتبه في السجن، حيث ما زال حتى لحظة صدور الكتاب ، قصة ثورة ٢٣ يوليو وعبد الناصر مع ثورة التحرر في كل ركن من أركان القارة العملاقة ، وهي قصة يعلم كل المطلعين على أسرارها أهمية الدور الذي لعبه محمد فايق في كل فصل من فصولها ، رغم حرصه طوال صفحات هذا الكتاب على حجب أهمية دوره الخاص وابراز أهمية دور الثورة والقائد ، كل هذا في نغمة صدق وبساطة وموضوعية يلمسها القارىء في كل سطر من سطور هذا الكتاب الهام الذي يؤرخ لصفحة من أروع صفحات ثورة ٢٣ يوليو المجيدة .

« الناشر »

دار الوحدة

بناية مبشر ــ شارع ليون
الحمراء ــ بيروت

الثمن ١٠ ل.ل او ما يعادلها

